نضال حمادة

معركة قادش الثالثة
أسرار حرب القصير



بيسان

معركة قادش الثالثة

أسرار حرب القصير

نضال حمادة

معركة قادش الثالثة
أسرار حرب القصير

بيسان

● اسم الكتاب: معركة قادش الثالثة ـ أسرار حرب القصير
● تــــأليـــف: نضـــال حمــادة
● الطبعة الأولى: تموز (يوليو) 2014 م

ISBN: 978 - 614 - 417 - 996 - 3

● الناشر: بيسان للنشر والتوزيع
ص. ب: 5261 ـ 13 بـيروت ـ لبـنان
تلفاكس: 351291 ـ 1 ـ 961
E-mail: info@bissan-bookshop.com
Website: www.bissan-bookshop.com

قادش

كلمة سريانية معناها مقدس.

وتل قادش، هو تلٌ اصطناعي استراتيجي، ويعرف باسم تلّ نبي مَنْد - أو مندو باللهجة السريانية - حيث تقوم بجواره قرية سورية بهذا الاسم على نهر العاصي بالقرب من مدينة القصير إزاء الحدود اللبنانية. بناه الحثيون قبل نحو 33 قرناً، وهم من شعوب آسيا الصغرى قديماً، وامتدت امبراطوريتهم حتى سوريا الشمالية، قهرهم الفرعون رعمسيس الثاني في قادش عام 1396ق.م في الصراع للسيطرة على آسيا. وفي قادش صيغت أول معاهدة سلام مدوّنة في تاريخ البشرية. ثم قضى الآشوريون على الحثيين أواخر القرن 13 قبل الميلاد.

نجد دائماً في أية معركة رابحة أو خاسرة أسبابَ ثورة أصبحت حتى قبل وقوع هذه المعركة حتميةً لا يمكن تفاديها.

جان جاك روسو

إهداء

إلى سوريا العربية

مقدمة الكتاب

شكل دخول حزب الله في القصير منعطفاً استراتيجياً كبيراً في الحرب السورية أثرت على مسار المعركة محلياً إقليمياً ودولياً. ولم يكن تدخل حزب الله إلاّ قراراً كبيراً اتخذه محور موسكو طهران مروراً ببغداد وبيروت، وهذا ما فهمته الولايات المتحدة من قرار هذا المحور بخوض الحرب في سوريا. وسرعان ما ظهرت آثار التدخل العسكري لحزب الله بالاستنفار غير المسبوق الذي قادته السعودية في الإقليم، وفرنسا وبريطانيا وأميركا دولياً لوضع حزب الله على مختلف لوائح الإرهاب، أوروبياً كانت أو عربية. كما كان لهذا الدخول العسكري تأثيراته الميدانية على الأرض السورية من القصير إلى حمص ودمشق والجنوب وصولاً إلى الشمال السوري، ما استدعى من القوى الدولية والإقليمية الداعمة لمسلحي المعارضات السورية تغييراً في استراتيجية الهجوم ظهر في التدخل المباشر للولايات المتحدة الأميركية عبر التهديد بضرب سوريا بحجة استخدام السلاح الكيماوي في الغوطة الدمشقية.

لم يكن حزب الله أول الفاعلين في الأزمة السورية، فبين خطاب القرضاوي في أيار عام 2011 والذي دعا فيه إلى الجهاد في سوريا، وخطاب أمين عام حزب الله الذي أعلن فيه قرار الحزب بالتدخل العسكري في القصير عام 2013، سنتان دخل أثناءهما آلاف المتطوعين التكفيريين للقتال ضد الجيش السوري من كل انحاء العالم، وربما تأخر حزب الله في دخوله المعركة بعد سنتين من التدخل التكفيري والفتاوى الجهادية التي استهدفت حليفه الأساس في المنطقة وظهره الذي لا يمكن للحزب أن يتحمل تبعات انكشافه، فكيف بقَصْمه، كما يريد ويردد معارضون سوريون وداعمون لهم في الغرب وبلاد العرب منذ بداية الأزمة السورية.

كانت مدينة القصير أول المدن السورية التي سقطت عسكرياً بيد المعارضة، قبل حي بابا عمرو في حمص، ورغم هذا الوضع الملفت لم تكن منطقة القصير وريفها تثير انتباه الإعلام الذي ركز أولوياته على دمشق وحلب، لكن الاستخبارات الدولية، وخصوصاً الفرنسية والبريطانية، والتي تعرف الكثير عن منطقتنا، دخلتها منذ بداية الحرب السورية، وجعلتها ممراً لتهريب السلاح والمخبرين إلى حمص، ومنها عبرت الصحافية الفرنسية إديت بوفيه، والصحافي البريطاني بول كونري إلى لبنان بعد سقوط بابا عمرو في حمص، كما أنها كانت ممراً إلزامياً لكل المتطوعين العرب والأجانب الذين استخدموا الأراضي اللبنانية للدخول إلى سوريا من أجل المشاركة في الحرب. فضلاً عن كل هذا تقع هذه المنطقة على طريق إمداد المقاومة في لبنان من سوريا، وهذا ما جعلها منذ

بداية الحرب قِبلةَ أنظار الأجهزة العالمية التي تعرف قيمتها الاستراتيجية والحيوية، والتي عملت انطلاقاً من هذه المعرفة على حصار المقاومة والتضييق عليها وخنقها انطلاقاً من القصير؛ فسقوط هذه المدينة، بما يمثله موقعها الجغرافي، يشكل مقتلاً لحزب الله، بينما، وفي المقابل، أسّس تحريرُها لعملية انهيار جبهات المسلحين في المنطقة الوسطى ودمشق وريفها، هذا الانهيار الكبير الذي استدعى تدخل أميركا مباشرة في 21 آب 2013 لوقفه والحد من تداعياته على المعارضة السورية المسلحة، وعلى مصالح الولايات المتحدة في العالم، وعلى استقرار الأنظمة الخليجية والنظام التركي حلفاء أميركا في العالم الإسلامي.

في عام 1273 قبل الميلاد، كانت معركة تل قادش التاريخية في ريف القصير بين المصريين والحثيين للسيطرة على آسيا، والتي سميت حرب قادش الثانية، هي التي قررت مصير العالم حينها لثلاثة قرون تلت. وبعد أكثر من ثلاثة آلاف عام، ومن تل قادش أيضاً، دخل حزب الله الحرب في سوريا لتعود منطقة القصير المنطلق لتغيير الوجه الاستراتيجي للعالم وتغيير وجه المنطقة لأجيال مقبلة.

قُدّر لي، في 8 نيسان 2013، أن أشهد بأمّ العين سقوط تل قادش بيد مسلحي جبهة النصرة، وكنت يومها في بلدة العقربية في ريف القصير مع بعض الاصدقاء.

مدخل

الفارق بين المتفائل والمتشائم يكمن في ان المتشائم يكون عادة أكثر اضطلاعاً.

كلير بووث لوقا

عندما تلقى الرئيس جمال عبد الناصر خبر الرفض الأميركي لتمويل بناء السد العالي كان في طريقه إلى القاهرة على متن الطائرة الخاصة برئيس الوزراء الهندي جواهر لال نهرو، قال ناصر لنهرو: أنظر إلى تكبرهم.

في تلك الليلة كان الرئيس المصري يحضّر ردّه على القرار الأميركي، وفي صبيحة اليوم التالي في الاسكندرية أمام 250 ألف شخص، كان الرئيس عبد الناصر يتحدث عن تجاذباته مع رجالات السلك الدبلوماسي الغربي، وعندما نطق الجملة التالية: «هؤلاء السادة الذين يشبهون فردينان دوليسبس»[1]، دخلت قوات خاصة

(1) المهندس الفرنسي الذي وضع مخطط شق قناة السويس.

مصرية إلى مؤسسات ومنشآت قناة السويس وسيطرت عليها، بينما كانت الشرطة المصرية تسيطر على مكاتب شركة قناة السويس في القاهرة؛ كانت هذه الجملة هي إشارة التحرك.

كانت الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولي قد وعدوا بتمويل بناء السد بتكلفة قدرها 500 مليون دولار حينها، غير أن إدارة الرئيس الأميركي آيزنهاور تراجعت عن وعدها بسبب شكوكها من سعي عبد الناصر للتقرب من الاتحاد السوفياتي وفضلت اميركا دعم جوزف تيتو الزعيم اليوغوسلافي بدلاً من عبد الناصر.

في تلك الفترة كان الرئيس السوفياتي نيكيتا خروتشيف في زيارة إلى لندن حيث حذّره رئيس الوزراء البريطاني انتوني إيدن بالقول: «أي تدخل من جانبكم بطريقة عنيفة في الشرق الأوسط يمكن أن يؤثر على تدفق النفط، سوف نقابله من جانبنا بالقوة»، مذكراً خورتشيف بتصريحات عبد الناصر، قائلاً له: «نحن لا يمكننا أن نعيش من دون النفط ولن نسمح أن يضع أحد المشنقة حول رقابنا».

كانت بريطانيا وفرنسا تعيشان آخر مراحل امبراطوريتيهما لصالح الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي، وأتت أزمة السويس لتثبت هذا التحول بعدما رفضت الولايات المتحدة التدخل العسكري في حرب السويس وتركت فرنسا وبريطانيا وحدهما تجابهان التهديد السوفياتي.

كان رئيس الوزراء البريطاني يقول عن الموقف الأميركي[1] «أصدقاؤنا الأميركيون غير واضحين يريدون منا احتواء التمدد السوفياتي في الشرق الأوسط ولا يريدون التدخل في أزمة ساهموا في إشعالها، وآيزنهاور لا يريد الحديث عن تدخل عسكري وبلاده خرجت للتو من حرب كوريا، وهي لا تريد أن تدخل في حرب أخرى، هل تريون قناعتي؛ لقد كان عبد الناصر مقتنعاً أن الولايات المتحدة لن تتدخل وأننا نحن لن نتدخل أيضاً، حتى تدخلنا، واتصل بي آيزنهاور وكانت مكالمة متوترة هدد خلالها بالتدخّل العسكري إلى جانب عبد الناصر إذا لم يتوقف هجومنا». ويقول ايدن «أحسست بالذل والإهانة، لقد رأيت التحول الكبير أمامي فجأة».

لقد فقدت بريطانيا آخر موقع لها في الشرق الأوسط لمصلحة الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، وبعد أقل من ستين عاماً يعيد التاريخ نفسه في المنطقة، ولكن هذه المرة عبر سوريا، حيث تشهد المرحلة تحولاً كبيراً في مراكز القوى والنفوذ يلغي تحالفات أميركا القديمة ويعيد صياغتها وفقاً للتحول الكبير بعد عودة روسيا ودخول إيران قوة ثالثة فعّالة ومؤثرة بشكل مباشر في خريطة النفوذ في المنطقة. في تلك الأزمة شبه آيزنهاور الرئيس جمال عبد الناصر بهتلر، لكن هذا العنف الإعلامي لم يدفع أميركا إلى التدخل العسكري في مصر حينها، وهذا ما عاد وتكرر في سوريا بعد ستين عاماً.

---

(1) وثائق وزارة الخارجية البريطانية.

على عكس توقعات الساسة الغربيين والإعلام العربي والغربي، صمد نظام الرئيس السوري بشار الأسد ولم يسقط خلال سنتين ونصف السنة من الحرب، هو ما زال يسيطر على العاصمة دمشق والمدن الرئيسة في البلد، وما زال يقبض على شبكة الطرقات الاستراتيجية، ويمسك بإدارة الدولة وجهازها وقسم كبير من الاقتصاد، وما زال الجيش السوري يأتمر بأوامره على طول المساحة السورية وعرضها وينفذ استراتيجية قيادته التي تواجه حرب عصابات قاسية مدعومة خارجياً، ما عقّد الأزمة السورية التي أصبحت صراعاً إقليمياً ودولياً بامتياز.

وغدت العوامل التالية تتحكم بمسار الأزمة السورية:

1 ـ العامل الأول يتمثل بالسيطرة على طرق المواصلات وأهمها الطريق السريع الذي يربط حلب بالشريط الساحلي، وفي الشمال الطريق السريع الذي يربط حلب بدمشق، هذان الطريقان يشكلان نقطة الصراع الاستراتيجي للمعارك، ولهذا السبب خاضت الكتائب المسلحة المعارضة منذ تشرين الثاني حتى آذار 2012 حرباً في سراقب التي تشكل نقطة الوصل بين الطريقين، وفتحت المعارضة السورية غالبية المعارك حول حلب على مقربة من الطريق رقم 5، ومطار تفتناز، وحرصت على احتلال قاعد اللواء 46 واحتلال الأتارب، والهجوم على معرة النعمان وحصار وادي الضيف، ومن ثم احتلال مشفى الكندي الذي يشرف على

الأوتوستراد إلى تركيا، ومن خلال هذه المناطق عمل مسلحو المعارضة السورية على السيطرة على كل هذه الطرق لإجبار الجيش السوري على الإرتهان في عملياته للنقل الجوي الذي يمكن لهم التصدي له عبر صواريخ ارض جو وعبر المضادات الجوية .

2 ـ العامل الثاني يتمثل بالسيطرة على الحدود، كما تظهر حال الحدود اللبنانية مثل القصير وحمص اللتان تشكلان همزة الوصل مع الساحل السوري، وبين العاصمة السورية دمشق ونقطة إمداد مهمة من لبنان عبر سهل البقاع والبقاع الشمالي ولهذا كانت القصير أول مدينة سورية صغيرة يسيطر عليها مسلحو المعارضة فيما كانت حمص أول مدينة ومركز محافظة سورية تحصل فيها اشتباكات ومعارك لم تهدأ حتى اليوم .

في محيط دمشق تصطدم الجماعات المسلحة بالفرقة الأولى المدرعة التي تحمي محيط العاصمة، وبالفرقة التاسعة التي تسيطر على مداخل الطريق السريع نحو الأردن، وبالفوج 61 مدفعية المتمركز حول الجولان ودرعا، من هنا تبدو الحرب في سوريا محورها شمال جنوب، بين حلب ودمشق وليس شرق غرب. وتحاول المعارضة منذ سنتين أن تصل إلى العاصمة دمشق عبر الضواحي من أجل فرض حصار مطبق وفاعل.

وتحمل الحرب السورية في ملامحها أشكالاً متعددة من الحروب، فهي في الوقت نفسه، حرب نظامية وحرب عصابات وحرب ضد المدنيين، ومنذ نهاية عام 2012 يحصل مسلحو

المعارضة السورية على أسلحة نوعية وبكميات كبيرة عبر الحدود الأردنية عند درعا حيث أشارت كل من صحيفة لوفيغارو الفرنسية وراديو فرنسا الدولي، إلى أسلحة وصلت للمعارضة من السعودية من انواع قذائف مضادة للدبابات من طراز (آر بي جي 22) و(آر بي جي 75) وصواريخ صينية مضادة للطائرات من طراز (كانباساف إن 6) وأيضاً قذائف وقواذف فرنسية من طراز (سنيب). وفي هدفها الأساس الرامي لإسقاط العاصمة السورية دمشق، تعمل الجماعات المسلحة على السيطرة على الطرق الحيوية للمواصلات وعلى السيطرة على الحدود، ومن أجل هدف إسقاط النظام نفسه يسعى المسلحون لحصارها عبر قطع طريق حلب دمشق البري والطريق المؤدية للساحل، من هنا تبدو أهمية حمص، ومن هنا تبدو اهمية سلاح الجو السوري خصوصا الهليكوبتر التي تعتبر عنصراً هاماً في هذه المعركة.

بتاريخ 13 نيسان 2013 وبعد ستة اشهر من حصاره من قبل مسلحي المعارضة، تمكن الجيش السوري من كسر الحصار حول معسكر وادي الضيف ومن حول مجمع الحميدية العسكري بمحيط مدينة معرة النعمان، ما مكّنه من إرسال قوات إلى أقصى الشمال، وعملت طائرات الهليكوبتر على تأمين الإمدادات لهذه المواقع الاستراتيجية، وظهر جلياً فشل المعارضة ومحدودية قدرتها العسكرية في التعامل مع استراتيجية الجيش السوري بالتمركز حول مواقع استراتيجية وترك المناطق غير المهمة خصوصاً في الأرياف.

بدأ حصار وادي الضيف في تشرين أول عام 2012 بينما كان الجيش السوري قد استعاد السيطرة على معرة النعمان، وقد تعرض الموقعان لهجمات الفصائل المسلحة التي شكلت غرفة عمليات واحدة لإسقاط هذين الموقعين الاستراتيجيين اللذين حدّدا حتى الآن مصير انتقال المعركة جنوباً في حمص ومن بعدها في دمشق، وكانت جبهة النصرة تقود هذه العمليات بوصفها قائدة المجلس العسكري لمحافظة إدلب، إثر إصرار الجيش السوري على التمسك بوادي الضيف على معنويات المسلحين المهاجمين في المعركة فيما دخلت أجندات فرعية خاصة بكل فصيل مسلح لتؤثر في المنطقة حيث انسحبت جبهة النصرة إلى الرقة والحسكة حيث منابع النفط، التي اصبحت بيد قوات الحزب الديمقراطي الكردي وحيث الحدود مع تركيا التي أرادت السيطرة على كامل الحدود مع سوريا ومنع الأكراد من الاستفادة من مردود لنفط في إقامة كيان مستقل ولديه إمكانات الاستقرار، كما كان لجبهة النصرة مشروعها الخاص في إقامة إمارة إسلامية في مدينة سورية ليس للنظام فيها وجود عسكري. وفي شهر أيلول 2013 ارسل الجيش السوري العميد سهيل حسن وهو من خيرة ضباطه العسكريين لخوض معركة فتح الطريق بين إدلب والداخل السوري عبر الساحل وقد تمكنت لجان الدفاع الوطني مدعومة بقصف مدفعي من الجيش من السيطرة على مدينة أريحا الاستراتيجية، كما تمت السيطرة على قمة جبل الأربعين الاستراتيجية والتي ترصد الحدود التركية وكل الريف الجنوبي لإدلب وصولاً إلى سراقب ومعرة النعمان، ومن ثم امتدت

السيطرة على بعض القرى المجاورة وتم فتح الطريق إلى الساحل السوري وجرى تأمينه بشكل كامل، ويمر الطريق المذكور عبر مدينة إدلب ومعسكر المسطومة الذي يحميها، ومن ثم مدينة أريحا، وليتابع بسلوك الطريق السريع نحو اللاذقية الذي بناه رجل الاعمال الكويتي ناصر الخرافي، والمرور بعدئذ بمدينة محَمْبِل على مقربة من مدينة جسر الشغور إلى مدينة اللاذقية ومنها إلى محافظة حمص في الوسط ومن ثم إلى دمشق.

استعادة القصير

سجل الجيش السوري انتصاراً مفصلياً عبر استعادة السيطرة على القصير بمشاركة المئات من مقاتلي حزب الله أصحاب الخبرة الطويلة في حرب العصابات. كانت القصير أول مدينة سورية تخرج عن سيطرة الجيش السوري بقسمها الأكبر، وتكمن الاهمية الاستراتيجية والعسكرية لهذه المدينة التابعة إدارياً لمحافظة حمص في موقعها الجغرافي الحساس والمهم، حيث إن استعادة الجيش السوري السيطرة على القصير أمّنت له طريق دمشق الساحل وأفشلت محاولات قوات المعارضة في عزل العاصمة السورية.

بدأ هجوم حزب الله والجيش السوري على مدينة القصير في شهر أيار 2013 بعد أن تمت السيطرة على مجمل القرى الواقعة غرب نهر العاصي والتي تشكل حلقة الوصل بين القصير والشمال اللبناني، حيث البحر الذي طالما بحثت عن الوصول اليه مجاميع المعارضات السورية. يوم 4 حزيران دخل مقاتلو حزب الله وجنود

الجيش السوري كل أحياء القصير بعد أن انسحب مسلحو المعارضة فجراً.

في شهر نيسان 2013 دخل مقاتلو حزب الله بالمئات في معركة القصير، ما أجبر المعارضة المسلحة على سحب مئات المقاتلين من حمص للحفاظ على مواقعها في القصير. تمكن مقاتلو حزب الله وجنود الجيش السوري من عزل مدينة القصير وإطباق الحصار على المسلحين الموجودين داخلها، بعد أن تم تطهير كل القرى المحيطة بالمدينة من مسلحي المعارضة، واستقدم الجيش السوري تعزيزات من درعا ومن دمشق إلى القصير وحمص مستفيداً من إنهاك فصائل المعارضة وتشتت استراتيجيتها بين القصير وحمص. وفي بداية أيار بدأت معركة القصير التي دافع عنها عدد كبير من فصائل المعارضة السورية (كتائب المغاوير، كتائب الوادي، كتائب قاسيون، كتائب الإيمان، جبهة النصرة، كتيبة الفاروق، شهداء القصير). تمكن مسلحو المعارضة في بداية الأمر من صد الهجوم بعد وصول تعزيزات كبيرة وأسلحة من لبنان عبر مدينة حمص، وبسبب تعزيزات أتت من الرقة وحلب إلى مدينتي (الرستن وتلبيسة) حيث عمدت هذه المجموعات إلى مهاجمة أرتال الجيش المتوجهة إلى القصير لكنها لم تذهب أبداً إلى القصير رغم النداءات المتكررة لها، وأرسل لواء التوحيد مجموعات من حلب وصلت إلى القصير، ووصلت من الرقة كتيبة الناصر صلاح الدين، وكتيبة الإسراء من دير الزور، وهذه الأخيرة أبيدت تقريباً بسبب عدم إعلامها بساعة الانسحاب من المدينة، وانسحب أفرادها بعد

ساعات من ذهاب المقاتلين الاخرين فوقعت تحت نيران غارات الطيران السوري وقتل غالبية افرادها عند بساتين قرية البويضة الشرقية. ومن أجل تغطية كامل المنطقة الواسعة جداً استقدم الجيش السوري تعزيزات مدفعية من الحرس الجمهوري ومن الفرقتين الثالثة والرابعة. وفي نهاية شهر أيار 2013 قبل أيام من تحرير القصير استعاد الجيش السوري السيطرة على مطار الضبعة وقسم كبير من جنوب مدينة القصير وقطع بذلك خطوط الإمداد عن المسلحين الذين تمركزوا في شمال المدينة ووسطها وغربها. حافظ المسلحون على ممر عند قرية الحمرا كما استفادوا من الأنفاق التي حفروها وتحصنوا داخلها. وفي يوم 3 حزيران بدأ الهجوم النهائي على القصير الذي اجبر المسلحين على طلب الانسحاب عبر الممر الذي ترك لهم شمال المدينة. استطاع الجيش السوري خلال هذه المعركة التأقلم مع تكتيكات واستراتيجية المسلحين، وكان لحزب الله دور كبير في تدريب لجان الدفاع الشعبي السورية في المنطقة.

لقد استعمل الجيش السوري في القصير استراتيجية القصف المدفعي والتقدم عبر الدبابات، ومن ثم إدخال المشاة في أرض المعركة، وهذه الاستراتيجية تم اتباعها في ما بعد في الكثير من مناطق الاشتباك في ريف دمشق، في خربة غزالة جنوب سوريا وفي خناصر والسفيرة شمالاً.

بعد انتصار القصير جرت محاولة من اللجان الشعبية للاستفادة من جو إرباك المعارضة السورية للتقدم في ريف حلب الشمالي لكنها توقفت عن مدينة عَنَدان بسبب عدم التنسيق مع الجيش

السوري وتركيز النظام وحزب الله على استعادة مدينة حمص. ويمكن القول أن توجه الرتل من حلب نحو نُبُل عبر قرى كفر حمرا، مابر، عندان، حريتان كان عملية تمويه عن الهدف الاستراتيجي بعد القصير، وهي مدينة حمص، التي تمكن الجيش السوري ومقاتلو حزب الله من استعادة حي الخالدية أهم معقل للمعارضة المسلحة في داخلها، يوم 29 تموز أي بعد 55 يوماً من استعادة القصير.

في حمص اشتدت المعارك منذ كانون أول 2012 بعد ان تمكن الجيش من طرد مسلحي المعارضة من المدينة، وفي شباط من العام نفسه تمكن المسلحون من التسلل إلى المدينة وذلك بفضل القوات التي أتت حمص من مدينة القصير حينها، ومنذ شهر آذار عام 2012 بدأت تنسيقيات المعارضة المسلحة تتحدث عن وجود خبراء وضباط من حزب الله في القصير وحمص وفي ريف حلب الجنوبي وفي بصرى الشام ونبّل والزهراء شمال حلب، وفي الفوعة في ريف إدلب الشمالي.

معركة دمشق تحدد نجاح الضربة الأميركية وفشلها

عوّلت المعارضة السورية وقياداتها العسكرية على معركة كبرى في دمشق متزامنة مع القصف الجوي الذي كانت تتوقعه أو متابعة له بوقت قصير من أجل إسقاط العاصمة السورية، وتالياً إسقاط النظام، وكان هذا في شهر أيلول 2013 أثناء التهديدات الأميركية بشن حملة عسكرية على سوريا. واستقدم المعارضون السوريون

لهذه الغاية تعزيزات كبيرة من منطقة القلمون في ريف دمشق ومن الشمال السوري للمشاركة في الهجوم على العاصمة السورية بعد أن تمهد لهم الصواريخ والقنابل الأميركية الطريق، وعوَّل مسلحو المعارضة السورية على ضربات قوية وغزيرة تستهدف مواقع الجيش السوري وتحصيناته المدافعة عن تخوم دمشق في قاسيون وعلى طريق درعا دمشق، وتحديداً عند مطاري خلخلة وثعلة العسكريين لفتح ثغرات باتجاه العاصمة. وكان بعض المعارضين السوريين مقتنعاً أن إدارة أوباما تريد إسقاط النظام السوري، وهي نسقت مع قيادات المسلحين في تركيا في موضوع الأهداف التي يمكن أن يؤدي قصفها إلى إسقاط مدينة دمشق. وكان قياديو المعارضة في باريس واسطنبول يقولون حينها سوف نصبح الدولة ويصبح الآخرون معارضة إذا نجحت خطط القصف الأميركية. وكان آخرون من الجمع السوري المعارض يقولون إن حدة القصف ودقته يجب أن تؤدي إلى تزعزع في القوات المدافعة عن دمشق وتسهّل دخول مسلحي المعارضة، ولسوف يكون لقصف المقرات الحكومية خصوصا القصر الجمهوري، فضلاً عن وزارات الدفاع والداخلية والخارجية، دور كبير في الضغط النفسي والمعنوي الذي تريده المعارضة في هذه الحرب حيث اعتقدت أن الرئيس السوري بشار الأسد سوف يكون مضطراً للحديث يومياً للقول إنه لا يزال موجوداً مع القيادتين السياسية والعسكرية السورية وهم ممسكون بالوضع. ويعتبر الرئيس السوري والصف الأول المحيط به هدفاً استراتيجياً للضربة الأميركية في حال حصولها. وتزعم مصادر

المعارضة المسلحة ان العقبة الكبيرة التي سوف تواجه قواتها هي وجود المئات من عناصر حزب الله في دمشق، وهؤلاء لديهم مقدرة كبيرة على التخفي ومن ثم القتال بعد القصف لمنع سقوط دمشق، وتروي أن عناصر الحرس الجمهوري السوري والقوات المدافعة عن دمشق من الجيش السوري عملوا على التخفي وتغيير أماكنهم وتوزعوا وفق خطة وضعها حزب الله، حسب قول معارضين سوريين الذين أشاروا إلى أن خطة الانتشار تسعى لتجنب الخسائر البشرية والعسكرية للضربة والاستمرار في حالة جهوزية للدفاع عن دمشق. ويومها توقعت بعض القيادات العسكرية أن الجيش السوري قد يلجأ اثناء عمليات القصف الأميركي وبعدها إلى قصف كثيف وبأسلحة شديدة على المناطق المحيطة بدمشق لتجميد حركة المعارضين فيها ومنعهم من تنسيق أي هجوم على العاصمة، فيما قال سليم إدريس أن الضربة الأميركية ستريح المعارضة من سلاح الطيران السوري حسب قولهم، غير أن سلاح الصواريخ السوري مخبّأ بشكل جيد وهو يعتمد طرق حزب الله في التخفي والعمل.

في 24 تموز 2013 في ضواحي دمشق، شنت المعارضة هجوماً كبيراً من ناحية جوبر وسيطرت على محطة انتاج كهربائية، وفي برزة حقق المعارضون تقدماً نحو الأكاديمية العسكرية ونحو منطقة الأبنية التجارية، واقتربت مواقعهم خارج المدينة من منطقة وزارة الدفاع ونادي الضباط، وهذه المناطق تعتبر محاولة على اقتراب المعارضة في استراتيجية الجيش السوري. وفي 26 تموز

وتشهد هذه الحرب عملية تقطيع وتشرذم لسوريا البلد؛ فبينما تسيطر الدولة على غالبية المدن في سوريا خصوصاً المدن مراكز المحافظات، وتسيطر على منطقة قوية تمتد من دمشق إلى حمص، وتسيطر على الساحل وعلى مرفأ طرطوس المهم لاستقبال الدعم الروسي والإيراني، تسيطر الجماعات المسلحة على قوس يبدأ من الحدود التركية العراقية في محيط مدينة حلب ومناطق في شرقي البلد وشماله. ويسيطر الكرد حاليا على جزء من الشمال السوري الذي يتواصل مع العراق، على الحدود مع تركيا.

وتمكنت قوات الجيش السوري من التقدم في عام 2013 وذلك بفضل دخول مقاتلي حزب الله في المعركة بشكل واسع وشامل، وقد اثر هذا التقدم على الجو السياسي العالمي، ما دفع الولايات المتحدة إلى التهديد بالتدخل العسكري في آب عام 2013، دون ان تنفذ تهديداتها بسبب التدخل الروسي والاتفاق على السلاح الكيماوي السوري، غير ان هذا الوضع لا يلغي مستقبلاً فرضية التدخل الخارجي، كل هذا والحرب مستمرة وليس هناك على المدى المتوسط من مُكنةٍ لأحد أن يحسم الحرب لصالحه بسبب طبيعة المناطق المتنازع عليها وكبرها الجغرافي، فالريف الدمشقي يعادل مساحة لبنان وهو مكتظ بالبلدات والمدن العشوائية والضيقة الممرات وهذا ينطبق على احياء في حلب وقرى ومدن في الشمال وفي الجنوب السوري أيضاً.

الصراع الروسي الأميركي على سوريا واستراتيجية الطرفين

الاستراتيجية الروسية

بوتين لبندر: سوف نقطع أرجلهم ورؤوسهم. . .

في ندوة عقدتها في مجلس النواب الفرنسي إحدى الجمعيات الفرنسية المحسوبة على حلقات التفكير والدراسات الاستراتيجية في فرنسا، ألقى العقيد الركن السابق في الجيش الفرنسي آلان كورفيس محاضرة عن الأبعاد الإستراتيجية للحرب في سوريا، تحدث فيها الضابط الفرنسي الذي عمل في قوات اليونيفل في جنوب لبنان، ومن ثم مستشاراً لدى رئاسة الحكومة الفرنسية، أن التحول في موازين القوى العالمية بدأ في عام 2007 في حرب جورجيا عندما تدخلت القوات الروسية ضد حكومة الرئيس الجورجي سكاشفيلي بعد أن هاجمت قوات الأخير أوسيتيا الجنوبية التي تعتبرها روسيا موقعاً إستراتيجياً حيوياً لها، مضيفاً أن الروس تحركوا عسكرياً لأول مرة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وكانت هذه الحرب بداية

العودة الروسية كقوة عالمية. وروسيا بحربها هذه قالت للغرب إنها لا يمكن أن تقبل بعد الآن أي تخطٍّ لمصالحها الحيوية.

في تلك الفترة تدخل الرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي وسيطاً بتفويض أميركي لإيقاف الهجوم الروسي بسبب اتهام روسيا لديك تشيني بتحريض الرئيس الجورجي للهجوم على أوسيتيا الجنوبية. وقد روى الصحافيون الفرنسيون الذين رافقوا ساركوزي ما دار في اللقاء الذي جمع ساركوزي مع الرئيس الروسي السابق ديمتري ميدفيديف، وفلاديمير بوتين، الذي كان رئيساً للوزراء حينها.

كان بوتين في قمة غضبه، وكان يصيح عالياً وقال لساركوزي سوف أشنقه. ساله ساركوزي سوف تشنق ساكاشيفيلي؟ أجاب بوتين: نعم، سوف أعلق مشنقته، الم يشنق بوش صدام؟ وأنا سوف أشنق ساكاشفلي. حينها قال ساركوزي: وهل أعجبتك نهاية بوش؟.

صادف موعد الهجوم الروسي في جورجيا وجود الرئيس السوري بشار الأسد في موسكو بزيارة رسمية كانت قُررت قبل عام، وكانت سوريا أول دولة تعلن على لسان رئيسها تأييد موسكو في تلك الحرب، في مفارقة ملفتة.

في عام 1990 تسبب انهيار الاتحاد السوفياتي في تراجع الحدود الرسمية لروسيا آلاف الكيلومترات نحو الشمال، وتسبّب

التراجع الروسي في المنطقة بحالة من الفراغ، حاولت كل من الولايات المتحدة، تركيا، إيران، الصين، وباكستان أن تملأه، حيث تحولت منطقة آسيا الوسطى حلبة صراعٍ بدأت مع انهيار الاتحاد السوفياتي. كانت تركيا البلد الأكثر هجومية في هذا الصراع، حيث رأت أنقرة بلدان آسيا الوسطى الناطقة باللغة التركية تستقلّ عن سلطة موسكو، بينما اعتمدت إيران سياسة أكثر براغماتية بسبب الفارق المذهبي مع تلك الدول والبعد اللغوي باستثناء طاجيسكتان، في وقت كانت فيه الصين تترقب، أما الولايات المتحدة فكانت حذرة في الفترة الآولى وفضلت التعاون مع روسيا.

في عام 2002 وضعت أحداث 11 أيلول منطقة آسيا الوسطى تحت أنظار العالم، حيث أسهم وصول الجيش الأميركي إلى آسيا الوسطى، وتثبيته قواعد عسكرية في جنوب الاتحاد السوفياتي السابق، في إضعاف حالة من التوازن في المنطقة التي كانت منذ سقوط الاتحاد السوفياتي تعيش في ظل روسيا. لقد حقق التدخل العسكري الأميركي في أفغانستان هدفين أساسين للولايات المتحدة :

1 ـ على المدى القصير، إسقاط نظام حركة طالبان في أفغانستان وضرب شبكات القاعدة .

2 ـ وجود الولايات المتحدة في قلب المعادلة الأمنية والإستراتيجية للمنطقة أعطى واشنطن رافعةً سياسيةً تحتاجها للبدء في استخراج واستغلال الموارد النفطية لآسيا الوسطى بعيداً عن

النفوذ الروسي بالدرجة الأولى، كونه الأكبر، والنفوذ الصيني والإيراني بالدرجة الثانية، وهذا الوضع خلق تحالفاً ثلاثياً بين هذه الدول استمر حتى بانت معالمه الواضحة في الأزمة السورية.

في عام 2011 وعلى هامش مؤتمر مفوضية حقوق الانسان في الأمم المتحدة في جنيف، والتي كانت حول سوريا بطلب من السعودية وقطر، وللمفارقة بطلب من إسرائيل أيضاً؛ في نهاية الجلسات التقت شخصيات من المعارضة السورية السفير الروسي في الأمم المتحدة الذي قال للمعارضين السوريين، أن روسيا سوف تتخذ عشرين فيتو إذا اقتضى الأمر لمنع تكرار السيناريو الليبي في سوريا. في اليوم التالي كان الوفد المعارض في الدوحة في اجتماع مع خالد العطية، الذي كان حينها نائب وزير الخارجية القطرية، وفي الاجتماع قال أحد أعضاء الوفد للعطية أن الروس قالوا أنهم سوف يتخذون حقّ النقض الفيتو ضد أي مشروع قرار في مجلس الأمن الدولي، فأعطى العطية إشارة من يده تفيد برشوة روسيا، فقال له الوفد إن هذا الأمر لن ينجح مع الروس في الحالة السورية.

عملت روسيا منذ بداية الأزمة السورية على خط منع التدخل العسكري الغربي في سوريا، ودعم النظام السوري في المحافل الدولية في عملية معقدة من التعاون، مع الصين في المحافل الدولية، ومع إيران في سوريا في الإقليم، وفرضت على النظام السوري استقبال المراقبين العرب، ومن ثم كانت وراء موافقة

الرئيس السوري على الذهاب إلى جنيف ـ 1، وهي أيضاً من يقف وراء موافقة سوريا على الذهاب إلى جنيف ـ 2. في سوريا أيضاً، كانت روسيا على علم مسبق بالعمل الذي قام به حزب الله في القصير ومناطق أخرى في سوريا، وهي التي منعت في حزيران الماضي مشروع قرار فرنسي ـ سعودي في مجلس الأمن الدولي يدين التدخل في القصير. وفي الوقت نفسه، كانت الدبلوماسية الروسية تحاور الولايات المتحدة حول الكيماوي السوري منذ أشهر طويلة، كما ذكرت جريدة لوموند الفرنسية في شهر أيلول الماضي، في محاولة للوصول إلى نقطة التقاء روسية امريكية يمكن البناء عليها في عملية توافق كاملة. استفادت الاستراتيجية الروسية من انتصار القصير في زيادة أوراق القوة التي تمسك بها في التفاوض مع أميركا ومن ثم أتى انتصار حي الخالدية في حمص والتقدم في ريف دمشق، لتثبت عدم قدرة التيارات السلفية المحاربة، المحلية منها والعالمية على مواجهة الجيش السوري وحزب الله، كما قال لي دبلوماسي فرنسي يعمل حالياً في دولة إسلامية كبرى.

في زيارة قام بها رئيس المخابرات السعودية الأمير بندر بن سلطان إلى موسكو لثنيها عن دعم سوريا في الموضوع الكيماوي والتراجع عن تهديداتها باستخدام حق الفيتو في مجلس الأمن، عرض بندر على بوتين تاريخ التحكم السعودي بالسلفية العالمية المحاربة، من أفغانستان حتى سوريا مروراً بالعراق والشيشان، وقال بندر لبوتين إن السعودية سوف تمنع هذه القوى من محاربة روسيا في آسيا الوسطى شرط أن تساعد روسيا في تغيير

النظام في سوريا. بوتين استعاد مع بندر لغة التهديد التي استعملها مع ساكشفيلي. قال لبندر بن سلطان إن روسيا لن تسمح بتدخل عسكري غربي في سوريا، وفي حال أتى السلفيون الذين يتحدث عنهم إلى روسيا سوف نقطع أرجلهم ورؤوسهم.

بعد فشل الحلفاء الإقليميين والعرب، والعالمية التكفيرية المحاربة في إسقاط النظام السوري، وبدء الانهيارات المتتالية في صفوف الجماعات المسلحة، مع بروز صراعات داخلية ضمن الجماعات المسلحة نفسها تطورت لحروب متنقلة من الشمال السوري وصولاً إلى درعا، فضلاً عن الحرب التي اندلعت بين الجماعات المسلّحة والسلفية المحاربة في الشمال السوري، أُجبرت الولايات المتحدة على الدخول مباشرة في الحرب عبر التهديدات الأميركية بشن ضربة عسكرية ضد سوريا بحجة استعمال السلاح الكيماوي في معضَمية الشام يوم 21 آب 2013، التقط الروس الفرصة واقترحوا على الطرف الأميركي أن تقوم دمشق بالتخلي عن سلاحها الكيماوي في مرحلة كان فيها الرئيس الأميركي قد ذهب بعيداً في التهديد بالحرب، دون أن يجد من ينقذه من تبعات تهديداته هذه، وكان الاقتراح الروسي أشبه ما يكون بطوقِ نجاةٍ للرئيس الأميركي.

في هذا الموضوع تحديداً، تعتمد روسيا استراتيجية المراحل في عملية سياسية شاملة، نواتُها التوافق على الكيماوي السوري، للذهاب في اتفاق شامل حول سوريا، فضلاً عن اتفاق حول النووي

الايراني، تثبيتاً لمواقع النفوذ الجديدة التي رُسِمت بعد هزائم أميركا في أفغانستان والعراق، وهزائم حلفاء أميركا في سوريا، هذا الحلف المؤلّف من روسيا، الصين، إيران وسوريا، والذي تشكّل بفعل الاحتلالات العسكرية الأميركية في آسيا الوسطى وفي العراق، أعاد لروسيا حضوراً دولياً فقدته طيلة عقدين من الزمن، وكل هذه التغييرات تحصل أمام أعيننا في سوريا منذ قرابة ثلاث سنوات خلت.

الاستراتيجية الأميركية

جون كيري لمعارضين سوريين: هذه لعبة أولاد كبار

الولايات المتحدة قررت التخلي عن عقيدة الحرب المستمرة التي تخوضها منذ سبعين عاماً والتي غلفتها بمصطلحات لطيفة مثل مصطلح (الحرب الاستباقية) التي تستخدمها واشنطن منذ حرب الكويت، أو الحرب ضد الإرهاب منذ أحداث الحادي عشر من أيلول 2001.

في يوم 22 تشرين أول 2013، وفي جلسات مؤتمر الدول الإحدى عشرة التي تمثل بقايا دول ما يسمى أصدقاء الشعب السوري، وأثناء النقاشات داخل قاعة المؤتمر حيث احتجّ بعض المعارضين السوريين على قرار الولايات المتحدة الذهاب إلى جنيف ـ 2، ما حملَ وزير الخارجية الأميركي جون كيري على تقريع المعارضين السوريين، بأن يوجّه لهم جملة قاسية ومفيدة،

قائلاً لهم: «هذه لعبة أولاد كبار»... في إشارة فجة إلى أن من يعترض ليسوا سوى اولاد صغار في السياسة الدولية. في المؤتمر أيضاً كان الوفد السعودي صامتا داخل قاعات المؤتمر على عكس الصياح الذي تبديه السعودية في العلن، وتعامل بما يمكن تسميته السقف المنخفض، وهذا كان حال أحمد عاصي الجربا رجل بندر في رئاسة الائتلاف الذي كان صامتاً داخل قاعة المؤتمر، وعند انتهاء الأعمال أقام مؤتمراً صحافياً نارياً بناء على أوامر الوفد السعودي، وقرأ على وسائل الإعلام ما سمّاه النصّ الذي كان سوف يلقيه في المؤتمر. ضمن هذا الكمّ من الصخب الإعلامي والضغوط الاقتصادية والسياسية والعجز العسكري، تعمل واشنطن وتنسق مع موسكو في الموضوع السوري، وتبني استراتيجيتها الحالية في سوريا على الكسب الذي حققته في موضوع الكيماوي السوري الذي يشكل بالنسبة لها مرتكزاً مقبولاً للتوصل إلى توافق أو اتفاق حول البرنامج النووي الإيراني وهذا هو بيت القصيد ومربط الفرس الأميركي النهائي.

في الاستراتيجية الأميركية مع روسيا حول الأزمة السورية، تضع واشنطن التوافق مع طهران وموسكو حول الملف النووي في سلم أولوياتها، فيما تنظر موسكو إلى ملف الكيماوي السوري كنواةٍ صلبة يبدأ منها التوافق حول الملفات العالقة، من النووي الإيراني، إلى الدرع الصاروخي والتمدد الأطلسي في أوروبا ومن ثمّ المستجد في جورجيا، حيث تستمر موسكو في عملية الضغط رغم وصول رئيس جديد في تسيبيلي عاصمة جورجيا.

في استراتيجية واشنطن مع موسكو حول سوريا، ثمة طريقان متفرعان من الطريق العريض القاضي بالتوافق مع روسيا في المنطقة، أولهما العمل مع موسكو على الاستمرار في عملية سحب سلاح سوريا الكيماوي والعمل على عقد جنيف 2 بموعده، وفي الخط المتفرع الثاني تعمل واشنطن مع بندر الذي أوكل له وللسعودية دور الصبي الأزعر المشاغب المستعد لإفشال كل شيء إذا ما أُعطي الضوء الأخضر الأميركي كما يعلم الجميع. ولكن السعودية في تصعيدها المنسق مع واشنطن انما تعطي واشنطن ورقة مساومة في مواجهة التقدم الميداني للجيش السوري في ريف دمشق وفي حمص وريف حلب، وهذا ما أشار إليه وزير الخارجية الفرنسي لوران فابيوس في الطائرة التي أقلته إلى منغوليا يوم الجمعة الماضي عندما قال إن الهدف الآن هو الضغط على سوريا وحلفائها لفك الحصار عن ريف دمشق وعن حمص.

كان لقاء روحاني ـ هولند بداية العمل على هذه الطريق، والآن نسمع في دوائر القرار الفرنسية كلاما جديداً عن العلاقة مع إيران وأنّ الشركات الفرنسية مدعوة لتكون جاهزة لدخول أسواق هذا البلد في أفق قريب اذا استمر مسار التوافق الروسي الأميركي.

وتقول المعلومات إن مكتب الملحق التجاري في السفارة الفرنسية في طهران أعيد فتحه كما تقول المعلومات المؤكدة ان وفدا من نقابة أصحاب الشركات الفرنسيين زار إيران في العشرين من شهر تشرين الثاني 2013، بينما طلب مسؤولون في شركات

فرنسية مواعيد مع السفارة الإيرانية في باريس، بعد توصية من الحكومة الفرنسية، بالاتجار حاليا مع طهران في المواد غير الخاضعة للعقوبات.

الملف الأميركي

ما الفرقُ عند الأمواتِ، اليتامى، المشرّدين، إن كان التدمير الأعمى يتمّ باسم الطغيان، أو بالإسم المقدّس للحرية والديمقراطية؟!

غاندي...

وقائع من كواليس اجتماع وزراء خارجية حلف شمال الأطلسي في بروكسيل

في اجتماعهم المغلق بتاريخ 4 كانون أول 2013 في بروكسيل والذي خُصّص لمناقشة الوضع السوري، خصوصاً ما أثير حول أسلحة الدمار الشامل السورية، كان شبح التلاعب بالمعلومات الذي قامت به إدارة الرئيس الأميركي جورج بوش لتبرير حربها على العراق عام 2003 حاضراً في الاجتماع، خصوصاً لدى إلمانيا وهولندا وبولونيا التي تباينت مواقفها مع كلٍ من الولايات المتحدة وبريطانيا وتركيا .

الاجتماع كان صاخباً وانقسم المجتمعون إلى فريقين، الفريق الأول يضم كلاً من الولايات المتحدة، بريطانيا، تركيا، فضلاً عن أمين عام حلف الأطلسي، أندرياس فوغ راسموسن، الذي يعتبر من التيار المتطرف والداعي للتدخل العسكري من جهة، والفريق الثاني

المتخوف من تدخل عسكري مبني على معلومات كاذبة على الطريقة العراقية، ويضم هذا الفريق كلاً من ألمانيا، هولندا، بولونيا، وبمستوى أقل فرنسا التي وإن أرادت التدخل العسكري في سوريا لكنها تراعي المواقف الأوروبية، وخصوصاً ألمانيا، في هذه الاجتماعات.

عند بداية الاجتماع استمع الوزراء، وسط اندهاش البعض منهم، إلى مداخلة لأمين عام حلف شمال الأطلسي الذي طرح أن يبدأ الحلف بالعمل على وضع خطة عمل جدية للتدخل العسكري في سوريا من أجل تأمين الأسلحة الكيماوية السورية مدعوماً من وزيرة الخارجية الأميركية، هيلاري كلينتون، التي أشارت إلى خطورة السلاح الكيماوي، ومن ثم تدخّل في هذا التوجه نفسه وزير الخارجية البريطاني وليام هيغ، الذي قال (واي نوت) لِمَ لا؟ ومن ثم تدخل وزير خارجية تركيا، أحمد داوود أوغلو، الذي كان متحمسا للاقتراح وقدم مداخلة حول تحضيرات سورية لأسلحتها الكيماوية.

غير أن ردة فعل وزير الخارجية الألماني، غيدو ويسترويل، وزميله الهولندي، فرانس تيمرمانز، كانت قوية ويبدو أنهما توجّسا من مؤامرة، فأفهما الباقين أنهما في الوقت الذي يحاولان فيه إقناع برلمانَيْ بلديهما بإرسال صواريخ باتريوت إلى تركيا، تبدو دراسة الأطلسي احتمال التدخل العسكري في سوريا كمن يسعى، عَبْر نشر هذه الصواريخ، لخوض الحرب في سوريا وليس للدفاع فقط كما يحاول حلف الأطلسي إظهاره.

وزير الخارجية الفرنسي، لوران فابيوس، اتخذ موقفاً حذراً، بدوره، فهو لا يريد إزعاج شركائه الأوروبيين، وفي الوقت نفسه أراد الحفاظ على تصلبه المعهود في سوريا، وهو الذي كان قد أعلن في أيلول 2013 أن أي استخدام للأسلحة الكيماوية سوف يؤدي إلى رد قوي وكاسح.

مسؤول أوروبي شاركت بلاده في حرب العراق قال للصحافة طالباً عدم ذكر اسمه: «لقد خضنا حرباً بناءً على قواعد كاذبة ولن نعود لخوض حربٍ ثانية بناء على القواعد نفسها، مضيفاً؛ علينا أن نرى الأدلة الجدية لأن جمعينا لا يزال يحمل في ذاكرته كولن باول في مجلس الأمن يعرض صور عربات قال انها مستودعات كيماوية في محاولة لتبرير التدخل العسكري في العراق.

في نهاية الاجتماع ألغى أمين عام حلف شمال الأطلسي كل الاعتراضات عندما قال لقد استمعت لكل ما ذكرتم ولكن لا تكونوا متفاجئين إذا رأيتم برنامج التدخل موضوعاً على الطاولة!

تغيير في خريطة المنطقة

اعتمدت الولايات المتحدة على دول حلف شمال الاطلسي في تنفيذ سياستها في سوريا سياسياً وعسكرياً، على طريقة تلزيم الملف للحلفاء الإقليميين والدوليين بحيث تكون الولايات المتحدة حرة في التحرك مع موسكو وبعيدة عن المسؤولية في حال قررت التراجع أو تغيير سياستها، وفقاً لموازين القوى محلياً في سوريا،

واقليميا ودولياً في مواجهة روسيا وطهران، وهي أوكلت لحلفائها بدء تهريب السلاح إلى الداخل السوري منذ الأيام الأولى للأحداث السورية، فضلاً عن قيامها بتدريب المسلحين السوريين في معسكرات تدريب في الاردن وفي تركيا بالتعاون مع فرنسا وبريطانيا.

ضابط في الجيش الحر: هجوم المطارات خطة فرنسية ومراكز الدفاع الجوي خطة أميركية

وتطبيقاً لهذا التلزيم الأميركي أصبحت العواصم الغربية، خصوصاً العاصمة الفرنسية باريس، محجةً ومقصداً للسوريين الذين يقاتلون في صفوف جماعات مسلحة ضد الدولة السورية، بعضهم يقول أنه ينتمي للجيش الحر وهو غالبية الحُجّاج إلى الغرب من كل فج سوري عميق، والبعض الآخر ينتمي للجماعات المسلحة التكفيرية ولا يخفي توجهه هذا رغم انه ينسب نفسه للجيش الحر، عملاً بمبدأ التقية الحربية المستخدم هذه الأيام بشكل كبير في فقه الجماعات التكفيرية المسلحة.

هؤلاء الشباب يتكلمون تقريباً عن كل شيء وبتفاصيل التفاصيل، أحاديثهم في المقاهي والمطاعم وأماكن لقاء السوريين والعرب ليس فيها تحفظ، يتحدثون عن الحرب، عن ضحاياها، عن خسائرهم، وعن الخسائر التي كبدوها للسوريّ في الطرف الآخر الذي يسمونه (العدو). يتكلمون عن الدور الأميركي بكل ارتياح وأريحية، وعن الدور الفرنسي المتبنّي إياهم؛ هنا انقلبت

الأمومة الحنونة من المارونية السياسية في لبنان إلى التيارات السلفية وجماعة الإخوان المسلمين في سوريا، ويتحدثون عن الدور القطري والدور السعودي حديث كنز ينزل عليهم من السماء ولا يريدون له أن يتوقف رغم الاتهامات المتبادلة حول من الذي أخذ اكثر من المال القطري، ومن الذي أرسل جزءاً منه إلى سوريا، ومن الذي احتفظ به لنفسه ولا يرسل إلاّ (من الجمل أُذُنه) حسب ما يقول المثل عندهم.

أحد الحجاج إلى باريس يقدم نفسه ناشطاً سياسياً، بينما احتشاد الجمع حوله وكلامهم عنه يؤكد انه ضابط مقاتل في المعارضة أصيب في هجوم على قاعدة، للدفاع الجوي وأتى إلى فرنسا للعلاج، ويكفي الاستماع إليه لتتأكد من صحة كلام الجمع بعيداً عن (التقيّة) التي يمارسها الرجل، والتي اكتشفها منذ حين قريب في كتب الأحاديث ومن محكم الآيات.

يقول الضابط المصاب عن المعارك الدائرة في مختلف المناطق السورية، وبالتحديد عن معركة المطارات، أن خطة الهجوم على المطارات هي بالأساس خطة فرنسية، وقد أثبتت هذه الخطة صعوبة تنفيذها في بداية الحرب بعد فشل الهجوم على المطارات، وعلى أثر الفشل وضع الأميركيون خطة أخرى تتمثل في الهجوم على قواعد الدفاع الجوي الأقل تحصيناً من الناحية العسكرية، ولكن تدميرها وسقوطها سوف يجعل المطارات بحالة فقدان البصر والعمى العسكري. يضيف الضابط، أن الأميركيين

تسلّموا معركة مواقع الدفاع الجوي مباشرة وأداروها بكل التفاصيل، ويروي الضابط حرفياً كيف أدار العسكريون الأميركيون المعارك بالقول:

تسلّم الأميركي المعركةَ وإدارتَها، وكان مقاتلون من المعارضة يدخلون إلى تركيا في الشمال، وإلى الأردن في الجنوب، حيث يتسلّمهم ضباط أميركيون ويقومون بتدريبهم على كيفية الهجوم على قواعد الدفاع الجوي، وتكلف الجانب الأميركي بكل متطلبات المعارك، حيث كان يضع خطة الهجوم ويحدّد عدد المسلحين الواجب مشاركتهم بالهجوم، وكان يقدم صوراً تفصيلية عن المواقع فيها (عدد المدافع، الدبابات، السيارات العسكرية، عدد الضباط ورتبهم، عدد الجنود، طرق الإمداد، مخزون الطعام، الوقود، الذخيرة) والمداخل الأكثر تحصيناً التي ينبغي تجنب الدخول منها إلى الموقع.

كان الأميركيون يوزعون عناصر الهجوم كلاً في موقعه وكانوا يعطوننا كمية الأسلحة والذخيرة التي يحتاجها الهجوم على الموقع.

بدورها صحيفة (لو كانار انشينيه)[1] الفرنسية وسيعة الاطلاع تحدثت عن وجود ضباط أميركيين في سوريا يقومون مع ضباط فرنسيين هناك بعمليات بحث وفرز للمجموعات المسلحة التي تقوم الولايات المتحدة بتسليحها، وقالت إن عسكريين أميركيين يتوافرون على الحدود التركية السورية وعلى الحدود الأردنية

(1) لو كانار انشينيه 12 كانون اول 2012.

السورية استعداد للدخول إلى سوريا. ونقلت الصحيفة عن خبير عسكري قوله أن هناك تطوراً لجهة تسليح المعارضين السوريين بوتيرة أكثر أهمية لتمكينهم من الاستمرار في حرب نظام الرئيس الأسد، بينما اقتصر تزويد لندن وباريس وواشنطن للمسلحين على معدات عسكرية للرؤية الليلية ووسائل اتصالات ووسائل طبية فقط.

وتصف الصحيفة الفرنسية بُطْء الغربيين لحد الآن بالخوف من وقوع أسلحة متطورة في أيدي الجهاديين يمكن ان يستعملوها في المستقبل ضد الغربيين بعد ان ينتهوا من حربهم في سوريا، وتقول الصحيفة أن واشنطن رفضت لحدّ الأن، تزويد ما يسمى الجيش السوري الحر بصواريخ مضادة للطائرات، لكن هناك حوالى أربعين صاروخاً مضاداً للطائرات صناعة روسية حصل عليها المسلحون من قطر ومن مخازن للجيش السوري.

وبقي موضوع تسليح المعارضة السورية بأسلحة فتاكة موضع نقاش في المحافل الأطلسية والأوروبية التي اعتمدت على السعودية وقطر والجماعات المسلحة التي تسطير على ليبيا في القيام بعمليات التسليح هذه ريثما تقرر هي طريقة العمل وفق مصالحها وتطورات الميدان، فقررت دول في الاتحاد الأوروبي استباق رفع الحظر الأوروبي، وبدأت العمل على تزويد المسلحين السوريين المعارضين بصواريخ متطورة مضادة للطائرات، هذا القرار اتخذته بريطانيا، ويبدو أن دول الاتحاد الأوروبي الأخرى قررت اللحاق بها.

وشملت الأسلحة التي تسلمها المسلحون السوريون؛ صواريخ حرارية مضادة للدبابات، أسلحة متطورة عيار 23 ملم وما فوق، فضلاً عن صواريخ أرض جو متطورة.[1] وتعتقد الأوساط الغربية أن هذه الصواريخ سوف تصيب مقتلاً في طائرات الجيش العربي السوري، وقد اعتمدت طرق توصيل هذه الصواريخ منذ فترة عبر تركيا البلد العضو في حلف شمال الأطلسي، وهذا البلد مثله مثل بريطانيا وأميركا، قادر على تدريب هؤلاء المقاتلين على استعمال هذه الأسلحة ـ تنهي الصحيفة الفرنسية كلامها.

ثمة معلومات فرنسية تقول إن المشكلة الأساس التي كانت تعترض تسليم هذه الصواريخ للمسلحين السوريين، هي خوف الدول الغربية من وقوعها في أيدي جماعات مرتبطة بتنظيم القاعدة والتي يمكن أن تستخدمها ضد الطائرات المدنية في الشرق الأوسط وفي مناطق اخرى من العالم، وحسب المعلومات في باريس فان القرار الرسمي اتخذ في اجتماع وزراء الخارجية الأوروبيين في شهر حزيران 2013.

ومن أجل منع المسلحين التابعين لجبهة النصرة وتنظيم القاعدة من الحصول على هذا السلاح، اتخذ الأوروبيون احتياطات في هذا المجال، تتضمن وضع قطعة إلكترونية صغيرة في كل صاروخ أو في داخل كل سلاح، ما يجعل هذه الأسلحة غير هجومية في حال تعرضت للسرقة أو اختفت لسبب ما.

---

(1) المصدر السابق 13 آذار 2013.

غير أن للعسكريين الفرنسيين رأي آخر في هذا الموضوع، حيث قدم الجنرال جان بيار بوسيه، مسؤول وحدة الحماية العسكرية في الجيش الفرنسي مداخلة امام لجنة الدفاع في مجلس النواب الفرنسي أبدى فيها اعتراضه على الموضوع برمّته، وقدم هذا الضابط الفرنسي مداخلة حول مجموعات جهادية فرنسية تقاتل في سوريا وهي سوف تعود إلى فرنسا، ما يشكل خطراً على الأمن الفرنسي. وتكشف تقارير في هذا المجال ان بعض هؤلاء الجهاديين يشكلون خطراً على الجنود الفرنسيين في أفريقيا اذا ما تمكنوا من الحصول على هذه الصواريخ، وأشار بالتحديد إلى قواعد جوية فرنسية في النيجر وفي ساحل العاج وأيضا في مالي، وثلاثة مراكز في ليبيا لتدريب المسلحين قبل توجههم إلى سوريا.

اعتمد حلف الأطلسي خطة تقضي بتدريب المسلحين في ليبيا حيث اقيمت ثلاثة معسكرات في ليبيا لتدريب المسلحين السلفيين قبل ذهابهم إلى سوريا.

هذا هو ميراث الحرب الفرنسية البريطانية في ليبيا؛ يقول دبلوماسي فرنسي إننا قصفنا مواقع القذافي من دون أن نهتم لما سوف يحدث في اليوم التالي في هذا البلد الواسع. وأضافت أن في قيادة أركان الجيش الفرنسي الكثير من الضباط يقولون الكلام نفسه.

وفي جنوب ليبيا تراقب المخابرات العسكرية الفرنسية معسكرات تستقبل المئات من العرب والأفارقة الذين يحصلون على

تدريبات للقتال في اكثر من معسكر تدريب قبل ان يتوجهوا إلى سوريا أو إلى الساحل.

وقدمت المخابرات الفرنسية[1] تقارير تقول بوجود ثلاثة مراكز لتدريب الجهاديين في ليبيا يمكن لكل معسكر منها استقبال 300 متطوع، وحددت المخابرات الفرنسية خريطة توزيع هذه المعسكرات في منطقة (فزان) بين مدينة (غط) قرب الحدود الجزائرية ومدينة (صباح) على الحدود مع النيجر، وأحد هذه المعسكرات التدريبية متخصص في تدريب المتطوعين على تجهيز السيارات المفخخة، أما المعسكران الآخران فيتم تدرب المتطوعين داخلهما على الأعمال القتالية والحربية، على زرع المتفجرات وعلى التمارين الرياضية.

ويستقبل المعسكر عشرات المدربين من جنسيات مصرية، يمنية وباكستانية، وهؤلاء سبق لهم أن تلقوا خبرات كبيرة في جبهات أخرى خصوصاً في أفغانستان، وهؤلاء الأشخاص بالذات، لهم علاقات وارتباطات مع الكثير من الجماعات التكفيرية المسلحة في الجزائر ومالي وتشاد والنيجر.

سياسة الانتظار

في 12/12، 2008 بُعَيْد فوز باراك أوباما بالانتخابات الرئاسية الأميركية وعلى هامش ندوة في معهد العلاقات الدولية في باريس،

---

(1) المصدر السابق.

التقيت فرنسيس فوكوياما، صاحب نظرية «نهاية التاريخ» الذي قال لي يومها إن باراك أوباما أتى ليحافظ على القيادة الأميركية للعالم، وفي خطاب توليه الرئاسة أمام الكونغرس تناول باراك أوباما حرب العشر سنوات التي خاضتها أميركا في أفغانستان والعراق، مشيراً إلى تغير جذري في الاستراتيجية الأميركية التي اعتمدت على الحرب وسيلة وحيدة في العلاقات الدولية خلال عهد جورج بوش الابن. موقف أوباما هذا استعاده هذه المرة وزير الخارجية الأميركي جون كيري بالقول إن الاستراتيجية الأميركية ليست محددة فقط في الحرب على الإرهاب وفي التدخلات العسكرية، مُعَدداً أوجه النفوذ الأميركي في العالم بالأمن الغذائي ومكافحة التغير المناخي التي جعلها باراك أوباما أولويات لولايته الثانية، وفي كلامه عن الاستراتيجية الأميركية حيال إيران خصوصاً في قضية الملف النووي أكد كيري أن واشنطن سوف تفعل كل شيء حتى لا تحصل إيران يوماً على القنبلة النووية.

أما باراك أوباما في خطابه الذي دشن به ولايته الثانية فقد قال أنه يفضل حلاً سياسياً ودبلوماسياً مع إيران، مؤكداً على قراره بعدم شن أية حرب، حتى يعطي للدبلوماسية كل حظوظ النجاح وهذا هو أساس الاستراتيجية الأميركية في التعامل مع الموضوع النووي الإيراني، فالولايات المتحدة ليس لديها استراتيجية حرب ضد إيران كما أنها لا تملك مساراً سياسياً واضحاً، وهي تتعامل مع الموضوع على طريقة المراحل، كما يقول إيف بونيه المدير السابق لجهاز مكافحة التجسس في فرنسا في حديث له، أن الولايات المتحدة

تريد حلاً سياسياً للأزمة، مع استمرار إشارتها للحل العسكري عبر القول أن كل الاحتمالات موضوعة على الطاولة.

في ندوة عقدت في مجلس الشيوخ الفرنسي في أيار 2013 حول التحولات في الشرق الأوسط، وفي حديثه عن احتمالات التدخل العسكري الأميركي ضد إيران، قال أحد المحاضرين إن الولايات المتحدة لا تريد حرباً مع إيران تخرج عن نطاق السيطرة وقد تمتد سنوات طويلة، لذلك تمنع إدارة أوباما إسرائيل من التحرك عسكرياً ضد ايران. وقال المحاضر إن إسرائيل لن تخرج عن الإرادة الأميركية في هذا المجال حتى في ضربة صغيرة ومحدودة كما حصل في الغارة الجوية التي شنتها أخيرا بالقرب من العاصمة السورية دمشق، حيث كانت إسرائيل حريصة على عدم إغضاب أوباما، وهي أخذت إذناً من الولايات المتحدة لتنفيذ هذه الغارة. وكشف المحاضر أن مسؤولاً عسكرياً إسرائيلياً كبيراً زار واشنطن قبل الغارة حاملاً معه كل المعطيات الإسرائيلية حتى حصلت إسرائيل على إذن واشنطن بشن الغارة الجوية.

وهنا أيضاً نجد تأثيرات الربيع العربي التي لديها مفارقاتها الخاصة في الكِباش الإيراني الأميركي، رغم الوضع السوري الصعب على إيران والمحور الحليف لها، فالولايات المتحدة التي تنسق مع جماعة الإخوان المسلمين في مصر وتونس وليبيا، وبقدر أكثر حذراً في سوريا، تبدو غير مرتاحة لرؤية الشرق الأوسط يسقط في يد الإخوان المسلمين بشكل كامل وبطريقة يشعر بها الإخوان

على المدى المتوسط بعدم الحاجة لواشنطن، وهذا ما يجعل خيار التوافق مع إيران مطروحاً بقوة في أميركا، للإبقاء على توازن قوى في المنطقة يمكن لأميركا من خلاله إيجاد مساحة وهامش من التحرك لدى إيران وحلفائها، ولدى جماعة الإخوان ومن خلفهم السلفيين، ويمكنها أيضاً من استغلال نقاط الخلاف والتناقضات بين الطرفين في عملية تقوية نفوذها، فالحرب على ايران ليست مضمونة النتائج بالنسبة لواشنطن فضلا عن أنها سوف تصب في مصلحة أنظمة الخليج وخصوصا العائلة السعودية التي تفقد شيئاً فشيئاً أهميتها الاستراتيجية بالنسية لواشنطن بسبب الاكتشافات النفطية الصخرية في الغرب أو ما يسمى بنفط (الشيست) فضلاً عن الحمل المعنوي والسياسي التي تتحمله واشنطن جراء دعمها للنظام السعودي ولأنظمة الخليج التي لا تقيم أي وزن للحريات في وقت تشهد فيها المنطقة حراكاً واسعاً. وهذا التفكير الأميركي بالتحديد والذي بدأ يظهر في وسائل الإعلام الغربية، تخيف إرهاصاتُه واتساع رقعة الحديث عنه العائلة السعودية الحاكمة التي تجد نفسها في صراع خفي مع واشنطن (أوباما) كما هي حال نتنياهو في إسرائيل، وهذه الاستراتيجية الأميركية التي لا تريد صداما عسكرياً مع طهران لا تحظى برضى المملكة العربية السعودية التي تريد من اميركا ضرب ايران عسكرياً وتبدي استعدادها مع باقي دول الخليج لدفع الفاتورة المالية لأية حرب تشنها أميركا ضد إيران، لكن أحداث الربيع العربي في تونس وتحديداً في مصر، وما رافقها من عودة روسيّة إلى الساحة الدولية، أدت بواشنطن إلى عدم الأخذ

برأي السعودية في القرارات الاستراتيجية المتعلقة بشؤون المنطقة ومصيرها. فباراك أوباما ساعد على الإطاحة بحسني مبارك رغم تمسك السعودية به وغضبها من تخلي واشنطن عنه وعن نظامه، وهنا في ظل هذه التعقيدات ليست امريكا في وضع يسمح لها بالدخول في حرب مع ايران لا تدري متى وكيف تنتهي، كما أنها ليس ليست على استعداد لدفع ثمنها البشري بعد الخسائر البشرية التي تكبّدتها في العراق وأفغانستان، فالخيار العسكري غير مطروح مع إيران وليس لديه أرضية عملية تؤكد نجاحه، والخيار السياسي ينتظر نضوج أرضية إقليمية في سوريا وربما الجوار، وما زال أمامه وقت كي يتبلور وتتضح معالمه.

أميركا وإسرائيل والربيع العربي

شكل الربيع العربي حالة خلاف نادرة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، ولا شك أن غياب الاستراتيجية الواضحة لدى الطرفين في ظل تسارع الأحداث وخروجها عن السيطرة، حيث وضعت أحداث الربيع العربي الطرفين امام مفترق من المصالح المتضاربة، أولى إرهاصاتها كانت في مصر التي كانت إسرائيل تريد الحفاظ على حسني مبارك ونظامه، بينما ساهمت أميركا أوباما في تسريع وتيرة تنحّي مبارك. وقد خرج الخلاف بين الطرفين إلى العلن في تصريحات متكررة لكل من بنيامين نتنياهو وشمعون بيريس ومسؤولين اسرائيليين دعوا فيها واشنطن لدعم نظام مبارك في مصر وعدم التخلي عنه. وقد نشرت صحيفة (لو فيغارو) الفرنسية بتاريخ

31 كانون أول 2011 رسالة سرية موجهة من الحكومة الإسرائيلية إلى البيت الأبيض تطلب فيها إسرائيل من الإدارة الأميركية وقف انتقاداتها للرئيس المصري المخلوع حسني مبارك، وأشارت الحكومة الإسرائيلية في هذه الرسالة إلى أن المصالح الحيوية للغرب في منطقة الشرق الأوسط تحتم الحفاظ على استقرار نظام مبارك في مصر، وتكمن نقطة الخلاف في النظرة الاستراتيجية الإسرائيلية التي تتعامل مع المحيط من مبدأ أمني، بينما تعتبر الولايات المتحدة أن مصالحها لم تعد فقط في التعامل من المنظور الإسرائيلي، خصوصاً بعد الحراك العربي الواسع الذي تتوقع واشنطن أن يمتد إلى منطقة الخليج بإماراتها وممالكها، خصوصاً إلى النظام السعودي العمود الفقري للمنظومة الأميركية في العالم الإسلامي، وتبني واشنطن استراتيجيتها بطريقة ظرفية متحركة مع الحدث، عكس اسرائيل التي تريد مِن حولها حزاماً امناً، خططت له منذ حرب 1967، وهي ترى ان أحداث الشارع العربي تجبرها على إعادة النظر به. وجوهر الخلاف الأميركي الإسرائيلي يكمن في أن إسرائيل ما زالت تعتمد خيار الحزام الأمني الذي انتقل من المحيط العربي عبر الأنظمة المحيطة بها إلى داخل اسوار فلسطين المحتلة عبر سياسة بناء الجدران والقبب الحديد المضادة للصواريخ، بينما يرى الغرب وعلى رأسه أميركا أن الوقت قد حان لتسويةٍ ما، وأن جماعة الإخوان المسلمين الذين يسيرون للحكم في أكثر من بلد عربي بعد أن وصلوا للحكم في مصر وتونس، مستعدون لتسوية يفرضونها على حماس والفلسطينيين مقابل عدم

رفض الغرب لحكمهم ورفع سيف الجيش في مصر وتونس عن تهديد ثبات هذا الحكم واستمراره.

الاستراتيجية الأميركية

عملت أميركا منذ بداية الحراك العربي بطريقة براغماتية ظرفية مع كل حدث، فهي تدخلت في مصر وأجبرت حسني مبارك على التنحي بعدما أخذت ضمانات من جماعة الإخوان المسلمين، خصوصاً في قضية معاهدة كامب ديفيد، وحسب المعلومات كانت اللقاءات مستمرة خلال الأزمة المصرية بين الأميركيين وجماعة الإخوان المسلمين، بينما تعاملت الولايات المتحدة في الموضوع الليبي بحذر كبير وأوكلت أمر التدخل العسكري المباشر إلى كل من فرنسا وبريطانيا وأبقت نفسها خلف الستار، في الوقت نفسه عززت أميركا علاقاتها مع الجيوش في مصر وتونس لضمان توازن في وجه جماعة الإخوان المسلمين. وتطبيقاً لسياسة الحذر هذه منعت الجماعة من الوصول للحكم في ليبيا بعد القذافي بسبب وجود النفط في ليبيا على عكس مصر وتونس، وهي عوّلت على العامل الاقتصادي لترويض الإخوان الذين وصلوا لحكم مصر المحتاجة اقتصادياً إلى كل شيء تقريباً ونجحت إلى حد كبير في هذا المسعى.

في الموضوع السوري تعمل واشنطن وفق استراتيجية المراحل وهي تحاول عدم قطع الخيط مع روسيا عبر باب التباحث الدوري الذي يشكل مؤتمر جنيف عنوانه السياسي والإعلامي، وفي الوقت

نفسه تقوم بتدريب المسلحين في الأردن وفي تركيا ولا تمنع حلفاءها الخليجيين، خصوصاً قطر والسعودية، من إرسال السلاح والمال إلى جميع الكتائب المسلحة في سوريا بما فيها جبهة النصرة التي وضعتها واشنطن على لائحة الإرهاب الأميركية.

الاستراتيجية الإسرائيلية

اعتمدت إسرائيل مع بدء الحراك في الشارع العربي وسقوط نظام حسني مبارك في مصر استراتيجية ذات توجهين؛ دفاعية وهجومية.

أ ـ استراتيجية التحصن داخل الأسوار:

في عام 2009 بعد عملية الرصاص المسكوب في غزة، اعتقد الإسرائيليون أنهم في وضع مريح نسبياً من جميع الجهات، حيث السلامُ مع مصر ومع الأردن، وحيث إدارة الوضع في الجولان، والمشكلة الوحيدة التي يعانون منها تكمن في حزب الله وإيران عبر جبهة جنوب لبنان والنووي الإيراني، بعد أربعة أعوام من هذه العملية وجد الإسرائيليون انفسهم يعودون إلى نقطة البداية وتدور بهم الأحداث 180 درجة؛ سقط نظام حسني مبارك، النظام الأردني مهدد، والوضع في سوريا خطير ومفتوح على كل الاحتمالات، وفي هذه الأحداث التي لم يستوعبها العسكر الإسرائيلي الذي عاد إلى عقيدته الأولى في التموضع العسكري واعتبار الجوار منطقة عسكرية من جهاتها كافة، لذلك عمدوا إلى استراتيجية بناء الأسوار وتحصينها. فبعد بناء السور مع الضفة الغربية، والحائط مع غزة،

عمدوا إلى بناء سياج عازل مع سيناء وسياج عازل آخر مع الجولان، كما أنهم عمدوا إلى تحصين السياج العازل مع لبنان ومع الأردن في سياسة تقول أن إسرائيل خلال العامين المقبلين سوف تكون مسوّرة من جميع الجهات، والمفارقة هنا أن الخطر في العقيدة الاستراتيجية الإسرائيلية لم يعد في جنوب لبنان، بل عاد إلى جبهتي سيناء والجولان. في مصر كان الإسرائيليون يعتبرون ان وصول جماعة الإخوان المسلمين إلى الحكم قد يصبح خطراً على أمنهم خلال مدة زمنية متوسطة وهم لا يعرفون إلى ماذا سوف تؤول الأوضاع المصرية خلال العقد الحالي، من ناحية لا يطالبون بأية حقوق أرضية في سيناء لكنهم من ناحية ثانية يعتبرونها أكثر من أي وقت مضى منطقة عازلة مع مصر ويجب أن تبقى في دورها العازل.

الجولان عاد أيضاً ليحتل المركز الثاني في عقيدة الخطر الإسرائيلية بسبب عدم معرفة العسكر الإسرائيلي بصورة الأوضاع المستقبلية في سوريا، مع كل الفرضيات التي يضعونها والتي تقول أن الجولان سوف يكون مفتوحاً على وجود الحركات الجهادية في حال سقوط النظام أو ضعفه أو في حال انهارت الدولة في سوريا، كما أن هذا الخطر سوف يزداد في حال خرج النظام السوري قوياً من هذه الأزمة بسبب زيادة النفوذ الإيراني في سوريا إذا انتصر الأسد في الحرب الدائرة حالياً.

ب ـ استراتيجية الردع

في موازاة استراتيجية التحصن الدفاعية، عمدت اسرائيل إلى

استراتيجية الردع الهجومية النووية والتقليدية وقد أجرت في العامين الماضيين تجارب على صواريخ بعيدة المدى تطال طهران والخرطوم وحتى موسكو وأوروبا، وأمنت تغطية إعلامية كبيرة لهذه التجارب، كما أنها عمدت إلى إنشاء منظومات صاروخية جديدة، وقامت بتوجيه ضربات جوية في السودان وقرب دمشق لإظهار قدراتها العسكرية، كما انها تستمر في سياسة التهديد ضد إيران دون القدرة على الدخول في مواجهة كبرى مع طهران.

في المحصلة أدت تعقيدات الوضع العربي إلى تباعد في وجهات النظر الأميركية والإسرائيلية في التعامل مع الربيع العربي، ولا يساهم تسارع الأحداث العربية وتطورها، فضلاً عن عدم وجود استراتيجية واضحة تتعامل خارج التطورات الظرفية، في تقريب وجهات النظر المتباعدة، فلا إسرائيل قادرة على تغيير الواقع المستجد حولها من دون حرب جديدة تعطيها مكاسب، ولا الولايات المتحدة باستطاعتها مجاراة نتنياهو وحكومته في حرب ضد إيران تزيد الوضع المضطرب اضطراباً وربما احتراقاً.

فريق عمل سابقاً مع منظمة الكونترا

وتأتي صعوبة الفريق الأميركي الذي يتعامل في الشأن السوري وتطرفه من قطبة مخفية لا يعرفها الكثيرون، وهي أن مجمل هذا الفريق عمل سابقاً في نيكاراغوا مع منظمة (الكونترا) وهو حالياً يطبق تجربته السابقة في سوريا مع الجماعات المسلحة في (نيكاراغوا) عبر المال القطري والتسليح الخليجي والأوروبي.

وكان السفير الأميركي في سوريا، روبرت فورد، قال في جلسة استماع عقدتها لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الأميركي يوم 11 آذار 2013؛ إننا بحاجة إلى تغيير حسابات بشار الأسد لأنه ما يزال يعتقد أنه سيربح عسكرياً. ولذا فإننا نعمل مع شركائنا على تقوية المعارضة وتغيير ميزان القوى على الأرض من أجل إعطاء العمل الدبلوماسي زخماً أكبر. هذه المواقف تجد في الغرب أصواتاً معترضة عليها ومشككة بإمكانية التدخل في سوريا فضلاً عن جدية حصوله.

يقول فرانسوا هيزبرغ، المدير السابق لمؤسسة الدراسات الاستراتيجية وهو خبير في العلاقات الدولية يؤخذ برأيه في الأوساط الأوروبية والعالمية في حديث لمجلة لو نوفيل اوبزرفاتور الفرنسية أنه ليس هناك تدخل عسكري أميركي في سوريا ولن يكون هناك تسليح نوعي للمعارضة السورية في المستقبل القريب، مضيفاً أن الرأي العام الغربي ما زال ضد التدخل العسكري في سوريا، كما تُظهر آخر استطلاعات الرأي، ومقابل هذا اعلنت الولايات المتحدة عن مساعدات عسكرية للمعارضة السورية من دون أن تحدد ماهية هذه المساعدات، ومن الناحية النظرية لم يتغير الموقف الأميركي على الأرض.

وفي رد على سؤال حول وضع الولايات المتحدة الأميركية صواريخ باتريوت وطائرات فانتوم 16 في الأردن، قال إنه ليس هناك ما يدل على صدق كلام وول ستريت جورنال، خصوصاً أن الطائرات الإسرائيلية تدخل المجال الجوي السوري، هل هذا يعني

أن هناك حظراً جوياً على الطائرات الإسرائيلية؟ أنا أعتقد أن أميركا أرادت ان ترسل لموسكو رسالة قبل مؤتمر جنيف ـ 2 تقول فيها أنه لن يكون هناك غارات إسرائيلية جديدة على سوريا.

وقال هيزبرغ أن أميركا يمكن لها الغاء جنيف ـ 2 ولكن لا أرى مصلحة للولايات المتحدة الأميركية بإلغاء المؤتمر لأن هذا سوف يجعل كل الأبواب مشرعة وكذلك يعطي الروس حجة اكبر للمزيد من الدعم للنظام السوري، خصوصاً في كل ما يتعلق بصواريخ (أس 300). اعتقد انه في هذا المجال، حيث الكل مضطرب، وكل شيء يدعو للحذر، خصوصا أن مؤتمر جنيف ـ 2 قد يكون الفرصة الأخيرة للحل السياسي: (الرئيس السوري لم يسقط والجهاديون في قلب التمرد وهذا شيء نريد أن نتجنبه).

ويضيف هيزبرغ: لحد الآن السلاح الذي تسلمه قطر والسعودية يُشترى من (بيلاروسيا) وإلى الآن الجهاديون هم الوحيدون المسلحون بكثافة وإيجاد طريقة لعدم وقوع السلاح بيدهم أمر غير ممكن.

قطر والسعودية يمولان الممسكين بالملف السوري في الإدارة الأميركية

يعمل وزير الخارجية الأميركي مع رئيسه على تسويات مع روسيا وإيران في سوريا، وفي الملف النووي الايراني، فيما يعمل الفريق الحالي الموجود في الخارجية الأميركية والذي لم يكن راضيا عن تعيين كيري وزيراً للخارجية، يعمل هذا الفريق في اتجاه

تصعيد الوضع وتبني سياسة تسليح للمعارضة تفرض أمراً واقعاً على سياسة كيري.

هنا يبدو الفارق شاسعا بين الروس والأميركان في كل ما يتعلق بالأزمة السورية، حيث يمكن وصف السياسة الروسية بالمحددة والواضحة التي تعرف ماذا تريد وهي مستعدة لمرونة كبيرة في الأمور التي تتعلق ببنود اتفاق جنيف، بينما لا توجد استراتيجية أميركية واضحة في سوريا، ويبدو ان القَطَريين والسعوديين لديهم تأثير معنوي ومالي كبير على قسم من الممسكين بالملف السوري وعلى رأسهم السفير الأميركي في واشنطن روبرت فورد، والشخص الثاني الممسك بالملف وهو السفير السابق فريديريك هوف، وتعود قوة فورد إلى علاقته الوطيدة بباراك أوباما وهو يماثل في حالته حالة ميخائيل بوغدانوف في روسيا.

وحسب مراجع فرنسية متابعة للموضوع، يتعامل طاقم الخارجية الأميركية مع الوضع السوري من ثلاث زوايا مختلفة، هي التالية:

أ ـ إن الأخطاء التي ترتكبها قطر أو فرنسا أو السعودية أو تركيا، لا تلزم الولايات المتحدة بشيء ولا تحمّلها أية مسؤولية.

ب ـ لم يكن هناك أي خطر على المصالح الأميركية من الحرب الدائرة حالياً في سوريا حتى دخول حزب الله في الحرب في نيسان 2013.

ج ـ يجب منع خروج الحرب عن النطاق الجغرافي لسوريا

ويجب وضع استراتيجية لعدم السماح بخروجها للدول المجاورة لسوريا والتي تعتبر كلها حليفة لواشنطن.

في شباط عام 2013 التقى وزير الخارجية الروسي نظيره الأميركي في برلين وحصل تفاهم على أن طول الأزمة يضر بالجميع وأن موسكو وواشنطن لن تدخلا في مواجهة عسكرية مباشرة حول سوريا مع تمسك كل طرف بمواقفه.

في عدم الاتفاق الروسي الأميركي تشكل سوريا محوراً كبيراً بين الدولتين ولكنها ليست المحور الوحيد، وهي ركنٌ أساسٌ من كباش يمتد من دمشق مروراً بالدرع الصاروخي وصولاً إلى النووي الإيراني وانتهاء بطريق الغاز التي سوف تجعل سعر الغاز الروسي يفقد الكثير من أهميته وسعره، وهذا ما أشار إليه لافروف في جلسة من جلساته مع مراجع دبلوماسية عربية عندما قال إن الغاز الروسي سوف يفقد 30 بالمائة من قيمته في حال نجح الغرب بإسقاط نظام الرئيس بشار الأسد في سوريا.

أبدى سيرغي لافروف انزعاجه من عملية التسليح المتسارعة التي يقوم بها حلفاء واشنطن العرب والأوروبيون لمسلحي المعارضة السورية.

فأجاب كيري: على روسيا المساعدة في إيجاد الحل عبر الضغط على الأسد كي يرحل.

لافروف قال : نحن لن نضغط على الأسد للرحيل، وإذا ضغطنا عليه سوف يرفض، وسوف نفقد من نفوذنا لديه، اذهبوا أنتم وأقنعوه بالرحيل إذا استطعتم، نحن لن نفعل ذلك.

رد كيري: نحن وإياكم متفقون على الأساس الذي ينبع من اتفاق جنيف لكننا نختلف في الأمور الصغيرة.

بعض المراجع المقربة من الائتلاف الوطني السوري تنقل عن معاذ الخطيب رئيس الائتلاف أن لافروف قال له: سوف نرسل خمسمائة طائرة للمشاركة بالقتال في حال شعرنا بخطر داهم على دمشق.

وقد رفض لافروف ممارسة الضغوط على ايران وتهرب من طلب في هذا الصدد بالقول (الإيرانيون لا يتكلمون معنا بصوت واحد في هذا الموضوع هناك صالحي وهناك آخرون).

وينقل عن وزير الخارجية الروسي أيضاً قوله إن القيادة السورية غير واثقة من الأخضر الإبراهيمي، واعداً بإقناعها بمعاودة التواصل معه، لأن دوره سوف يكون مكوكيا بين السلطة والمعارضة في حال وصل الجميع إلى قناعة بضرورة التفاوض، غير أنه أشار إلى صعوبة هذا الأمر حاليا بسبب عدم اتفاق المعارضة السورية وعدم رغبة الدول الداعمة لها بفتح باب للمفاوضات.

أميركا فوجئت بما حصل في سوريا وتعمل على إدارة الحرب هناك.

يقول دبلوماسي فرنسي يعمل في دولة شرق اوسطية التقيته في العاصمة الفرنسية باريس، أن الولايات المتحدة الأميركية فوجئت بالأحداث السورية، وهي بعد اشتداد الحرب وتوسعها في كل سوريا ارتأت أن الفرصة سانحة لتسعير الصدام بين حزب الله

وتنظيم القاعدة على الأراضي السورية حالياً، وهذا ما تقوم به الاستخبارات الأميركية بالتعاون مع دول خليجية وتركيا منذ أكثر من سنتين.

ويوضح الدبلوماسي أن السفارات الفرنسية في الشرق الأوسط رصدت دخول حوالى 400 عنصر من طالبان باكستان إلى سوريا عبر تركيا، موضحاً أن هؤلاء وصلوا إلى مطار عسكري تركي على متن طائرتين عسكريتين سعوديتين، ومن ثَمَّ جرى تجميعهم في مخيم للتدريب تحت إشراف المخابرات التركية بالقرب من مدينة (غازي عنتاب) في تركيا قبل أن يتم إدخالهم إلى سوريا، مضيفاً أن هؤلاء المقاتلين حُدّد لهم هدف واحد هو الدفاع عن أحياء مدينة حلب الواقعة تحت سيطرة المعارضة، حيث تعتقد الدوائر الغربية ان الجيش السوري وحلفاءه قد أنهوا الاستعدادات لشن هجوم كبير في حلب وريفها بانتظار إعطاء الأوامر.

وقال إن خطأ السياسة الفرنسية الكبير هو اعتقادها بحتمية سقوط الرئيس بشار الأسد ونظامه خلال عام 2012، لذلك كان بعض المسؤولين الفرنسيين يدلي بالتصريحات التي تتوقع سقوط النظام خلال شهرين أو أسبوعين كمن يراهن في لعبة لوتو لا يتحكم بمصير دولابها. وقد أفقدت هذه التصريحات ما تبقى من مصداقية دبلوماسية لفرنسا في الخارج وأمام الرأي العام الفرنسي داخل فرنسا.

السعودية

والدك لعبة أميركية
بشار الأسد لعبد العزيز بن عبدالله آل سعود

في 5 تموز 2013 تسلّمت السعودية الملف السوري من قطر بتعيين أحمد عاصي الجربا رئيساً للائتلاف المعارض بدلاً من غسان هيتو.

في وثيقة مؤرخة بتاريخ 16 ـ 8 ـ 2011 كشف عنها موقع ويكيليكس ورد فيها أن السفير السعودي في لبنان نقل للأميركيين أن الملك عبد الله بن عبد العزيز «يتفهم» جيدا هجوم الرئيس السوري بشار الاسد عليه شخصياً ويتفهم أيضاً محاولته إضعاف الموقف السعودي في لبنان، ويقول السفير إن الملك قد أعذر بشار في مواقفه هذه على الدوام، لكن من الصعب تفهمه أمر بشار الأسد بإطلاق النار على ضباط سوريين يرتبطون بقرابة مع قبيلة السديري (قبيلة ترتبط بعلاقات نسب قوية مع آل سعود) لأنهم رفضوا إطلاق الرصاص على المتظاهرين السوريين، أيضاً إعتقال بشار الأسد لمواطنين سعوديين يقضون إجازاتهم في سوريا واعتقال سعوديين كانوا في طريقهم إلى لبنان.

كما تحدثت الوثيقة عن اتصال جرى ما بين الامير عبد العزيز

بن عبد الله والرئيس بشار الاسد، وذكرت أن علاقة صداقة قوية تربط ما بينهما وكان الأمير عبد العزيز يسأل عن مصير السعوديين المقبوض عليهم في سوريا، ورد عليه الأسد بانهم «جواسيس» فرد عبد العزيز بأنه لا جواسيس سعوديين في سوريا، فرد الأسد بغضب وأسلوب لاذع بأن «والدك لعبة في يد الأميركان» ما أدى في النهاية لسحب السفير السعودي من دمشق.

الحرب الداخلية

خطة بريطانية لإعادة هيكلة الحكم في السعودية تفادياً للسقوط المؤكد

مع بداية أحداث الربيع العربي عملت دوائر القرار الغربية على دراسة الوضع في المملكة العربية السعودية واستباق وصول الاضطرابات إلى السعودية، ولهذا السبب تقدمت بريطانيا بعرض إصلاحات داخلي على عبدالله بن عبد العزيز آل سعود ملك السعودية رفضه جملةً وتفصيلاً، وهذا العرض أرعب العائلة المالكة التي تعمل بسياسة هجومية غير مسبوقة في الإقليم درءاً للخطر الذي يتهدد حكمها بتخلي الغرب عنه.

ويشكل النظام السعودي صمام الأمان والصنم القِبلة لكل الأنظمة في العالم الإسلامي التي ولدت من رحم النظام الأميركي الجديد بعيد الحرب العالمية الثانية، ولتدارك خطر الانهيار الكبير الذي ينذر بالوصول إلى أسوار مملكة آل سعود تجري في الغرب

مداولات جدية حول إمكانية الاستمرار في دعم النظام السعودي الحالي بتركيبته الخاصة والمخالفة لأبسط ما يحاول الغرب تسويقه في العالم العربي من حرية رأي وديمقراطية. وفي السعي لإيجاد مخرج مناسب استباقاً للأحداث تبدي بريطانيا تحديداً خشية كبيرة من انهيار الحكم السعودي. أما لماذا بريطانيا، فلأن هذا يعود إلى أن الولايات المتحدة ما زالت تعتبر البريطانيين أكثر خبرة من الجميع في أوضاع دول الخليج النفطية وفي تركيبة مجتمعاتها العشائرية والقبلية والدينية، ولهذا السبب ما زالت أميركا تعمل في الخليج وفق التقسيم الذي وضعه لورانس العرب لناحية العائلات الحاكمة وتوزيع الثروات والتوارث والعلاقة بين المؤسسة الدينية والحكم خصوصاً في السعودية. وهي قدمت للولايات المتحدة ولآل سعود مشروعاً متكاملاً لإعادة هيكلة نظام الحكم السعودي.

وفي تفاصيل المشروع البريطاني المقدم لإعادة هيكلة نظام الحكم السعودي وضعت بريطانيا النقاط التالية:

1 - تحويل نظام الحكم في السعودية إلى نظام ملكي دستوري، مع صلاحيات مهمة للملك وولي العهد.

2 - يبقى الملك وولي عهده من آل سعود من ذرية عبد العزيز.

3 - لا يضم مجلس الوزراء أعضاء من العائلة الحاكمة ويضم خليطاً من العشائر الموجودة في السعودية تراعي التوزيع العشائري.

4 - يتم تعيين أمراء المناطق من المناطق نفسها وفقاً للتركيبة العشائرية والطائفية للمنطقة.

5 ـ تعتبر مكة المكرمة والمدينة المنورة مدينتين مقدستين فقط، وهذا الوضع لا ينطبق على باقي أراضي الدولة.

6 ـ يكون للمؤسسة الدينية الوهابية دور المرجعية الدينية في المملكة مع صلاحيات دينية فقط، ولا تخضع الأماكن المقدسة لهذه المؤسسة.

7 ـ لن يكون للمؤسسة الدينية الوهابية أية وصاية أو صلاحيات على الأمن الداخلي والجيش والحرس الوطني.

8 ـ يتم حل جهاز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

9 ـ يتم التخلي عن خدمات المطاوعة وحل الجهاز.

10 ـ يتم تأسيس شرطة دينية خاصة بالمناطق المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

11 ـ يراعى وضع القبائل والعشائر في تركيبة الحكم الجديدة عبر توزيع المناصب الحكومية والوظائف بما يتناسب مع الوجود العشائري في المناطق وفي المركز.

12 ـ يتم تغيير اسم الدولة.

في النقطة الأخيرة يمكن تحديد الخطأ الإستراتيجي الكبير الذي ارتكبه مؤسس الدولة عبد العزيز آل سعود، والذي كان إطلاق اسم العائلة على الدولة، وهذا ما جعل الكثير من القبائل وأبناء المناطق يحملون عداءً فطرياً للنظام والدولة بحد ذاتها نظاما سياسياً وجغرافياً، فالكثير من أبناء القبائل يرفضون إطلاق اسم سعوديين

عليهم ويردون بنسبهم القبلي أو ألمناطقي، فهذه المجتمعات في المملكة ما زالت تعيش حياة الولاء المطلق للعشيرة والقبيلة، والولاء لزعماء القبائل يفوق بكثير الولاء للملك في أكثر من مجال.

قداسة الجغرافية وسياسة الهجوم الإقليمي

بدأت قصة المملكة العربية السعودية بتركيبتها الحالية في شباط عام 1945 على ظهر حاملة طائرات أميركية (يو أس أس كينسي) بعد يومين بالتحدي من مؤتمر يالطا الذي قسم النفوذ في العالم بين المنتصرين في الحرب العالمية الثانية.

حضر الرئيس الأميركي حينها، فرانكلين روزفلت، وأجرى مباحثات لمدة يومين مع أكثر من شخصية عربية، وفي 14 شباط استقبل روزفلت ملك سلالة آل سعود بصفته ملكاً على الجزيرة العربية التي أصبح اسمها المملكة العربية السعودية، وأتى هذا اللقاء بتعهد لفظي من روزفلت هو الأهم في تاريخ الولايات المتحدة، قضى بنوع من التحالف الاستعماري بين آل سعود والولايات المتحدة تؤمّن بموجبه الأخيرة أمن المملكة السعودية مقابل تعهد الملك بتأمين سوق النفط الذي تحتاجه أميركا فضلاً عن التعهد بقيام دولة لليهود في أرض فلسطين..

منذ ذلك التاريخ عاش آل سعود تحت الحماية الأميركية التي جعلت من مملكة آل سعود أساس الاستقرار في المنظومة الاستعمارية الأميركية في مجمل العالم الإسلامي وأوجد آل سعود لحكمهم غطاءً دينياً وأسبغوا على جغرافيا مملكتهم لباس القداسة

مطلقين عليها بلاد الله الحرام، واعتمدت العائلة مع المحيط الإقليمي القريب والبعيد سياسة هجومية بامتياز، ولكن بطريقة حرة وغير مباشرة، وبدأت بحرب اليمن وانتقلت إلى مواجهة إيران ومن ثم العراق وحالياً سوريا، كما أنها شكلت الغطاء الديني الإسلامي لحروب الولايات المتحدة الأميركية مع الاتحاد السوفياتي حيث كانت أموال النفط ودعوات رجال الدين الوهابيين والمفتين وقوداً لنصر الولايات المتحدة في أفغانستان على الاتحاد السوفياتي وهذا ما أدى إلى انهياره بعد سنوات قليلة من هزيمته الأفغانية.

طيلة سبعين عاما حافظت السعودية على استقرار ثابت في منطقة مضطربة مليئة بالحروب وبالانقلابات خاضت كل حروبها بيد الآخرين عبر المال والفتوى الدينية، بدءاً من حرب اليمن مع مصر عبد الناصر، مروراً بحرب العراق وإيران وحرب الكويت والاحتلال الأميركي للعراق الذي شكلت السعودية منصة انطلاق لغزوه، وصولاً إلى حرب ليبيا والأحداث الحالية الجارية في سوريا، وتأتي حرب صعدة عام 2010 التي خاضت من خلالها السعودية لأول مرة حرباً مباشرة بجيشها وساندتها فرق كوماندوس من المغرب والأردن وسلاحا الجو الإماراتي والأميركي وتعتبر حرب صعدة نقطة تحول تاريخية وإستراتيجية بالنسبة للمملكة وبداية الانهيار والتصدع في المعبد الذي أُلبس هالة القداسة ودافعت عنه جحافل الآخرين، إلاّ في صعدة التي اضطر فيها للقتال بلحمه الحي مباشرة. هذا التحول الجذري جعل العائلة المالكة تمارس سياسة هجومية عدوانية على الإقليم بطريقة علنية بعيدة عن التخفي

والحذر، وأصبحت مع الربيع العربي، سياسةَ هروبٍ إلى الأمام مع الاحتلال العسكري للبحرين والتدخل المباشر والقوي في سوريا.

وأتت هذه الأحداث مع ترسّخ قاعدة سياسة جديدة في الغرب تراجعت فيها أهمية العائلة السعودية المالكة في الولايات المتحدة الأميركية رغم عدم توفر البديل حاليا الذي يحافظ على تدفق النفط، وسببت أحداث 11 أيلول عام 2001 نقلة نوعية في مفهوم التمسك بالحكم السعودي الذي اتبعته الولايات المتحدة والغرب منذ عام 1945، وخرج الكلام عن احتمالات التغيير وضرورته عن دائرة المحظور، وهذا بحد ذاته يثير الرعب في أوساط العائلة المالكة.

اختلفت النظرة الأميركية للعائلة السعودية المالكة وبدأت العلاقات بين الطرفين تشهد ضبابيةً وعدم وضوح. فالولايات المتحدة تنظر إلى السعودية وهي ترفع مستوى تعاملها التجاري مع الصين بعين الريبة وتعتبر هذا إخلالاً باتفاق روزفلت ـ عبد العزيز.

وعملت واشنطن على إظهار تراجع اهتمامها بوجود آل سعود في الحكم عبر تعظيم دور قطر العربي والدولي، وهذا الدور القطري يمكن للولايات المتحدة الأميركية أن تسانده لإحداث تقسيم في المملكة العربية السعودية عندما يحين وقت إعادة رسم خرائط دول المنطقة وفق المفهوم الأميركي بما أن مناطق النفط سوف تبقى تحت سيطرة أميركا بطريقة أو بأخرى، لكن هذا الوضع الأميركي يصطدم بالمصلحة الإسرائيلية التي ترى في بقاء آل سعود حبل النجاة الوحيد لإسرائيل في إعصار الربيع العربي، حسب تقرير

صدر عن جامعة تل أبيب في بداية شهر تموز 2012، ويعتبر التقرير السعودية أمل إسرائيل الأخير ضد ما تسميه إسرائيل التوسع الإيراني، وفي الحفاظ على وضع في الشرق الأوسط يميل لمصلحة إسرائيل.

وتواجه السعودية حالياً ظروفاً تحمل الكثير من المفارقات والتناقضات التي تشهد على ضعف البيت الداخلي السعودي عائلياً واجتماعياً، وعدم استقرار وتوازن المجتمع الذي يسير في خط تصاعدي نحو تفتيت هذا البلد الذي بنته الولايات المتحدة عاملَ ثباتٍ واستقرار في النظام الإقليمي كله. ولا شك أن تزعزع هذا النظام الإقليمي سوف يتبعه زلزال دراماتيكي في السعودية، التي يعتبر نظامها مجموعة تراكمات مصالح وضغوط تظهر في الأزمات. فالسعودية من ناحية، تجد نفسها في موقع هجومي ومدمّر بشكل واضح كما تفعل حالياً في سوريا، وفي الوقت نفسه تجد نفسها عرضة لتكون أولى ضحايا السلاح الذي تستعمله في تسعير النار الطائفية في المنطقة في مواجهة إيران وعبر التدخل في الأحداث السورية. وهنا نستحضر كلام ديك تشيني لبندر بن سلطان بن عبد العزيز الذي طالب الولايات المتحدة بالعمل على إعطاء السنة في العراق نسبة أكبر في الحكم تتناسب مع حجمهم، فأجابه تشيني: وهل هذا الكلام ينطبق على حجم الشيعة في الخُبر وتمثيلهم في الحكم؟. ومن المفارقات أن هذا الهجوم غير المسبوق في التدخل في سوريا وفي احتلال البحرين، يتناقض مع الوضع الداخلي للسعودية الذي يشهد اضطرابات على خلفية الفساد الكبير

المستشري في أوساط العائلة الحاكمة التي تستفيد من النسب الأكبر من الثروة، وعلى خلفية انتفاء وجود الحريات بأدنى معاييرها، كما أن هذا الهجوم العلني في الإقليم يتناقض مع السياسة التي اتبعتها العائلة السعودية الحاكمة في ممارسة نفوذ إقليمي ودولي ولكن بشكل مخفي ومستور، وعماد هذه السياسة شراء ذمم الناس والشركات العملاقة في الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا كما حصل في صفقة الطائرات البريطانية والتي عرفت بـ «صفقة اليمامة» التي أغرقت كل المؤسسات البريطانية، من شركات النفط إلى شركات السلاح مروراً بشخصيات بريطانية وعربية في عمليات رشاوى بأرقام خيالية، ومثال هذه الصفقة عشرات الصفقات المالية والتجارية أمّنت للعائلة حكماً مستقراً رغم السياسات الداخلية القمعية والتخلف والاضطهاد الذي تعاني منه شرائح المجتمع المتعددة، خصوصاً المرأة، ورغم عداء المحيط العربي والإسلامي للعائلة الحاكمة وتبعيتها الكاملة للسياسة الأميركية، لكن الأحداث العربية والإقليمية تقترب بسرعة نحو السعودية، الهدف الكبير والنهائي في كل هذه التحولات الجارية.

الربيع العربي والهدف النهائي

تعتبر دوائر القرار الغربية ومراكز الابحاث في الغرب، أن المملكة العربية السعودية، الدولة الخليجية الوحيدة من مشيخات وممالك الخليج التي سوف يصلها حراك الربيع العربي، وهي الدولة الوحيدة المعرّض حكمها للسقوط بين تلك الدول، وذلك

يعود إلى الحجم الجغرافي الشاسع للمملكة وعدد السكان الضئيل، فضلاً عن التوزيع السكاني القبلي والطائفي الذي يعتبر محركاً قوياً لوصول الربيع العربي الذي تُعتبر السعودية وجهته النهائية والتي سوف يُسبِّب انهيارها وسقوط النظام فيها، انهيارَ كامل المنظومة الإقليمية والإسلامية التي أسستها الولايات المتحدة الأميركية بعيد الحرب العالمية الثانية.

وتشكل السعودية بوضعها الحالي، وبالأسباب التي أدت إلى تأسيسها، العمود الأساس لكل البناء الأميركي في العالم الإسلامي، وعلى عكس كل دول البناء الأميركي هي لم تأتِ نتاجَ الاحتلال عند نهاية الاستعمار الأوروبي المباشر الذي انتهى مع نهاية الحرب العالمية الثانية، ولكنها أنشئت خصيصاً من أجل القيام بدورها. من هنا تنبع أهمية اللقاء على ظهر حاملة الطائرات الأميركية (يو أس أس كينسي) الذي أنتج السعودية العامود الأساس للبناء الأميركي في العالم الإسلامي، ووظيفته الأساس لعب دور المحرك والقاعدة الثابتة في آن معاً لمنظومة البناء الأميركية في العالم الإسلامي، ولا بد أن فقدانه لوظيفته هذه سوف يجعل كامل القوس، من الشرق العربي حتى أفريقيا الشمالية والشرقية مروراً بباكستان والدول الإسلامية في المحيط الهندي، في حالة تغيير شامل سوف يؤدي إلى تهديم البناء وإعادة تركيبه على أسس جديدة بعد انهيار السعودية.

ولو نظرنا الآن إلى الأزمة السورية التي تعتبر أزمة عالمية

بامتياز، لوجدنا أنها لم تكتسب هذا المقدار من الفوضى والصراع لولا تدخل العامل الخارجي المتمثل بالنظام الحاكم والمسيطر عالمياً، بينما يبدأ الحراك السعودي والأزمة السعودية من قواعد مختلفة هي حراكٌ وأزمة لها قوتها الداخلية، ومن مفارقات هذا الحراك أن محركاته الخارجية تأتي نتيجة أفعال النظام الحاكم والمسيطر عالمياً، وترتد السياسة الغربية المتبعة في بلدان الربيع العربي نتائجَ كارثيةً على السعودية التي تعاني غلياناً بدأت معالمه تظهر على الأرض.

هذه الحالة السعودية، خلافا لغيرها، أنتجت نفسَها بنفسها لتُظهر مدى حساسية الأوضاع الداخلية في الدولة الصَّنم، وهي حالة تساعدها الموجة العارمة من التدمير والتغيير الجذري التي تحصل مع الربيع العربي، هذا البناء المفرط الحساسية الذي كان الحفاظ عليه أساساً في سياسة وعقيدة كيسنجر طيلة سنوات الحرب الباردة، أصبح حاليا الهدف الأخير لكل هذه السلسلة من الأزمات الجارية في العالم العربي، ولاشك أن مصير السعودية سوف يحدد مصير كامل منظومة البناء الأميركي.

فانهيار البناء السعودي لن يكون حدثاً داخل منظومة البناء الأميركي كما هي الحال في البلدان الأخرى، لكنه الحدث المقرِّر لمصير البناء بكامل أسسه وقواعده، ومعالم هذا المصير رُسمت في الأشهر الثمانية عشرة الماضية، التي دفعت العائلة السعودية الحاكمة بسبب رعبها على وضعها الداخلي، إلى التخلي عن سياسة الحذر

والهروب إلى الأمام عبر سياسة هجومية عدوانية تجعلها ضحية لارتدادات سياستها الخاصة.

ونظراً للوضع الهش أقليمياً، ولبداية الهمس الغربي في جدوى الاستمرار بدعم هذه المنظومة السياسية المتخلفة، تشعر العائلة السعودية الحاكمة باقتراب الطوق من عنقها وبالخطر الذي يدق أبواب مملكتها، والذي بدأت معالمه في فشل الخطة السعودية في اليمن وانفلات الوضع هناك، وبدء التحركات الشعبية في القطيف، والأهم من هذا وذاك استمرار الانتفاضة الشعبية في البحرين رغم الاحتلال العسكري السعودي ومضيّ سنة ونصف السنة على دخول قوات نايف بن عبد العزيز دولة البحرين فضلاً عن استمرار ثبات النظام السوري واستمرار الدعم الروسي ـ الإيراني له.

لا شك أن العائلة السعودية الحاكمة ارتكبت الخطأ الاستراتيجي القاتل، بالنظر إلى ضعفها المعنوي الكبير ضمن تيار الأزمة الجارف، فدخول العائلة وانغماسها في نيران الربيع العربي نتيجته الحتمية أنها لن تخرج سالمة من الاحتراق بحمم هذا البركان ولسوف تخسر المعركة.

أما الحدود السعودية مع اليمن والتي تمتد على طول يبلغ أكثر من 1700 كلم، فهي تشهد منذ ما بعد احتلال القوات السعودية للبحرين، حركة كثيفة لنقل السلاح إلى الداخل السعودي عبر شبكة المهربين التي تنتشر وتعمل على طول الحدود بين البلدين، وتحمّل السعودية جهاتٍ إقليمية المسؤولية في هذا العمل، ولا يمكن إعطاء

أهمية كبرى لهذا الاتهام السعودي، كون السلاح الذي يدخل السعودية ينتشر في جميع المناطق من دون استثناء، ويعود هذا التسلح الكثيف إلى إحساس لدى الناس في الحجاز ونَجْد أنّ المستقبل سوف يشهد وصول الاضطرابات إلى داخل مناطقهم مع عدم تمكن لدولة السعودية من السيطرة على الوضع السياسي والأمني في اليمن، ومع الإخفاق في إخماد ثورة البحرين رغم التدخل العسكري السعودي الذي قارب وجوده السنتين من دون أي أفق للحل، ومع دخول الوضع السوري حالة الحرب العسكرية المفتوحة.

وتعتبر السعودية أن الحوثيين، العدو الأول للنظام السعودي في منطقة الخليج، أصبحوا القوة العسكرية الأساس والأقوى في اليمن، وهم أعادوا تنظيم صفوفهم بشكل كبير ومميز وتزودوا بأسلحة حديثة ومتطورة وأقاموا بنية تحتية عسكرية ومدنية تمكنهم من تجنب الثغرات التي كانت موجودة إبان الحرب السابقة مع الجيشين اليمني والسعودي، وأنّ أسلحة حديثة مضادة للدروع أصبحت بيد المقاتلين الحوثيين وأصبحوا يجيدون استخدامها، فضلا عن تزودهم بأسلحة مضادة للطائرات وألغام كبيرة وجديدة، كما أنّ الحوثيين أقاموا تحصينات في مختلف المناطق التي يسيطرون عليها وهي تمتد حاليا إلى أربع محافظات فضلاً عن جزء كبير من محافظة الجوف اليمنية المحاذية للسعودية والتي يسعى الحوثيون للوصول عبرها إلى المنفذ الغربي على البحر.

لقد ادى اضطراب الوضع في صنعاء وفي جنوب اليمن وغياب سلطة علب عبد الله صالح إلى إراحة الحوثيين كثيراً، بينما تبدو السعودية عاجزة عن القيام بأي تحرك يمنع عدوها الذي واجهها بحرب استمرت تسعة أشهر من تعزيز قوته وتوسيع نفوذه، وتكتفي الرياض باتهام إيران بالتدخل في الشأن اليمني وبإشاعة أخبار عن القبض على عملاء للحرس الثوري الإيراني في اليمن من دون تقديم أي دليل على هذه الاتهامات.

من ناحية أخرى تأتي الأزمة السورية لتصب النار على الزيت السعودي المنتظر لحظة الاشتعال الكبير، وتبدو الضائقة السعودية هنا في بقاء النظام السوري متماسكاً رغم حجم الهجوم عليه، فضلاً عن عدم رغبة أميركا بخوض حرب لإسقاط دمشق كما فعلت عام 2003 في العراق، وتبدو الإمكانية الحقيقية للاستعانة بمصر مغايرةً لما يشاع في التصريحات، فمصر ليس لديها الإمكانات العسكرية لمساعدة السعودية في سوريا، ولم تستطع حكومة الإخوان المسلمين إرسال جنود لليمن، مع الذاكرة المصرية المثقلة بحرب عبد الناصر في صعده في خمسينات القرن الماضي، فضلا عن الموقف التركي الذي يرى في مصر منافساً غير مرغوب في حضوره، كما السعودية التي تسير على النهج الوهابي، لا تحمل أي بذرة من الثقة بجماعة الإخوان المسلمين، لذلك لم تستطع مصر إبان حكم الإخوان المسلمين مساعدة السعودية في مشاكلها اليمنية والسورية، وتالياً لم تقدم العائلة السعودية الحاكمة أي دعم مادي جدي لجماعة الإخوان في مصر يمكنهم من الخروج بمصر

من أزمتها الاقتصادية والمالية الخانقة، والحال مع الجيش المصري الحاكم حالياً في القاهرة لا تختلف من ناحية عدم استعداد هذا الجيش لمساعدة السعودية في سوريا، رغم أن الرياض قدمت سبعة مليارات دولار للحكم الجديد.

في مصر، كان للسعودية دور فعال وواضح في عملية الإفراج عن الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك وهي تسعى لوضع يدها على سوريا، وكل هذا التحرك الدبلوماسي النشط والضاغط ليس سوى وسيلة من وسائل الدفاع أمام إيران والمدّ الإخواني في العالم العربي.

أيدت السعودية الجيش المصري في خلعه الرئيس السابق محمد مرسي ولم يتوانَ وزير خارجيتها سعود الفيصل عن التصريح أن بلاده سوف تدعم النظام المصري الجديد في حال قررت أوروبا وأميركا وقف دعمها الاقتصادي له، في الوقت نفسه كان رئيس مخابراتها، بندر بن سلطان، يزور موسكو ليساوم الرئيس الروسي على سوريا. لقد أنهت السعودية عبر هذه التحركات العلنية والصدامية في كل من اليمن، البحرين، سوريا، مصر، لبنان، سياسة الحذر التي اتبعها أبناء عبد العزيز آل سعود منذ عقود طويلة، وهذا التخلي عن الحذر السياسي لا شك أن له ترددات كبيرة سوف تظهر أثارها تباعاً على المملكة وعلى نظام الحكم والعائلة الحاكمة فيها.

لم يفهم الملك عبدالله بن عبد العزيز آل سعود كيف تخلى أوباما عن بن علي في تونس وعن مبارك في مصر، وعندما رأى

السعوديون الرئيس الأميركي باراك أوباما يفتح خط تواصل مع الرئيس المصري السابق محمد مرسي طفح الكيل لديهم.

الصراع على الحكم

حرب النفوذ الخفية داخل آل سعود

بعد وفاة نايف بن عبد العزيز حصل خلاف كبير داخل العائلة الحاكمة حول من يتولى ولاية العهد من بعده. يومها تصدى عبد الله قائلاً (أنا الذي يقرر وليس عبد الرحمن [= بن عبد العزيز] وهيئة البيعة، وما في داعي ينعاد اللي صار)[1]، هكذا كان جواب الملك عبدالله بن عبد العزيز، للمعترضين على تعيين سلمان بن عبد العزيز ولياً للعهد خلفاً لنايف. ويذكر أن تعيين نايف ولياً للعهد كان أيضاً قد شهد خلافات كبيرة على أساس أنه ليس الأكبر سناً، وبسبب مطالبة طلال[2] بالمنصب كونه أكبر من نايف فضلاً عن رفض عبد الرحمن لبيعة نايف في وقتها، وظهر هذا الرفض بعدم حضور طلال دفن نايف والصلاة عليه وعدم تقديمه العزاء للملك عبدالله ولأبناء نايف فيما اكتفى عبد الرحمن بتعزية أبناء نايف وغادر فوراً إلى أميركا.

يومها كانت بيعة مشعل بن عبد العزيز وشقيقه متعب لنايف صمام الأمان الذي منع انفجار اجتماع هيئة البيعة وانفجار العائلة، ما

---

(1) في اشارة الى الخلافات التي حصلت داخل العائلة عند تعيين نايف ولياً للعهد
(2) أيلول عام 2009.

جعل الملك عبد الله يتعلم من الدرس السابق ويتفادى المشاكل داخل العائلة عبر قرار بتعيين سلمان ولياً للعهد بقرار شخصي ومن دون الرجوع إلى هيئة البيعة التي لم يسمح لها عبد الله بعقد اجتماع لانتخاب وليّ للعهد. هذا الكلام لمصادر دبلوماسية عربية في باريس.

واشتدت الخلافات في هيئة البيعة عند تعيين نايف أن عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود[1] قال حينها في اجتماع هيئة البيعة التي خرج بنهايته نايف ولياً للعهد أن وصية الملك عبد العزيز أن يكون الملك هو الأكبر سناً، وفي حال تنازل الكبير يتم انتخاب الأصغر منه، وهذا ما حصل مع سعود ومع فيصل مذكراً أنه هو نفسه لم يبايع خالد إلاّ عندما أعلن محمد شقيقهم عدم رغبته بالحكم، وهذا أيضاً حصل في بيعة عبدالله وسلطان بعد عزوف بندر بن عبد العزيز الأكبر سناً، واليوم أتى دورنا نحن في أحقية العمر، والترتيب الصحيح بعد سلطان هو عبد الرحمن ومن ثم متعب ومن ثم طلال، ويجب آن يتنازل هؤلاء لتتم بيعة نايف قال عبد الرحمن، لكن الملك عبدالله حسم الأمر حينها وساعده على هذا نائب الرئيس الأميركي (جون بايدن) الذي زار السعودية خصيصاً لحسم هذا الأمر.

---

(1) لم يدخل العمل السياسي سوى في عام 1403هـ الموافق لعام 1983م عندما أصدر الملك فهد أمرًا بتعيينه نائبًا لوزير الدفاع والطيران. وظل في المنصب حتى 9 ذي الحجة 1432 هـ الموافق 5 نوفمبر 2011 عندما أعفاه الملك عبدالله من منصبه بعدما رفض مبايعة الأمير نايف وليا للعهد.

الملك عبدالله تفادى انفجار العائلة المالكة وعين سلمان ولياً للعهد بعد مشاورة مستشاره خالد بن عبد العزيز التويجري، وكانت الحجة التي أعطاها التويجري لعبد الله لتبرير قراره في عدم دعوة الهيئة للانتخاب هي غياب رئيس هيئة البيعة[1] مشعل بن عبد العزيز آل سعود عن المملكة بسبب المرض.

وقد خلق موت نايف بن عبد العزيز المفاجئ اضطراباً لدى الملك عبد اللّه كون المتوفي كان أيضاً وزيراً للداخلية وكان على الملك استعجال فرض أمر واقع على الأمراء من أشقائه وأبنائهم في المناصب التي كان يتولاها نايف، لذلك اتخذ قرارا بتعيين سلمان وليا للعهد بالتزامن مع تعيين أحمد بن نايف وزيراً للداخلية، رغم أن وزير الداخلية الفعلي هو محمد بن نايف لكن مشورة من التويجري باستبعاد محمد بن نايف بسبب سمعته السيئة في الخارج أقنعت عبد الله الذي عين أحمد بن نايف وزيرا للداخلية على أن

---

(1) أُسست الهيئة بأمر من الملك، ونص أمر تأسيسها بأنها تتكون من أبنائه أو أحفاده في بعض الحالات التي يحددها النظام، بالإضافه إلى اثنين يعينهما الملك، أحدهما من أبنائه والآخر من أبناء، وتقوم عند وفاة الملك بالدعوة إلى مبايعة ملكًا على البلاد. وحسب ما نص عليه نظام الهيئة يقوم الملك بعد مبايعته وبعد التشاور مع أعضاء الهيئة باختيار من يراه مناسبًا على أن يعرض بعد ذلك اختيار الملك على الهيئة لترشح واحدًا منهم، وفي حالة عدم ترشيحها لأي منهم فعلى الهيئة ترشيح من تراه مناسبًا لولاية للعهد، وفي حالة عدم موافقة الملك على ترشيح الهيئة، تقوم الهيئة بعملية تصويت بين من رشحته والآخر يختاره الملك، وتتم بعد ذلك تسمية الحاصل على أكثر الأصوات وليًا للعهد. وحدد نظام الهيئة بأن يتم اختياره في مدة لا تزيد على ثلاثين يومًا من تاريخ مبايعة الملك.

يبقى الملف الأمني في يد محمد بن نايف، فيما حرص الملك على استمرار الحلف بينه وبين أبناء نايف المسيطرين على وزارة الداخلية عبر تعيين الشقيق الأكبر من أولاد نايف سعود بن نايف رئيساً لديوان ولي العهد رغم أن سلمان بن عبد العزيز لم يكن مرتاحاً لهذا التعيين وهو يريد هذا المنصب لأحد أبنائه، لكن حجة عبد الله كانت أن ثلاثة من أبناء نايف في وزارة الداخلية المهمة والقوية سوف يثير حساسية أبناء عمومتهم.

سلمان غير المطمئن لوضعه بسبب تعيينه خارج هيئة البيعة وبعد حصوله على بيعة الأمراء في جدة وعلى بيعة المناطق عبر الأمراء، أراد أن تتم بيعة ثانية له في قصر الحكم في الرياض، وهذا ما رفضه الباقون محتجين أن كل أبناء عبد العزيز الذين تمت بيعتهم في جدة اكتفوا ببيعة جدة ولم يطلبوا بيعة في الرياض.

وتشهد العائلة السعودية المالكة غياب وجوهها الكبار الذين حكموا بعد والدهم مؤسس المملكة لمدة تزيد عن نصف قرن من الزمن، وهذا الغياب المتسارع والمتكرر بسبب كبر السن الذي بلغه حكام المملكة من أولاد عبد العزيز آل سعود، تزامن مع فورة مالية هائلة تنزل يومياً على المملكة، وظهور الجيل الثالث من الأحفاد الذي يرى في غياب الجيل الأول صراعاً للوصول للحكم أكثر منه فرصة للوصول إليه، وقد أدى موت نايف وهو رجل الأمن القوي في العائلة والمقرب من المنظومة الدينية الوهابية، إلى تسارع احتدام الخلاف داخل أقطاب العائلة.

وشعر أولاد سلطان أنهم في طريقهم إلى الخروج من السلطة في حال استمر سلمان وزيراً للدفاع، المنصب الذي تولاه والدهم نصف قرن من الزمن، وهذا ما جعلهم يطالبون بعودة وزارة الدفاع إليهم عبر تعيين خالد بن سلطان قائد سلاح الطيران وزيراً للدفاع، كون سلمان الوزير الحالي أصبح ولياً للعهد، لكن عبد الله يريد أن يسحب الجيش من أولاد سلطان ويفتح تحالفاً لأبنائه مع سلمان وأولاده، خصوصاً أن ابنه متعب رئيس الحرس الوطني، القوة العسكرية الأكبر في المملكة والتي تتألف من أبناء القبائل، فيما تم استبعاد بندر بن سلطان في عملية تقليم أظافر أبناء سلطان في إطار العملية الكبرى الجارية لتنظيم توزيع مراكز الحكم في الأبناء بسبب هرم الآباء.

ما إن توفى الله الأمير سلطان حتى دارت الانظار بالاتجاه ابنه الأمير خالد الذي احتل منصب «نائب وزير الدفاع» أي نائب والده. وبالطبع هذا المركز (وزير الدفاع) يؤول (حتى الآن) إلى أحد أولاد الملك عبد العزيز، لأنه كما يقال في القصر هو من المراكز «الماسية» التي لم يستحوذها (حتى الآن) سوى أبناء مؤسس المملكة.

بالطبع تراجعت صلاحيات الأمير خالد مباشرة بعد أن «حلّ عمه مكان أبيه» أي الأمير سلمان. وكما استعمل الأمير خالد صلاحيات والده للإمساك بمقاليد وزارة الدفاع، استعمل الأمير محمد بن سلمان موقع والده الوزير الجديد للتأثير على مسار

الوزارة. وبعد أن توفى الله الأمير نايف وتعين الأمير سلمان ولياً للعهد زادت سطوة ابنه الأمير محمد بن سلمان وزادت الضغوط على الأمير خالد من قبل ابن ولي العهد أي الأمير محمد بن سلمان.

ولجأ الأمير محمد إلى مناورة ذكية جداً لتهميش الأمير خالد، فهو عمد إلى سحب صلاحياته رويداً رويداً إذ أقنع والده باستصدار أمر يلزم كل إدارات وزارة الدفاع بالعودة إلى مكتب الوزير في شؤون الوزارة كافةً، على أن يقرر مكتب الوزير «ما يجب أن يراه ويطلع عليه نائب الوزير». أي أنه سحب من الأمير خالد كل صلاحياته أكان ذلك في التعيينات أم في تحركات الجيش أو في الصفقات العسكرية. وبالطبع آلت هذه الشؤون التي كان يتولاها الأمير خالد عوضاً عن والده سلطان، إلى الأمير محمد عوضاً عن والده الأمير سلمان.

وبكثير من الصمت والريبة راقب كل من محمد بن نايف ومتعب بن عبد الله عملية «تقزيم» صلاحيات الأمير خالد ولم يحركا ساكناً لـ«نجدته» على أساس أنه «منافس محتمل على ولاية العهد» لأنه مثلهم ومثل محمد بن سلمان من أحفاد عبد العزيز.

جميع الأمراء من اولاد العمومة كانوا يترقبون لحظة إعفاء الأمير خالد، التي بدت «آتية لا محالة» بعد أن بات من دون أي صلاحيات في وزارة الدفاع وبعد أن ابتعد عنه المقربون الذين «يستشعرون تغيير مجرى رياح الحظوة». إلاّ أن إبعاد أمير عن مركز

مهم مثل هذا المركز بعد وفاة والده الذي كان ولياً للعهد ليس بالأمر البسيط لأنه يخلخل توازنات عائلية معقدة.

وبالطبع فإن الملك عبدالله، رغم مشاكله الصحية، ولربما بسبب هذه الأزمات الطبية، كان حريصاً على التوازنات داخل العائلة المالكة، إذ يقول المصدر بأنه «مشغول البال بسبب انسداد أفق إيجاد حلول دائمة لولاية العهد والملك بعد انتهاء عقد أولاد عبد العزيز». ويضيف بأنه لم يكن يريد أن يبدو وكأنه «يحضر شؤون ولايات العهد والملك» باستبعاد هذا أو ذاك من أحفاد عبد العزيز خصوصاً وأن خالد من الجُب السديري (مثل فهد وسلطان). رغم أنه حسب أكثر من مصدر (ومنها «مجتهد» الذي يدعي معرفة ما يدور في قصور آل سعود)، كان متضايقاً جداً من تصرفات الأمير خالد بشكل عام، وخصوصاً بالنسبة لفشله في «حرب الحوثيين» على الحدود اليمنية. وكان والد الأمير خالد الأمير سلمان يطيّب من خاطره ويحمي ولده.

ولكن كما يقال «غلطة الشاطر بألف» فقد ارتكب الأمير خالد هفوة كبيرة جداً كانت مناسبة لمن يتحضر لإبعاده عن مراكز القرار.

ورغم أنه محاصر ولا يستطيع إقرار أي صفقة أو عقد شراء بسبب استحواذ مكتب الأمير سلمان (أي ابنه الأمير محمد) على قرارات الوزارة كافة، فهو قرر تجاوز هذا الأمر والخروج من هذا الحصار عبر عقد صفقة مع الصينيين مباشرة من دون المرور بمكتب الوزير لتجديد منظومة الصواريخ الصينية التي تعمل في المملكة

(منظومة سي أس أس ـ 2 التي اشترتها السعودية من الصين في عام 1987)، ولكن. . . دون أن ينسق أو يخبر الملك عبدالله.

وقد اكتشف الأميركيون أمر هذه الصفقة واحتجوا لدى السلطات السعودية وبشكل خاص لدى الأمير سلطان وزير الدفاع. والمعروف أن العلاقة بين الأمير خالد والأميركيين متراجعة جداً منذ بداية حرب الحوثيين على الحدود اليمنية.

وقد استفاد «فريق سلمان» من افتضاح أمر الصفقة لاستثارة الملك عبدالله الذي وقع أمراً ملكياً بإعفاء الأمير خالد بناء على طلب وزير الدفاع الأمير سلمان.

الغريب أن الذي عُيِّنَ محل الأمير خالد هو الأمير فهد بن عبد الله وهو فريق ركن متقاعد، سبق للأمير خالد (المقال) أن أقاله قبل سنتين. وها هو «المُقَال يحلُّ محلَّ المُقِيل».

أولاد الملك فهد غير راضين أيضاً، ووصلت العلاقة بين محمد بن فهد الأمير السابق للمنطقة الشرقية[1] والملك عبدالله إلى شبه قطيعة بعد رفض محمد بن فهد كل التعيينات التي اقترحتها الرياض في منطقته، وهذا من حقه دستورياً حسب نظام الحكم في مملكة آل سعود، وعلى خلفية هذا الخلاف العائلي حول تقاسم السلطة والنفوذ بدأ محمد بن فهد عملية تقارب مع الشيعة وهم

(1) عزله الملك عبد الله من منصبه في 14 كانون اول عام 2013 وعين مكانه سعود بن نايف

الغالبية الساحقة من سكان المنطقة الشرقية، مع أن هذا التقارب ما زال خجولا لكنه يسعى عبر هذه السياسة إلى فرض نفسه في أي توزيع مستقبلي للسلطة بين الأحفاد، خصوصاً إن أولاد فهد لا يملكون سلطة عسكرية وأمنية كما هي الحال عند أولاد عبد الله ونايف وسلطان وسلمان.

ويعيش سلمان[1] كما عبدالله وضعاً صحياً لا يقل سوءاً عن وضع نايف [= الوضع الذي كان عليه نايف قبيل وفاته] لذلك من المتوقع أن تشهد الفترة القليلة المقبلة تفسخا كبيراً في المملكة في حال غياب عبد الله أو سلمان خصوصاً أن الوضع في اليمن بدأ بالخروج عن الاحتواء الذي أرادته السعودية، فضلاً عن أن عدم سقوط النظام السوري يجعل آل سعود عرضة لمخاطر انتقال الربيع العربي إلى دارهم، هذا مع الإقرار بفشل القبضة العسكرية السعودية في إخماد الانتفاضة في البحرين، تختم المصادر الدبلوماسية العربية حديثها.

عبدالله يحضر متعب للمُلك والحرس الوطني ينوي شراء طائرات حربية لأول مرة

فتحت الولايات المتحدة بازار انتقال السلطة في ممالك ومشيخات الخليج العربي النفطية عبر عملية انتقال الحكم في قطر

(1) موقع انتجلنسيا الاستخباري أيار 2013.

وتسليم حمد بن خليفة آل ثاني السلطة لابنه الأوسط تميم، في عمل نسقته واشنطن وأخرجته تحت عنوان انتقال السلطات للجيل الشاب، مثيرة بذلك حفيظة حليفها الخليجي والعربي والإسلامي الأهم المملكة العربية السعودية التي تعيش منذ فترة طويلة صراعاً صامتاً وخفياً على السلطة عززه موت أبناء عبد العزيز آل سعود واحداً تلو الآخر، وتدخل الإرادة الإلهية في ترتيب الوفيات بحيث مات اثنان من أولياء العهد قبل الملك الحالي، ما جعل مشروع هيئة البيعة الذي وضعه عبدالله بن عبد العزيز في مهب الريح، حيث لم تنفذ أي من بنود هذا المشروع خصوصاً في عملية تعيين نايف ومن بعده سلمان في منصب ولي العهد.

بالنسبة للولايات المتحدة، التجربة على انتقال الحكم نفذت في قطر، والسعودية هي بيت القصيد في سعي واشنطن الحثيث للحيلولة دون وصول رياح التغيير العربي إلى أبواب مملكة آل سعود النفطية، وما يمكن ان ينتج عن هذه الرياح من خسائر كبيرة لواشنطن على الصعد كافة، خصوصاً في ظل الصراع القوي بين أجنحة العائلة الحاكمة من أجل السيطرة على مراكز القوى داخل المملكة، وبدأت نُذر الخطر تدق لدى واشنطن بعد ان اتخذت صراعات العائلة السعودية منحًى خطيراً عبر عملية العسكرة التي ينتهجها أطراف الصراع في العائلة الحاكمة، ومحاولة عبد الله بن عبد العزيز السيطرة على الجيش الذي كان في عهدة آل سلطان حتى وقت قريب عندما تم عزل خالد بن سلطان من منصب نائب وزير

الدفاع ما وضع الجيش بيد وزير الدفاع، سلمان بن عبد العزيز الذي يدير الوزارة عبر ابنه محمد في وقت يسيطر عبد الله عبر ابنه متعب على الحرس الوطني، الجسم العسكري الكبير الموازي للجيش في السعودية.

عملية انتقال السلطات إلى الجيل الثاني التي افتتحتها الولايات المتحدة الأميركية في قطر يبدو أن ملك السعودية تلقفها بسرية تامة لتسليم ابنه متعب زمام الملك بدلا من عمومته المتبقين على قيد الحياة في حال وفاة الملك، وينتهج عبدالله بن عبد العزيز في مسعاه هذا خطين:

أ ـ الدفع بابنه متعب لبناء علاقات دولية.

ب ـ السيطرة على الجيش السعودي وضمه للحرس الوطني.

في مسعاه لتحقيق هذين الهدفين قام الملك عبدالله بخطوة أولى أخيراً وأصدر مرسوماً ملكيا بتاريخ 28 أيار عام 2013 [1] رفّع بموجبه متعب لمرتبة وزير جاعلاً من الحرس الوطني وزارة قائمة بذاتها، كما تمت ترقية متعب عسكرياً إلى رتبة لواء وبدأ على أثرها العمل على تنفيذ الشرط رقم واحد وبناء علاقات دولية، وكانت اولى إطلالات متعب الدولية زيارة رسمية قام بها إلى العاصمة الفرنسية باريس منتصف شهر حزيران الماضي حيث التقى وزير الدفاع الفرنسي (جان إيف لودريان) يوم 18 حزيران ومن ثم التقى

(1) صحيفة الشرق الأوسط وصحيفة الوطن السعودية.

الرئيس الفرنسي فرانسوا هولند يوم 19 حزيران وهو يحضر لزيارتين رسميتين على الصعيد الدولي بعد باريس الأولى إلى لندن والثانية إلى واشنطن وكلتا الزيارتين حدّد موعدهما في خريف السنة نفسها.

في الشق الثاني من الخطة، أي الشق العسكري، وهو الأكثر أهمية في صراع النفوذ والخلافة، ما لم يعلن من زيارة فرنسا هو الوفد الذي رافق متعب بن عبدالله حيث كان إلى جانبه مسؤولان من شركة (قيصر العالمية) وهي شركة فرنسية صغيرة تعمل في مجال الاستشارة العسكرية لدى الحرس الوطني السعودي بما في ذلك عملية النصح في مجال شراء معدات عسكرية من مختلف الأنواع، أما المسؤولان فهما صاحبا الشركة الأخوان (جيم فرانسيولي) و(جورج فرانسيولي) اللذان رافقا متعب في زيارة قام بها للمعرض الدولي السنوي للطيران الذي يقام سنوياً في مطار بورجيه العسكري في ضاحية باريسية، وحسب المعلومات المؤكدة ينوي متعب شراء طائرات حربية لصالح الحرس الوطني، الذي هو بالأساس قوة برية، وكان سلطان بن عبد العزيز الذي تولى وزارة الدفاع في السعودية طيلة نصف قرن منع شقيقه عبدالله الملك الحالي والذي أسس الحرس الوطني، من شراء طائرات حربية للحرس الوطني طيلة حياته، وحسب مصادر عسكرية فرنسية قرر عبدالله بن عبد العزيز توسيع قوة الحرس الوطني عبر شراء طائرات حربية له وهو ينوي دمج الجيش السعودي والحرس الوطني ووضع ابنه متعب على رأس المجموعة في حال وفاة وزير الدفاع سلمان بن عبد العزيز الذي يعاني من بداية مرض (ألزهايمر).

ولا يبدو ان عبدالله ومتعب قلقان من عودة نفوذ بندر بن سلطان بسبب لونه، الذي لا يمكّنه من تولي سدة الملك كون والدته من أصل أفريقي، ويتولى بندر حالياً السياسة السرية للمملكة عبر إشرافه على ملفات عديدة أهمها الملف السوري، وهو يتولى منصب رئيس مجلس الأمن القومي ومنصب رئيس المخابرات الخارجية، وكان بندر قد قام بثلاث زيارات سرية خلال الأسبوع من 3 إلى 10 حزيران 2013 لكل من واشنطن وباريس ولندن لحث هذه العواصم على تسليح المعارضة السورية في سعي منه لإسقاط الرئيس بشار الأسد ما يعزز نفوذه في اوساط العائلة الحاكمة في عملية توزيع المغانم.

تبقى عقبة وحيدة وكبرى في وجه متعب متمثلة بابن عمه محمد بن نايف الذي خلف والده في منصب وزير الداخلية في شهر أيلول الماضي. ومحمد هذا، الذي كان سعد الحريري قد نعته بالسفاح امام محقق في لجنة التحقيق الدولية في عملية اغتيال الرئيس السابق رفيق الحريري، يتمتع بعلاقات دولية كبيرة خصوصاً مع اجهزة المخابرات العالمية، وهو كان استقبل بشكل رسمي في البيت الأبيض نهاية العام الماضي ومن ثم في لندن بداية العام الحالي وبعدها في باريس خلال الأسبوع الأخير من شهر أيار الماضي قبل متعب بوقت طويل، ويسيطر محمد بن نايف على وزارة الداخلية التي تحوي قوات عسكرية نظامية على رأسها قوة (فهود نايف) التي نفذت عملية غزو البحرين منذ عامين.

تسريح عشرات الضباط الموالين لخالد بن سلطان في قيادة الجيش السعودي

وفي عملية إنهاء نفوذ آل سلطان في الجيش السعودي لترتيب التوريث إلى الجيل الثاني، التي يقوم بها عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ملك السعودية، أوكل المهمة لابنه متعب بن عبدالله بن عبد العزيز آل سعود رئيس الحرس الوطني والوزير المستحدثة وزارته منذ شهر ونصف الشهر.

وتقضي الخطة الموضوعة من قبل الملك وابنه بتسريح عشرات الضباط من قيادة الجيش السعودي الذين أتى بهم سلطان بن عبد العزيز عندما كان وزيراً للدفاع وعملوا مع نجله خالد طيلة عقود طويلة، وهؤلاء الضباط أصبح لهم ولاء خاص لعائلة سلطان وتحديداً لخالد بن سلطان الذي عزله الملك عبد الله من منصب نائب وزير الدفاع يوم 20 نيسان الماضي وعين مكانه فهد بن عبدالله بن محمد آل سعود، وهو ليس من نسل عبد العزيز آل سعود، في مسعى من عبدالله لتجنب الخلاف داخل العائلة على منصب خالد بن سلطان ومن أجل تسهيل المهمة التي يسعى لها وهي دمج الجيش والحرس الوطني في المستقبل القريب تحت قيادة متعب بن عبد الله.

وتتجه الأمور في توزيع المغانم المستقبلية للحكم في السعودية بين ثلاثة بيوت من أولاد عبد العزيز وهم؛ بيت الملك عبدالله الذي يملك الحرس الوطني الذي أصبح وزارة، وبيت نايف

الذي يملك الأمن الداخلي وقوة عسكرية فيه تسمى صقور نايف قامت باجتياح البحرين منذ عامين، أما الجيش الذي تسلمه آل سلمان فلا يزال لآل سلطان نفوذ داخله وهم الذين أداروه مدة نصف قرن كاملة، ويبدو أن محاولة إخراج آل سلطان من الحكم نهائياً تواجه عقبات جديدة من قبل أميركا ونافذين في الجيش في توزيع القوى الجديد، ما دفع خالد إلى محاولة استباق الخطر عبر انقلاب فاشل، وخالد متهم من قبل العائلة بتوريطها بحرب اليمن الأخيرة التي أظهرت الضعف العسكري للجيش السعودي، ولم يبقَ في آل سلطان سوى بندر الذي يريد الحفاظ على مكان له في التركيبة المقبلة عبر تسلّمه للملف السوري وسيطرته على الائتلاف السوري المعارض عبر ميشال كيلو الذي اصبح رجله الخاص في المعارضة السورية، ويريد عبدالله ومتعب ومعهم وزير الدفاع سلمان توريط بندر في الملف السوري حتى يحين موعد التسوية فيتهمونه بالفشل ويسحبون من يده ما تبقى من سلطة لآل سلطان كما فعلوا مع شقيقه غير الأخ خالد، وبندر شخصياً لا يُخشى جانبه في عملية تولي الحكم بينما إخوته يحسب لهم حساب كون امهاتهم من أصل عربي.

وأوكل الملك عبدالله امر تنظيف الجيش من آل سلطان في أيار 2013 إلى فهد بن عبدالله بن عبد الرحمن، كما أوكل إليه تسوية الوضع في الجيش لصالح دمجه والحرس الوطني تحت إمرة متعب الذي يستمر نجمه في الصعود داخل العائلة الحاكمة السعودية. ويريد الملك عبدالله ان يعزز متعب نفوذه العسكري في

المملكة ما يمكنه من تسلّم الحكم خصوصاً ان ولي العهد وزير الدفاع سلمان بن عبد العزيز مريض بداء (ألزهايمر) ما يسهل المهمة على عبدالله وابنه متعب في تسوية أوضاع الجيش مع مراعاة سلمان وأولاده في تقاسم المناصب في المستقبل الذي لا يبدو بعيداً بعد التغيير الذي حصل في قطر الذي قادته الولايات المتحدة بكل تفاصيله وعينها على السعودية التي تريد واشنطن تأمين انتقال سلس فيها بين الجيل الحالي والجيل الثاني في العائلة المالكة من دون مشاكل تذكر في بلد تعتبره واشنطن عماد سياستها واستراتيجيتها في منطقة الشرق الأوسط وفي العالمين العربي والإسلامي.

أبلغ الملك عبدالله واشنطن نيته توريث ابنه الحكم بعد تبلغه قرار واشنطن نقل الحكم للجيل الثاني في دول الخليج النفطية وتنفيذ نموذج عن عملية الانتقال في مشيخة قطر، وهذا ما يتم العمل لتحقيقه عبر هذه التغييرات السعودية التي يقوم بها عبدالله بتنسيق كامل مع واشنطن في وقت يبدو فيه ان ذهاب المعارضة السورية إلى احضان بندر يهدف لحرقه وحرقها معاً كما حصل للمعارضة المصرية مع الحكم الجديد في مصر.

منذ بداية الأحداث في العالم العربي عام 2010، عملت السعودية جاهدة وبشتى الوسائل على منع التحركات العربية هذه من الوصول اليها والتأثير على نظامها الذي يعد أكثر الأنظمة العربية تخلفاً وتشدداً وقمعاً للحريات.

ومنذ أحداث درعا في آذار عام 2011 والتي أنذرت ببدء

الأزمة السورية التي تحولت إلى حرب اهلية، إقليمية ودولية في سوريا وعليها، جهدت السعودية لدعم أكثر المعارضين السوريين تطرفاً وتشدداً وأكثرهم طائفية، وحشدت القوى السلفية التكفيرية العالمية في سوريا اغتناماً للفرصة الآتية التي يمكن للعائلة السعودية الحاكمة من خلالها التخلص من عدوها العربي الأول الرئيس السوري بشار الأسد حليف إيران في العالمين العربي والإسلامي، وهي بعملها المستميت لإسقاط النظام في دمشق عادت إلى سياستها التي اتبعت منذ إسقاط نظام الرئيس العراقي صدام حسين من قبل حليفتها أميركا التي استخدمت الأراضي السعودية لغزو العراق، وأمنت السعودية لأميركا خلالها الغطاء العربي، والإسلامي بالفتوى في غزوها واحتلالها لبلاد الرافدين حتى كان الخلاف الكبير بين الحليفين الأميركي والسعودي حول العراق بسبب ما تسميه السعودية سيطرة الشيعة في العراق ونظرية بندر التي بقيت تسوق لها السعودية منذ العام 2003 حتى اليوم وهي (سوريا مقابل العراق) أو (المالكي مقابل بشار)، وكان هذا الشعار أطلق إبان ولاية نوري المالكي الأولى عام 2005، وفي هذا الموقف السعودي يتحدث مسؤولون وإعلاميون غربيون وفرنسيون تحديداً عن ضغوط سعودية مستمرة منذ عام 2004 تحث الغرب على ضرب إيران وسوريا، ويروي مسؤولون فرنسيون في مجالسهم الخاصة عن فحوى حديث جرى بين ديك تشيني نائب الرئيس الأميركي السابق جورج بوش، وبين الأمير بندر بن سلطان بن عبد العزيز وكان يومها يشغل منصب سفير السعودية في واشنطن، وقال فيه بندر لديك تشيني يجب

الأخذ بعين الاعتبار مصالح السنة في العراق وإعطاؤهم سلطات تناسب حجمهم البشري، فرد عليه تشيني: وهل هذا ينطبق على الشيعة في الخبر؟ [= وقد سبق الاستشهاد بهذا الحوار في موضع سابق].

أتت الحرب السورية لتزيد من التشدد السعودي ولم تتغير السياسة السعودية في عداء المحور العربي المتحالف مع إيران، وكانت مدينة القصير وريفها في أولويات التدخل العسكري السعودي في سوريا، وظهر الوجود السعودي في القصير وريفها مع بداية صيف عام 2011، عبر مشايخ سلفيين لبنانيين وأجانب عملوا بداية في شمال لبنان وفي مدينة طرابلس[1] قبل ان يتمكنوا من التمدد إلى القصير وريفها حتى سيطروا على كامل المنطقة قبل أن يتدخل حزب الله عسكرياً وينهي هذه السيطرة على مراحل عدة بين نيسان وتموز 2013.

ومنذ بداية الأحداث السورية كان هناك تحالف غير معلن بين إسرائيل والسعودية يهدف لإسقاط الرئيس السوري بشار الأسد. ويكفي قراءة المواقف السعودية والإسرائيلية في شهر آب 2013 أثناء التهديدات الأميركية بشن حملة عسكرية على سوريا... كيف يتوحد السعودي والإسرائيلي في هدف واحد ضد الأسد؟!

واتضحت خيبة الأمل السعودية ـ الإسرائيلية من تردد أوباما في

---

(1) صحيفة لوفيغارو الفرنسية أيار عام 2012.

ضرب سوريا في شهر آب عام 2013 في تصريحات وزير الخارجية السعودي أمام الجامعة العربية في القاهرة حيث قال إن الكلام لم يعد كافياً[1].

ويومها قال سامي الفرج المحلل الكويتي الذي يقدم المشورة لمجلس التعاون الخليجي في القضايا الأمنية إن الرياض وحلفاءها في المجلس يواجهون خطر الخروج خالي الوفاض من أحدث مساعيهم للحصول على دعم الولايات المتحدة في حملتهم لكبح جماح إيران.

وذكر أن فكرة المعاقبة (الكيماوية) على الجريمة فقدت نكهتها وأن هناك احتمالُ ألا يتم اتخاذ إجراء عسكري، مضيفاً أن الكونغرس سيضع بالطبع شروطا للضربة المقرر بالفعل أن تكون محدودة.

وأشار إلى أن الحلفاء الخليجيين قد يخرجون في النهاية خالي الوفاض.

ورغم عدم ارتياح إسرائيل تجاه مقاتلي المعارضة السورية الذين اطلقوا في بعض الاوقات النيران على مرتفعات الجولان التي تحتلها إسرائيل فإن إسرائيل تتخذ موقفاً مناهضاً للأسد بعد أن تأقلمت على التعايش مع الرئيس السوري ووالده على مدى الأربعين عاماً الماضية.

وقال مسؤول إسرائيلي إن رسالة نتنياهو واضحة «هناك رجل

---

(1) نيويورك تايمز، آب 2013.

يسيطر إسمياً على سوريا ويستخدم الأسلحة الكيماوية ضد المدنيين. يجب أن يتوقف هذا الأمر»[1].

ويتردد القول نفسه في الرياض. وقال عبد الله العسكر رئيس اللجنة الخارجية في مجلس الشورى إن الضربات الأميركية يجب ان تهدف إلى إنهاء حكم الأسد.

وأضاف العسكر الذي قال لرويترز إنه يتحدث بصفة شخصية «إذا كان الهجوم مجرد عقاب لإظهار أن المجتمع الدولي لن يسمح بارتكاب هجمات بالأسلحة الكيماوية، فإن الأسد سيظل في مكانه وسيقوم بعمله الدموي. . السيناريو الثاني هو انهاء هذا العمل».

وقال المحلل الخليجي مصطفى العلاني الذي تربطه صلات جيدة مع المسؤولين السعوديين إن المملكة تحذر واشنطن أيضاً من أن عدم مهاجمة الأسد سيفيد عدوهما المشترك وهو القاعدة. وأضاف «عدم التحرك سيؤدي إلى تعزيز موقف المتطرفين» موضحاً ان يأس مقاتلي المعارضة من تقاعس أميركا تجاه الوضع في سوريا سيدفع المزيد من المقاتلين لتحويل ولائهم إلى المتشددين الإسلاميين.

وقال العلاني مقتبساً ما قال إنها حجة سعودية «سيحظى مقاتلو المعارضة بدعم أوسع وسيجتذبون المزيد من المقاتلين المعتدلين ما لم تتم معاقبة النظام (السوري)».

وتشارك الرياض بالفعل مقاتلي المعارضة السورية في شعورهم

---

(1) هآرتس آب 2013.

بالإحباط إزاء نقص وصول المساعدات العسكرية الأميركية لسوريا رغم تعهد أوباما في يونيو حزيران 2013 بتكثيف المساعدات بعد استخدام الغاز السام للمرة الأولى.

ويبدو أن السعودية تعتمد في معارضتها للتوجه الأميركي على دعم إسرائيلي جدي، وهذا ما كشفت عنه صحيفة هآرتس حيث قالت إنه بينما كان كيري يلتقي نظيره الإيراني على هامش اجتماعات الأمم المتحدة، كان هناك لقاء إسرائيلي سعودي سعودي يعقد بالتزامن مع اللقاء الأول، وتحدثت هآرتس‌عن حفل عشاء مغلق أقامه المعهد الدولي للسلام في نيويورك وجلس حول الطاولة حوالى 40 مسؤولا كبيراً من مختلف انحاء العالم من بينهم تسيبي ليفني إلى جانب وزراء خارجية تركيا، قطر، المغرب، الكويت، الأردن، مصر، العراق وامين عام الجامعة العربية الدكتور نبيل العربي، وبعد المحاضرتين اللتين القاهما بيل وميلندا غيتس جاء دور استعراض المفاوضات الفلسطينية الاسرائيلية من قبل السيد ياسر عبد ربه وتسيبي ليفني ومارتن أنديك، وبعدها جرت مناقشة الموضوع الإيراني ولم ينسحب أحد، ولم يهاجم أي من المسؤولين العرب اسرائيل.[1].

السيطرة على المعارضة السورية سياسياً وعسكرياً

في شهر حزيران 2013 قامت السعودية بشخص بندر بن

---

(1) المصدر السابق ايلول 2013

سلطان بن عبد العزيز بدعوة الشخصيات المعارضة المقربة من الائتلاف السوري المعارض فرداً فرداً إلى الرياض لوضعهم في صورة القرار الأميركي بتسليم السعودية إدارة الملف السوري وكف يد القطري؛ وقد طلب بندر من الجميع الابتعاد عن جبهة النصرة وجماعة الإخوان المسلمين حتى يستمر الدعم السعودي للمعارضة السورية، مُبلغاً من استقبلهم أن الأميركي نزع الملف السوري من يد القطري لمصلحة السعودي، وحدد بندر لمن استقبل من المعارضين الهدف السعودي الحالي بإسراع المعارضة السورية بالاتفاق على وفد موحّد، وإلا سوف يجبرون على ذلك كما أجبروا في شهر تشرين الثاني عام 2012 في العاصمة القطرية الدوحة على تشكيل الائتلاف الوطني، وكما أجبروا على تعيين غسان هيتو في اجتماعهم في اسطنبول في شهر آذار الماضي. ويبدو أن الولايات المتحدة شبه ضائعة في كيفية إدارة خلافات المعارضات السورية وتشرذمها فضلاً عن الانزعاج الأميركي من هيئة التنسيق الوطني التي سوف تكون حاضرة من ضمن حصة المعارضة.

وتسعى الولايات المتحدة إلى فرض حضور عسكريين من قيادات الجماعات المسلّحة وتضع اسم (سليم إدريس) رئيس قيادة الأركان المشتركة في الوقت الذي ترفض فيه جماعات مسلحة الذهاب إلى جنيف، فيما لا تعترف جبهة النصرة بقيادة إدريس ولا بمرجعية غير مرجعيتها، وهي صعدت من رفضها للذهاب إلى جنيف مع خروج الملف السوري من اليد القطرية ومحاولة السعودية إضعاف سيطرة جماعة الإخوان المسلمين على المعارضة السورية

إذا لم تتمكن من القضاء على هذا النفوذ. وهنا في هذه المعمعة والصدام المباشر تظهر العلاقة العضوية بين جماعة الإخوان المسلمين وجبهة النصرة.

أتت الأحداث السورية بمفعول عكسي كالذي حصل في العراق بعد أن احتلته أميركا هناك تغير في دوائر القرار الغربية التي طالما عملت على أن تكون السعودية قوة الردع الموازية لإيران في المنطقة بعدما رفض الأتراك دخول لعبة المحاور، هذه الدوائر بدأت الحديث والتفكير جدياً في نجاعة النموذج السعودي في المنطقة العربية، خصوصاً بعد التدخل العسكري السعودي في اليمن الذي أظهر محدودية القوة السعودية عسكرياً وسياسياً رغم الإمكانات المالية الهائلة. في هذا تقول فتيحة دازي مؤلفة كتاب ممالك الخليج، والمستشارة لدى وزارة الدفاع الفرنسية، أن السعودية دولة غنية جدا، ولكن المال الوفير لا يصنع لوحده دوراً استراتيجيا ومهماً للدول.

ولم يقتصر هذا التراجع في أهمية النظام السعودي الحاكم على ما ذكرنا، بل وصل إلى حد اقتناع النخب السياسية في الغرب بأن العائلة السعودية الحاكمة هي أصل انتشار التطرف وتربيته في العالم الإسلامي، فضلاً عن أنها تقوم على نموذج للحكم غير قابل للحياة طويلاً، وقد أشار إلى هذا صراحة (آلن شوييه) المدير العام السابق لجهاز المخابرات الخارجية الفرنسي (د ج أس أو) الذي شن هجوماً عنيفاً على عائلة آل سعود وعلى نظام الحكم في المملكة

العربية السعودية الذي اتهمه بأنه النظام المغذي للعنف وبلد التطرف والتعصب الإسلامي، وليس إيران أو العراق.

الآن وبعد الثورات التي تحف بالعالم العربي، فإن هناك إعادة رسم للخريطة الجغرافية السياسية في المنطقة والعالم على حدٍّ تعبير وزير خارجية فرنسا ألان جوبيه. ومعالم هذ الخارطة المؤثرة كما يراها النخب في الغرب لا تتناسب مع استمرار النظام في السعودية على هذه الشاكلة، لأن التحولات العربية الحاصلة تجعل دعم الغرب لهذا النظام عبئاً عليه، ومزيداً من الاستعداء للجماهير العربية التي لم تعد تخشى أنظمتها.

العداء الثابت مع موسكو

في عام 1982 كان الاتحاد السوفياتي يمر بأسوأ أزمة اقتصادية بسبب الحرب في أفغانستان والحصار الذي فرضته الولايات المتحدة الأميركية على التقنيات اللازمة لصناعة النفط السوفياتية وقد أجبرت واشنطن الدول الأوروبية التي كانت اتفقت مع الاتحاد السوفياتي على بناء خط انابيب نفط وغاز من سيبيريا بطول 5700 كلم على وقف التعاون مع موسكو في هذا المشروع، ما أجبر الاتحاد السوفياتي حينها على بيع كميات كبيرة من الذهب وصلت إلى 250 طن من المعدن الأصفر عام 1983.

في بداية عام 1982 كان مدير عام وكالة الاستخبارات الأميركية حينها (وليام كايسي) على مائدة فهد بن عبد العزيز الذي كان ولياً للعهد ومسؤولاً مباشراً عن السياسة النفطية في بلاده.

كان كيسي يروي لفهد تاريخه في العمل الإستخباري إبان الحرب العالمية الثانية وضد النازية ومن ثم ضد الشيوعية. وكان فهد يبدي إعجابه بضيفه وعلق بالقول (السوفييت هم الكفار الحقيقيون). وجه فهد أسئلة كثيرة إلى (كايسي) حول جدوى العقوبات على موسكو، وكان سعيدا بالأجوبة، فهو في نهاية المطاف يرى أميركا تنهي بالضربة القاضية منافساً مهماً في اسواق النفط العالمية.

كانت تقارير المخابرات الأميركية التي تصل لمكتب (كايسي) تتحدث عن هبوط سريع في انتاج النفط السوفياتي في اكثر من حقل نفطي بسبب نقص الأنابيب الضخمة اللازمة عند حفر آبار جديدة وهذه الانابيب لا تصنع إلاّ في الغرب، وقدرت المخابرات الأميركية حاجة السوفييت حينها بين 15 و20 مليون طن من الأنابيب المصنوعة من الصلب فضلاً عن أنابيب الغاز، وكانت التكلفة أيضاً تفوق قدرات الاتحاد السوفياتي من العملة الصعبة.

طلب (كايسي) من فهد خفض أسعار النفط السعودي مرة أخرى وشرح الأميركي للسعودي سببين لهذا الطلب هما تعزيز قدرة الاقتصاد الأميركي، ما يقوي موقع السعودية التي لها مصلحة كبيرة في رؤية حليفها يقوى.

انتظر السعوديون سنتين لتلبية الطلب الأميركي وكانوا يراقبون تأثير العقوبات الأميركية على الاتحاد السوفياتي وغير مستعدين للمغامرة ضد السوفييت قبل معرفة نتائج الحصار الأميركي لكن

السوفييت شنوا هجوماً استباقيا في بداية عام 1983 وأغرقوا السوق العالمية بكميات كبيرة من النفط ما اضطر (اوبيب) لخفض أسعار النفط من 34 إلى 29 دولاراً للبرميل، ما أثر على مداخيل السعودية.

غير ان القلق السعودي كان في مكان آخر؛ كانت موسكو ترعى عملية تقارب سوري ايراني بشكل سري وكانت دمشق تحظى بدعم موسكو فيما كانت إيران في بداية صراع طويل مع السعودية.

عاش السعوديون حالة رعب وكان سفيرهم في واشنطن بندر بن سلطان في حالة انوجادٍ دائم في البيت الأبيض مطالبا بالمزيد من الأسلحة الحديثة وطائرات الأواكس وصواريخ ستينغر.

كان السعوديون متخوفين من القيام بعملية خفض لأسعار النفط قد تحدث انهياراً في الأسواق يسقط حكمهم، غير أن (كايسي) قال لفهد إن الرابح الأكبر من الأسعار المرتفعة للنفط هم أعداء المملكة: إيران ليبيا والاتحاد السوفياتي الذي يعيش على اسعار النفط المرتفعة [1].

كان الاتحاد السوفياتي يومها عملاقا عسكرياً باقتصاد دولة صغيرة، وكان الانتاج القومي لهولندا مثلاً يفوق الدخل القومي للاتحاد السوفياتي، لقد أثرت العقوبات بشكل غير متوقع على موسكو.

في عام 1985 قام الملك فهد بزيارة لواشنطن هي الأولى بعد توليه العرش، وقد أدت الزيارة إلى الاتفاق مع الأميركيين على

---

(1) بيتر شويتزر في كتاب النصر.

زيادة انتاج المملكة السعودية من النفط من أجل تسريع انهيار الاتحاد السوفياتي وخنقه اقتصادياً.

لقد تم التحضير لهذه الزيارة بعناية فائقة واستُقبل الملك السعودي بأعلى درجات العناية في البيت الأبيض، وأعلن الرئيس الأميركي رونالد ريغان عن دعم واشنطن للمملكة السعودية ولملكها الشجاع والشخصية الكبيرة.

بعد هذه الزيارة بأربعة أشهر فتح السعوديون حنفية النفط من دون حساب، وغرقت الأسواق بنفطهم لدرجة خنقت الاتحاد السوفياتي. في بداية عام 1985 رفع السعوديون انتاجهم من 2 مليون برميل إلى 6 مليون برميل يومياً ووصل انتاجهم إلى 9 مليون برميل مع نهاية عام 1985 ولامس 10 مليون برميل بداية عام 1986، واستمرت الأسعار في الهبوط نحو الهاوية حتى وصلت لحد 8 دولار للبرميل الواحد في وقت تكفلت كمية الانتاج الكبيرة بزيادة الأموال السعودية في مفارقة غريبة.

لقد تحقق الهدف ووقف الاتحاد السوفياتي على قدميه، إضافة إلى الصناعة النفطية الأميركية، وهذا ما لم يحسب له المخططون الاستراتيجيون في واشنطن حسابه، وذلك بسبب انخفاض سعر البترول الذي لم يعد يغطي تكاليف العمال والإنتاج بعد أن هبط من 35 دولاراً إلى 6 دولارات للبرميل الواحد ما أجبر صناعة النفط الأميركية على تسريح آلاف العمال وإعلان عن افلاس عشرات الشركات، وهنا كانت فرصة عائلة بوش التي اشترت غالبية هذه الشركات المفلسة بدولار رمزي للشركة.

في عام 1986 قام جورج بوش الأبَ، وكان نائباً للرئيس الأميركي رونالد ريغان، بزيارة للسعودية وأعلن قبل إقلاعه من المطار على متن طائرة سلاح الجو الأميركي المخصصة لنائب الرئيس: (سوف أقوم بكل ما بوسعي لإقناع السعودية، يجب أن نتكلم أخيراً في تثبيت أسعار النفط ووقْفِ هذا الإنحدار في الأسعار مثل مظليٍّ ألقى نفسه في الفراغ من دون مظلة).

فور وصوله إلى الرياض تناول العشاء في السفارة الأميركية في الرياض مع العديد من الوزراء والأمراء السعوديين الذين كان من بينهم الشيخ أحمد زكي اليماني وزير النفط السعودي. لقد اضطرب السعوديون عند سماع نائب الرئيس الأميركي يطالبهم برفع الأسعار، بينما منذ سنتين لم يتوقف الرئيس ريغان ومدير ال (سي أي إيه) عن مطالبتهم بخفض الأسعار.

في صبيحة اليوم التالي انتقل بوش إلى الظهران حيث كان الملك فهد هناك. تأجل اللقاء في البداية بسبب الهجوم الذي شنته زوارق إيرانية على سفينة سعودية بالقرب من مضيق هرمز، ومن ثم التقى الملك مع بوش على عشاء استمر حتى الساعة الثالثة صباحاً.

بعد الكلام عن الخطر الايراني انتقل بوش إلى موضوع النفط، لافتاً نظر فهد بن عبد العزيز إلى أن سعر برميل النفط سوف يصل إلى 5 دولارات ما يجعله مساوياً لسعر البرميل عشية الصدمة في تشرين أول عام 1973، ولكن هذه العودة إلى الخلف أتت بنتائج معاكسة، قال بوش.

ومن ثم فاتَحَ بوش فهد بصلب الموضوع الذي تحدث به مع اليماني، وقال له إن الضغوط كبيرة في واشنطن لرفع الضريبة على النفط المستورد، ومن الافضل أن يرفع السعوديون الأسعار تفادياً للإزعاج. وبهذا العمل بدأ جورج بوش الأب حملته الانتخابية الجدية مع حلفاء أوفياء ولديهم الإمكانات المادية الكبيرة.

أوصل السعوديون سعر برميل النفط الخام إلى 7 دولارات، وفي أيار عام 1986 وصل تقرير من المخابرات الأميركية إلى البيت الابيض[1] يعدد فيه الخسائر التي لحقت بالاتحاد السوفياتي جرّاء انخفاض اسعار النفط، والتي سببت له نقصاً حاداً في العملة الصعبة، ما أثّر على إنتاجه وشركاته النفطية، وعلى إمكاناته في استيراد التقنية الغربية، والمواد الغذائية والمواد الصناعية.

وحسب التقرير، فإن الخسائر التي مني بها الاقتصاد السوفياتي تقدر بـ 13 مليار دولار لم يتمكن السوفييت من تغطيتها عبر عمليات بيع الأسلحة لإيران وسوريا وليبيا، الذين وجدوا مداخليهم النفطية تهبط بشكل كبير في عام 1986 إضافة إلى التكاليف المالية للحرب في أفغانستان والتي كانت تكلف السوفييت 4 مليارات دولار سنوياً، ما أوصل الروس إلى العجز، وعدم الرغبة في لعب دور القوة العظمى.[2]

إنه الزمن، يعيد الأطراف نفسها إلى حلبة الصراع؛ فروسيا

---

(1) صحيفة واشنطن بوست ايار 1986
(2) واشنطن بوست 9 نيسان 1986

بوتين العائدة بقوة إلى المسرح العالمي تعلم جيداً دور السعودية في انهيار الاتحاد السوفياتي، وتدرك جيداً خطورة انتصار السعودية في سوريا على أمنها القومي، بينما تثبت عودة بندر أن واشنطن تدير المعركة بضغوط اللوبي النفطي وشركات صناعة الأسلحة نفسها، وبذهنية بوش، وإن تغير الشكل. والذي اختلف اليوم هو أن الساحة السورية هي المسرح لهذا الصدام.

في جلسة خاصة، قال لي مصدر عربي مقيم في فرنسا ويحظى بعلاقات طيبة مع العائلة السعودية، إنَّ الأمير بندر بن سلطان هو الذي حدّد سياسة المملكة العربية السعودية منذ عام 2001 وخصوصاً بعد احتلال العراق حيث عملت السعودية وفقاً لخطة وضعها هذا الأخير للعب على الوتر الطائفي بين السنّة والشيعة في مخطط لإسقاط النظام في سوريا ومحاصرة إيران وحزب الله.

وقد اعتمد بندر في تسويق سياسته على شقيق زوجته، وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل، الذي اتبع سياسة متطرفة في هذا الشأن طبقاً لنصائح بندر.

ويضيف المصدر العربي، إنَّ سعود الفيصل الذي يعاني من أمراض عدة، ضعيف أمام صهره بندر الذي يؤثر عليه بشكل كبير، كما أنَّ الخلافات وسط العائلة تجعل آل الفيصل يستندون إلى سلطان وأولاده في صراع سعود الفيصل مع عمه سلمان الذي طالب بوزارة الخارجية بسبب مرض الفيصل، فما كان من الأخير إلاّ أن خرج في مؤتمر صحافي علني يتحدى فيه عمه أن يأتي إلى وزارة

الخارجية ويأخذ المنصب منه. غير أن الأمور تبدلت بعد حرب تموز عام 2006، وسعي أميركا للتعاون السوري والإيراني في العراق ولبنان وأفغانستان.

على خط موازٍ، كان العمل الأمني السعودي في لبنان يلامس الخطوط الحمر بالعمل داخل المناطق الحيوية بالنسبة لحزب الله، كما حصل ويحصل في بلدة عرسال وعلى امتداد المنطقة الممتدة من عرسال إلى القاع مروراً على الحدود السورية، وفي الشمال اللبناني في منطقة عكار وفي داخل سوريا مدينة القصير وريفها، ما جعل مدينة الهرمل وقراها وهي معقل كبير من معاقل حزب الله وخزانه البشري وخط إمداده الخلفي، محاصرة من الجهات الأربع، ووصل المسلحون السلفيون إلى تل النبي مندو في ريف القصير وهذا جعل طريق إمداد السلاح بين سوريا وحزب الله تحت مرمى نيران المسلحين السلفيين.

الحرب على حزب الله

عندما تتحدث عن السعودية في الغرب، يتبادر إلى ذهن من يحاورك دولةٌ قطر، فالحرب الخفية بين النظامين خرجت أصداؤها من بلاط القصور الحاكمة في الخليج لتصل إلى أروقة صنع القرار في الغرب، ولطالما استخف المسؤولون السعوديون بقطر وحجمها أمام نظرائهم في الغرب، في الوقت نفسه كان الغربيون يتابعون باهتمام كل ما يصدر عن قناة الجزيرة القطرية، خصوصا أن هذه القناة انفردت بنشر تصريحات بن لادن، كما وضعت العراق في

أولويات تغطيتها للأحداث مع فرق عمل كثيرة وإمكانات كبيرة.

لقد أثر نجاح الجزيرة الإعلامي على نظرة الغرب إلى دول الخليج العربي وبالأخص السعودية، التي لم تعد مراكز القرار تعتبرها قوة الثقل الوحيدة في منظومة الإمارات والمشيخات الخليجية، وبدأ دور قطر بالبروز عبر الجزيرة التي احتاجها الغرب وخصوصا الولايات المتحدة، لتلطيف الاحتلال في العراق وأفغانستان وفلسطين في بعض الأحيان، ولتمرير بعض متطلبات السياسة الأميركية في المنطقة في اوقات أخرى. وهذا ما جعل الغضب السعودي كبيراً على كل ما هو قطري، ولم يتوانَ المسؤولون السعوديون في تحريض نظرائهم في الغرب على قطر، حصل هذا مرات عدّة مع الرئيس جاك شيراك كما يذكر كتاب (أسرار الرؤساء) للكاتب والصحفي الفرنسي فانسان نوزي أو كما يقول ريشار لابفيير صاحب كتاب (القصة السرية للقرار 1559) في حديث خاص. وامتد التحريض السعودي إلى الولايات المتحدة وبريطانيا في هذا المجال.

وفي مجال حرب السعودية على حزب الله، تروي مراجع كردية مقربة من حزب العمال الكردستاني قصة لقاء جمعها مع المعارض السوري المقيم في واشنطن نهاد الغادري قائلة إن الغادري أعرب عن إعجابه بالأمير بندر بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود وطريقة تفكيره في مواجهة إيران وحلفائها.

وأضافت المراجع ان الغادري شرح لها نظرة بندر بن سلطان حول كيفية محاربة المحور الممتد من طهران إلى لبنان مروراً

بالعراق وسوريا، والتي يرى فيها الأمير السعودي أن سوريا هي الحلقة الأضعف في هذا الحلف وهذا ما يحتم العمل على سوريا في عملية فك هذا الحلف وتقطيع أوصاله.

وتضيف المراجع الكردية العالية أن بندر خبير في الملف السوري فضلا عن الملف السلفي في سوريا ولبنان، وهو يتمتع بعلاقات كبيرة مع كل من عبد الحليم خدام وأشرف ريفي وله اتصالات مع بعض العشائر في سوريا أيضا.

المراجع الكردية تنقل عن الغادري قصة الزيارة التي قام بها عبد الحليم خدام إلى السعودية وكانت في شهر رمضان من عام 2005 واجتمع فيها مع الملك عبد الله بن عبد العزيز، ومن ثم خرج مع بندر بن سلطان إلى مطعم للعشاء واستمرت السهرة حتى الساعة الثالثة صباحاً، وفيها تم الاتفاق مع خدام على قلب النظام في سوريا، وتلقى خدام وعداً من بندر بالمساعدة في عملية إسقاط الأسد لأن سقوطه سوف يضعف إيران ويزيد من عزلتها والتمكن منها.

وقالت المراجع الكردية المسؤولة لو كنت مكان اللبنانيين لتعوذت بكل الشياطين من عودة بندر بن سلطان رئيساً للمخابرات السعودية، تقول المراجع الكردية، فالرجل مؤسس تنظيم فتح الإسلام، وممول كل التنظيمات السلفية التي عملت في لبنان ونفذت تفجيرات دامية في أكثر من منطقة فيه، كما أن له أصدقاء في 14 آذار تشجعهم عودته على تحدي حزب الله خصوصا مع تأزم

الأوضاع السورية، ولا شك أن لعودة بندر نتائج سلبية على الأمن اللبناني سوف تبدأ بالظهور تباعا.

غير أن الأساس في عودة بندر هذه هو الوضع السوري الذي يعتبر بندر الأول في العائلة السعودية الحاكمة الذي عمل على الشأن السوري وبالتحديد على إسقاط نظام الرئيس بشار الأسد.

ويبدو ان الملك عبدالله في عمله على تسوية الخلافات داخل العائلة الحاكمة اضطر إلى إعادة الاعتبار لنفوذ أولاد سلطان بعد أن نحّى بندر وهمّش خالد بن سلطان بسبب حرب اليمن ويعود قرار الملك السعودي إلى سببين:

أ ـ إعادة ترتيب الوضع الداخلي للعائلة الحاكمة مع بدء الاحتجاجات في القطيف واستمرارها في البحرين.

ب ـ الحاجة إلى بندر وعلاقاته وخبرته في الموضوع السوري الذي يستعجل السعوديون إنهاءه قبل امتداد النار إليهم.

ولا شك أن بندر سوف يعود لتطبيق خطته القديمة مع بعض التعديلات نظراً للأوضاع السورية المستجدة، لكن الوضع اللبناني سوف يكون في صلب خطته وعمله أمنياً وسياسياً ومالياً.

وتأتي عودة بندر بفضل مجموعة من المحافظين الجدد من الفريق المحيط بجون كيري، وغالبية هؤلاء عملوا سابقا مع منظمة الكونترا في نيكاراغوا، وهؤلاء هم من إرث جورج ويليام بوش الإبن في وزارة الخارجية الأميركية وما زالوا يتمتعون بعلاقات قوية ومتينة مع بندر الذي ينادونه في واشنطن بندر بوش، وهذه الجماعة

تمثل في الإدارة الأميركية مجموعات الضغط والمصالح النفطية وصناعة الأسلحة، ويعود تحالفها مع السعودية ضد الاتحاد السوفياتي السابق إلى سبعينات القرن الماضي وها هي تعود بعد أربعين عاماً لتواجه، على ارض سوريا، روسيا الاتحادية وريثة الاتحاد السوفياتي وإيران ما بعد الشاه وكلتا الدولتين منتجان كبيران للنفط كما هي حال السعودية.

عملت السعودية عبر حلفائها في لبنان على تحويل الحدود اللبنانية السورية إلى ممر آمن ومفتوح لتهريب السلاح وتدفّقه من لبنان إلى سوريا بكميات كبيرة رغم الإجراءات التي قام بها الجيش اللبناني في فترة متأخرة، والتي جعلت الجهات السياسية الإقليمية والمحلية القيمة على عمليات التهريب هذه تعيد تنظيم أوضاعها، وذلك بعد إقفال معبر الجورة في سهل القاع كلياً في وجه عمليات تهريب السلاح والمسلحين عقب سيطرة الجيش السوري على بلدة جوسية منذ في تموز عام 2013، وتوجيه ضربات قوية للمسلحين والمهربين الذين ينتمي غالبيتهم إلى مدينة عرسال في البقاع الشمالي من لبنان.

وبسعيها لإعادة هيكلة وتنظيم عمليات تهريب السلاح اقتضت هذه المرة تعاوناً فعالاً ولوجيستياً من حزب لبناني مسيحي في منطقة دير الأحمر وجرودها الفاصلة بين الشمال والبقاع اللبناني.

وتحدد الجهات المختصة مصادر السلاح الذي يمر عبر لبنان إلى سوريا من خارج لبنان، وبالتحديد من إسرائيل، بعد نفاد

السلاح تقريبا في المخيمات الفلسطينية والتي كانت خلال المرحلة الماضية المصدر الأساس للسلاح المهرب إلى الداخل السوري، فيما تم استبدال المصدر الفلسطيني للتسلح بسلاح مهرب مصدره إسرائيل هذه المرة، ويأتي السلاح الإسرائيلي ماراً بلبنان ليصل إلى المسلحين المناهضين لنظام الرئيس بشار الأسد.

البحر هو الممر الدولي لشحنات الأسلحة الإسرائيلية والتي تحط إمّا في ميناء طرابلس أو على جزيرة الأرانب، حيث يتم نقلها إلى البر اللبناني عبر زوارق صغيرة ومن ثم يتولى عناصر مقربون من الحزب اليميني اللبناني نقل هذه الشحنات عبر سيارات إلى بلدة دير الأحمر في البقاع الشمالي، وهي نقطة وصل بين شمال البقاع وشمال لبنان عبر سلسلة جبال لبنان الغربية.

من دير الأحمر يتولى أشخاص من مدينة عرسال نقل هذه الشحنات إلى مناطق البقاع الشمالي المحاذية لسورية، حيث تسلم لشبكة ثالثة تتولى عملية تسهيل مرور هذه الشحنات في البلدات والقرى الشيعية والمسيحية المحاذية لسلسلة لبنان الشرقية وعبر هذه الجبال إلى الداخل السوري وتحديداً إلى دمشق حيث يتركز جهد المسلحين.

المراجع المختصة تحدد شبكة دير الأحمر ـ السلسلة الشرقية بعشرة أشخاص، وعند وصول الشحنات إلى القرى اللبنانية المحاذية للسلسلة الشرقية الفاصلة بين لبنان وسوريا يتم توزيعها على مناطق وقرى عدة تستعمل كمعابر إلى الداخل السوري:

1 ـ معبر أول عن طريق عرسال.

2 ـ معبر ثان عن طريق قرية النبي عثمان ويقوم بتأمين مرورها شخص على صلة قرابة مع ناشطين من عرسال وهذه البلدة تعتبر سكانياً مؤيدة للنظام في سوريا.

3 ـ المعبر الثالث عبر بلدة رأس بعلبك في منطقة تدعى (تنية الراس).

4 ـ المعبر الرابع يمر عبر مشاريع القاع عند سفوح السلسلة الشرقية في منطقة تسمى (نعمات).

أسست السعودية في منطقة البقاع الشمالي وتحديدا مدينة عرسال، بنية تحتية عبر تيار المستقبل استقرّ فيها تنظيم القاعدة في هذه المنطقة على امتداد قراها ومدينتها الأكبر بعلبك التي دخلها التنظيم تحت غطاء جمعيات أهلية واتخذ فيها مساجد يُدّرس فيها الفكر التكفيري والتحريضي المذهبي بشكل علني وعلى مسمع ومرأى الجهات المختصة وأهل المدينة.

كما امتد نشاط القاعدة في البقاع الشمالي ليصبح ميدانياً عسكرياً وأمنياً داخل هذه المنطقة بعد أن كان في البداية يهتم فقط بعملية إرسال السلاح والمقاتلين إلى سوريا عبر لبنان، فضلا عن عمليات نقل الأموال القطرية والسعودية لتمويل مناصريه وقواعده التي بدأت بالتشكل في بلاد الأرز والى سوريا عبر الأراضي اللبنانية.

يعمل تنظيم القاعدة في البقاع الشمالي على كل الجبهات،

فهو يواجه الجيش السوري عسكريا عبر شن الهجمات من داخل الأراضي اللبنانية، ويواجه الجيش اللبناني أمنياً لحد الآن، ويوحي مسار الأحداث والأمور أن المواجهة العسكرية مع الجيش اللبناني تأخرت أو لم تقع حتى الآن لأسباب تتعلق بالجيش الذي يتجنب إثارة عناصر القاعدة في مناطق وجودهم التي يحظون فيها بغطاء ودعم كبيرين من أجهزة أمنية وأحزاب سياسية لبنانية في طليعتها تيار المستقبل وحزب القوات اللبنانية في مناطق وجوده فضلاً عن سبب آخر يمنع القاعدة من محاربة الجيش اللبناني متمثلاً بالمناطق الحاضنة بشرياً للتنظيم والتي لا تريد فتح جبهات عليها في البقاع الشمالي تنقل النار السورية إلى بلداتها وقراها وهي، أي هذه البيئة الحاضنة تعمل على خط واحد هو إسقاط النظام في سوريا ومن بعدها تصبح مسألة لبنان سهلة وما هي إلاّ مسألة وقت، يقول أحد المشايخ التكفيريين في مسجد في مدينة بعلبك.

مساء يوم الأحد الثامن عشر من شهر ايلول 2012، كادت جرود بلدة عرسال تشهد مجزرة بحق دورية من الجيش اللبناني لولا تدخل فعاليات البلدة، حسب مصادر عليمة ومختصة، وحصل الحادث في منطقة وعرة في أطراف جرود عرسال تسمى (الوشل) وهي محاذية للأراضي السورية، حيث كانت تمر هناك دورية للجيش اللبناني وفجأة تم تطويقها من قبل مسلحين قارب عددهم 200 مسلح، وقد طلب المسلحون من الجنود السنة الإعلان عن أنفسهم ومن الجنود الشيعة والمسيحيين الوقوف جانباً، ويبدو أنهم كانوا بصدد القيام بعملية تصفية، غير أن ضغوطاً كبيرة مورست من

فعاليات بلدة عرسال جنبت البلدة والبلاد فتنة كبيرة كادت تقع وتُوّجت مساعي فعاليات البلدة بفك الحصار عن الدورية، وفي البداية أراد المسلحون إخراج الجنود من دون الضابط، لكن ضغوط الأهالي أدت إلى خروج الدورية بكامل عددها من الكمين، وفي صبيحة يوم الاثنين شن الطيران السوري غارة جوية على الوشل أطلق فيها ثلاثة صواريخ، وتقول مصادر مختصة في منطقة البقاع الشمالي أن الغارة أدت إلى مقتل العشرات من المسلحين الموجودين داخل القاعدة. وحسب مصادر أهالي البلدة والمنطقة فإن تنظيم القاعدة اتخذ من نقطة الوشل في جرود عرسال معسكراً تدريبياً ثابتاً على الحدود مع سوريا في منطقة نائية جغرافياً وحاضنة بشرياً.

بعد هذه الحادثة بأشهر عدة، وتحديداً في شهر شباط 2013 ارتكب مسلحو القاعدة المتمركزون في بلدة عرسال مجزرة بحق دورية للجيش اللبناني راح ضحيتها ضابط وأربعة عسكريين.

قصف الضاحية

ظهر الخلاف السعودي القطري حول الإمساك بزمام المعارضة السورية وأتباعها وملحقاتها في لبنان في عملية القصف الذي تعرضت له أحياء في الضاحية الجنوبية لبيروت، والتي أتت بعد تحذيرات خلال الأيام الماضية اطلقتها جماعات مسلحة تعمل ضد الدولة السورية.

وفي اتصال أذاعته المؤسسة اللبنانية للإرسال، أعلن المُقدَّم

المنشق (عمار الواوي) امين سر الجيش الحر والذي يقيم في تركيا، مسؤولية جماعات الجيش الحر عن القصف الذي تعرضت له الضاحية الجنوبية.

وعمار الواوي هذا، ضابط منشق يخضع مباشرة لأوامر جماعة الإخوان المسلمين بشخص نائب المراقب العام للجماعة فاروق طيفور، المقيم في اسطنبول، في قيادة الجيش الحر من تركيا وبالتالي فهو يخضع للمرجعية القطرية والتركية.

وبعد ساعات من تبني الواوي هذا الاعتداء تكلم (فهد المصري) الناطق باسم القيادة المشتركة للجيش الحر، وهي هيئة يرأسها العميد المنشق (مصطفى الشيخ) المقرب من رفعت الأسد الذي بدوره يعمل ضمن ما يسمى بجماعة الجيش الحر لمصلحة السعودية التي يتردد دورياً عليها ويعمل لمصلحته كونه عديل الملك عبدالله بن عبد العزيز آل سعود.

وفهد المصري هذا عمل في تسعينات القرن الماضي نادلاً للقهوة في مكتب مجلة الفرسان في باريس والتي كان يملكها ريبال رفعت الأسد، ومن ثمّ عاد للعمل مع رفعت عبر مصطفى الشيخ.

وتعكس هذه التصريحات المتناقضة الخلافات السعودية القطرية في مسعى كل من الدولتين للسيطرة على الجماعات السورية المعارضة، وبينما يعلن المصري أنه سوف يؤنب الواوي على تصريحاته تقول مراجع في المعارضة السورية انه ليس هناك اتصال

بين الشخصين وليس هناك أية علاقة، وليس فهد المصري إلاّ فقاعة إعلامية، بينما يجب أخذ تصريحات عمار الواوي أنها الموقف الرسمي بكل تفاصيله.

الجنوب السوري

في الجنوب السوري أيضاً تعمل السعودية على إدخال السلاح إلى سوريا. ويشرح كريستيان شينو الصحافي في إذاعة فرنسا الدولية أن السعودية ما زالت ترسل السلاح إلى المعارضة السورية رغم قرار مجلس الأمن الدولي الأخير. وأوضح الصحافي الفرنسي الخبير بشؤون الشرق الأوسط والذي عاد في تشرين أول 2013 من زيارة للأردن أن طائرات شحن سعودية تهبط في مطار الزرقاء العسكري في الأردن محملة بسلاح وعتاد للمعارضة السورية.

شينو أوضح ان قوات أميركية تقوم بالكشف على الشحنات السعودية قبل ن تتسلمها السلطات الأردنية التي تستولي على جزء منها قبل ان تسلمها للمعارضة السورية التي تقوم بتهريبها إلى الداخل السوري.

شينو نقل عن مصادر عسكرية فرنسية في الأردن قولها إن السلاح السعودي يرسل لمجموعات محددة في المعارضة السورية، مضيفاً أن الولايات المتحدة الأميركية تشرف بالكامل على عمليات نقل السلاح السعودي لسوريا.

كريستيان شينو الذي زار مخيم الزعتري للاجئين السوريين في

الأردن قال لموقعنا إن السعودية تسيطر على كل شيء في المخيم وهي قامت بتوزيع خيم على اللاجئين السوريين، ويمكن أن ترى الأعلام السعودية على كل الخيم، وقد افتتحت السلطات السعودية حوالى خمسين مسجداً في المخيم، كما يوجد مكان تابع للجيش السوري الحر تقوم من خلاله المعارضة السورية بعمليات تجنيد في صفوف السوريين اللاجئين في المخيم، حيث يدخل يومياً إلى سوريا عبر معابر غير شرعية يسيطر عليها مسلحو المعارضة أربعة باصات نقل ركاب ثلاثة منها محملة بركاب مدنيين وباص عسكري محمل برجال تم تجنيدهم في المخيم للقتال في سوريا.

في الشمال السوري

عملت السعودية منذ البداية على الشمال السوري بالتعاون مع تركيا التي لها حدود طويلة مع سوريا، ومع قطر التي وكلتها أميركا إدارة الملف السوري حتى حزيران 2013 عندما نقلته إلى عهدة السعودية.

انتقلت سياسة الهجوم على حزب الله إلى الشمال السوري عبر خطف لبنانيين كانوا في طريق العودة من زيارة الأماكن المقدسة في إيران عام 2012، وتدخلت السعودية عبر رجلها الأول في التيارات السلفية الشيخ القطري (عبد الرحمن النعيمي) الذي يتردد دورياً على طرابلس في شمال لبنان ويلتقي مجموعة من المشايخ اللبنانيين والسوريين الناشطين في القصير وريفها ويقدم لهم الدعم المالي. والنعيمي هو مالك قناة (وصال) التي تبث من السعودية وشريك فيها

مع النائب الكويتي المقرب جداً من الجهاز الوهابي الديني في المملكة و(وصال) هي قناة تبث من السعودية ويظهر عبر شاشتها.

وعملت المخابرات السعودية بالتعاون مع قطر وتركيا على إطالة مأساة الحجاج اللبنانيين الرهائن لدى الجماعات التكفيرية المسلحة في شمال سوريا ما زالت هذه المأساة مستمرة [= هذا الكلام عام 2012] مع استمرار الغموض المحيط بكل ملابساتها التفاوضية، والتبادلية والثمن المطلوب لإطلاق سراحهم والدور الذي يلعبه فيها رجل السعودية الأول في لبنان النائب رئيس حكومة لبنان الأسبق سعد الدين رفيق الحريري عبر رجله المخلص في تيار المستقبل ولدى جماعات المعارضة السورية النائب عقاب صقر[1].

الوسيط أبو محمد أو من يلقب نفسه أبو محمد، مع ان هذا ليس صحيحاً والذي كان في بدايات الأزمة الرابط الوحيد بين الحكومة اللبنانية وأهالي الرهائن من جهة والخاطفين من جهة ثانية، فضلاً عن كونه الشخص الذي أمّن الزيارات الإعلامية للرهائن والمصدر الأول للإعلام اللبناني في هذه القضية، أقلّه في الأشهر الأولى، يقول إنه ما زال على تواصل مع الخاطفين، وهو يزور تركيا دورياً ويلتقي بالخاطفين الذين ينتمي معظمهم إلى تيارات تكفيرية.

غير أن هذا ليس رأي البعض في المعارضات السورية التي

(1) نائب في البرلمان اللبناني، عضو في كتلة تيار المستقبل.

أعربت عن ريبة كبيرة لديها من المواقف التركية والقطرية التي تتلاعب في هذه القضية وهي تسعى لاستغلالها حتى النهاية، وتشير المعلومات المؤكدة أن لائحة المطالب للإفراج عن الرهائن اللبنانيين ما زالت قيد الإعداد ويبدو انها تشمل سجناء من القاعدة في لبنان وفي سوريا، فيما تصر قطر على وضع اسم المقدم المنشق (حسين هرموش) في اللائحة مع علمها المسبق ان السوريين لن يسلموه أبدا .

حصار الفوعة

بدات السعودية في الشمال السوري العمل على إسقاط البلدات الشيعية في ريفي إدلب وحلب، وتسارعت الأحداث في منطقة الفوعة وجوارها والتي أُنهيت لأجل عملية الاستعداد التي كانت تقوم بها جماعة الإخوان المسلمين في سوريا عبر جبهة النصرة وقائدها الفعلي محمد فاروق طيفور لشن هجوم على الفوعة، وقد تأخر موعد الهجوم اكثر من مرة خصوصا بعد معركة مطار تفتناز[1] المجاور للفوعة التي اراد طيفور استكمالها بالهجوم على الفوعة استكمالا للسيطرة على الريف الشمالي لإدلب، غير أن الحسابات التركية كانت كردية، وبالتحديد في معركة رأس العين قبل الدخول في مستنقع الفوعة الصعب والذي سوف يحرك ضغوطا إيرانية وعراقية ولبنانية، فيما توجه المسلحون الذين شاركوا في

(1) مطار عسكري في الريف الشمالي لإدلب قريب من الفوعة، والمعركة عام 2012.

معركة تفتناز إلى مناطق أخرى خصوصاً منطقة النيرب ومنّغ حيث تدور معركة مطارات أيضاً.

وخلافا للموقف التركي، كانت جماعة الإخوان المسلمين تسعى لوقف اطلاق النار في رأس العين لفرض أمر واقع وفتح معركة الفوعة (أنظر موقف الجمعة بتاريخ 26 الشهر الماضي) وهي في عملية التفاف على الموقف التركي أرسلت المعارض السوري (ميشال كيلو) إلى مدينة راس العين وسيطاً من قبل الإئتلاف في محاولة للتوصل لهدنة في المدينة تسمح بنقل مقاتلين من رأس العين للفوعة لكن السلطات التركية رفضت السماح لكيلو بالدخول لرأس العين، وقد ردت جبهة النصرة على هذا الموقف التركي غداة مغادرة كيلو الحدود التركية مع سوريا بالإعلان عن استعدادات لشن هجوم واسع يمكنها من السيطرة على ريف إدلب بمجمله، في إشارة ضمنية إلى الإصرار على فتح معركة مع الفوعة[1]، فما كان من السلطات التركية إلا أن أوقفت شحنة الأسلحة الثقيلة التي اشترتها من أوكرانيا لصالح المسلحين وفيها مدافع ثقيلة وقذائف دبابات وأسلحة روسية الصنع يمكن للمسلحين استخدامها بسهولة أكثر من الأسلحة الغربية كون الكثير منهم أدى الخدمة العسكرية في الجيش العربي السوري، غير أن اتفاقاً لوقف إطلاق النار من عشرة بنود ما لبث أن عقد بين الأكراد والمسلحين في رأس العين[2] سرّع

(1) مدينة في الريف الشمالي لإدلب جلّ سكانها من المسلمين الشيعة.
(2) مدينة سورية على الحدود مع تركيا سكانها من الأكراد والعرب.

من مساعي طيفور وإصراره على فتح المعركة، أوقعه في خطأ الخطف الذي أراده إشعالاً لفتيل معركة الفوعة أو بازاراً للتفاوض على تسليم المدينة سلاحها من دون معركة، لكن حجم الرد الكبير والسريع أدخل الوضع المعقد أصلاً في مرحلة جديدة عنوانها الخطف المقابل وبوتيرة أكبر.

وافقت السلطات اللبنانية والسلطات السورية على لوائح التبادل التي قدمها المسلحون عبر قطر وتركيا، وهي تضم سجناء إسلاميين في لبنان يفترض ان بعضهم ينتمي لفتح الإسلام، فضلاً عن لوائح لسجناء في سوريا لدى السلطات السورية وغالبيتهم من التيارات السلفية الجهادية المحسوبين مباشرة على السعودي.

غير ان حسابات السعودي والتركي والقطري تنظر للفوعة مثل حصن منيع في مناطق نفوذ مسلحي معارة السورية، وهي وسيلة ضغط على حزب الله وعلى ايران في وقت واحد، فضلاً عن كونها باباً لتسعير الحرب الطائفية على صعيد المنطقة.

في شهر شباط عام 2013 شهد ريف إدلب الشمالي عملية خطف كبرى بين الفوعة والجوار، حيث أن ردة الفعل القوية التي أبداها مسلحون من الفوعة بعد اختطاف حافلة تضم خمسين إمراة وطفلاً من المدينة خلطت جميع الأوراق في سياسة الخطف، وقد فوجئ المسؤولون في تركيا الدولة المجاورة للشمال السوري، بحجم الرد من جانب أهالي الفوعة حيث وصل عدد المخطوفين الذي تم استقدامهم إلى البلدة 1200 مخطوف بعضهم من

المسؤولين المحليين في الجماعات المسلحة، وكان موضوع اقتحام مسلحين من الفوعة احياء في بلدة بْنش، واعتقال العشرات من البلدة مرحلة حاسمة في تسريع الوتيرة في قضية الرهائن في منطقة ريف إدلب.

وقد تبين ان باص الفوعة تم اختطافه من قائد ميداني من جبهة النصرة ويعمل مباشرة مع المخابرات السعودية التركية عبر كتيبة شهداء بّنش ويدعى حسان عبود، من قرية سرمين المجاورة للفوعة وليس له ارتباط بمسلحي التنسيقيات المحلية المرتدين قبعة الجيش الحر.

ونقلت مراجع في المعارضة السورية عن خلافات كبيرة حصلت في بلدات بنش ومعرة مصرين وتفتناز وسرمين بين أهالي المختطفين في الفوعة ومسلحي جبهة النصرة انحازت فيه الجماعات المسلحة التابعة للتنسيقيات المحلية إلى مطالب الأهالي بضرورة حل ملف مخطوفي الفوعة سريعاً وبطريقة سلمية ودون تأخر، خوفاً على مخطوفيهم، وهذا ما سرع وتيرة الضغط على السلطات التركية التي تدخلت مباشرة بعدما شعرت ان حجم الخطف في الجهة المقابلة ليس عفوياً وقرأت عبره رسالة واضحة يتعدى حجمها وتبعاتها الرد المحلي ليصل إلى مستوى رد إقليمي ويحجم غير متوقع. في الوقت نفسه كانت الخلافات المحلية في تلك المنطقة تنذر بعواقب كارثية على النفوذ التركي وعلى وجود الجماعات المسلحة التابعة للمخابرات التركية في كل الريف

منذ بداية الحرب في سورية، شكلت تركيا راس حربة في هذه الحرب وعملت على السيطرة المباشرة على الشمال السوري عبر المجموعات المسلحة التي كان غالبية أعضائها وقيادتها يعملون في مجال التهريب عبر الحدود السورية التركية، ولهم ارتباطات قوية بأجهزة المخابرات التركية. كما ان حزب العدالة والتنمية عمل على إدخال العناصر التكفيرية التي كانت قطر والسعودية وتونس وليبيا تقوم بتأمينها للقتال في سوريا، وأقامت المخابرات التركية معسكرات تدريب لهؤلاء المقاتلين التكفيريين، كما شكلت المدن التركية المحاذية لسوريا مناطق تجمع وحشد وإقامة للمعارضين السوريين. ونتيجة لكلّ هذه العوامل أصبحت تركيا، عبر عامل الجغرافيا، الحاكم الوحيد في الشمال السوري الذي يقرر مصير الجماعات المسلحة فيه، بسبب تحكم الأتراك بطرق إمداد هذه الجماعات وتسليحها وتمويلها واحتضانها الجغرافي والأمني. وقد استفادت تركيا من حالة الهجوم التي كانت تقوم بها جماعة الإخوان

المسلمين في العالم العربي ومن حالة الصمت الذي تسود الشارع التركي. غير أن صمود النظام السوري وانهيار المنظومة الإخوانية في مصر وبدء التحركات المناهضة لحكومة أردوغان في المدن التركية والتي قد تعود إلى الواجهة في أي وقت، يجعل مسالة الضغط على تركيا أكثر نفعا وأقل كلفة، لأن أردوغان الذي وضع كل رهاناته غلى سقوط الأسد في دمشق أصبح محاصراً داخلياً وخارجياً، خصوصاً في ظل الإنهيار الكبير الذي تشهده العملة التركية داخليا وفي ظل فقدان الأسواق الخارجية بفعل سياسة الحرب ذات النفس العثماني التي يقودها الثنائي رجب طيب أردوغان وأحمد داوود أوغلو، في الإقليم، وعلى صعيد العالم الأسلامي.

وتوزع النشاط العسكري التركي على خطين:

1 ـ الداخل التركي على الحدود مع سوريا، حيث تستقبل تركيا المقاتلين السوريين والأجانب وتقيم لهم معسكرات التدريب فوق أراضيها.

2 ـ الداخل السوري عبر دعم المسلحين لاسيما في الشمال وتأمين مستلزماتهم العسكرية والطبية.

كما وخاضت تركيا عبر المجموعات المسلحة التي تديرها معارك مع أكراد سوريا بسبب خشيتها من قيام اقليم كردي في سوريا على غرار ما حصل في العراق فتصبح محاصرة من الجنوب ومن الشرق.

عن وثيقة داخلية لجبهة النصرة :
كيف تجند تركيا المقاتلين والعملاء للقتال في سوريا

الوثيقة[1] هي عبارة عن نموذج من استمارة مفصلة من عشر صفحات توزعها السلطات التركية على السوريين الموجودين في سوريا، وبناء على المعلومات التي يوردها مالئ الاستمارة يتم تجنيده اما في صفوف كتيبة من كتائب المقاتلين الذين يتم إرسالهم إلى سورية، أو عميلا استخباراتياً في سوريا، أو مجنداً لعملاء استخباراتيين فيها.

أما مصدر هذه الوثيقة فهو جريح سوري كان في صفوف المسلحين وأتت به عائلته إلى دولة اوروبية للعلاج من إصابة في عموده الفقري، وقد مرّر الجريح لنا هذه الوثيقة ونحن نقوم بنشرها والتعليق على بنودها ونقاطها.

يقول الجريح السوري إن السلطات التركية أنشأت (مركز المجتمع المدني والديمقراطية في سوريا) واجهةً مدنيةً لجبهة النصرة والمسلحين الذين تدربهم وتسلحهم في أراضيها قبل إرسالهم إلى سوريا، كما أنها تعتمد على هذه الاستمارات لتحديد الأشخاص الذين يمكن أخذهم إلى مخيمات التدريب العسكرية في تركيا، فضلاً عن الأشخاص الذين بإمكانهم تشكيل خلايا عسكرية وأمنية في سوريا، مضيفاً أن جميع القيمين على هذا المركز هم من

---

(1) انظر الوثائق في آخر الكتاب.

جماعة الإخوان المسلمين السورية، وهم انفسهم من يقودون جبهة النصرة.

نتابع مع الجريح الذي يروي لنا أن الشخص الواحد يمكن له مَلْء اكثر من استمارة له ولأشخاص يعرفهم، أو يمكن له أن يعمل على إيجاد أشخاص يملأون استماراتهم الشخصية، وتقدم تركيا لكل شخص يمكن له ان يجد ستين (60) شخصاً يملأون استمارات في داخل سوريا مبلغاً مالياً كبيراً. وقال الجريح إن هذه الاستمارة وضعها الأتراك وهم الذين يشرفون على البرنامج التدريبي، وتقوم قطر والسعودية بتمويل مركز المجتمع المدني هذا إضافة إلى اموال تأتيه من فرنسا واميركا، والمجلس البريطاني (بريتيش كاونسيل) وألمانيا.

الاستمارة مؤلفة من 28 فقرة ويلاحظ فيها الأمور التالية:

أ ـ الفقرة رقم (7) سبعة تتعلق بمعلومات ومعطيات عسكرية عن الجيش العربي السوري وهي تتألف من 13 بنداً.

ب ـ الفقرات من 9 إلى 23 أسئلة ومعلومات متعلقة بالمجتمع السوري.

ج ـ من الفقرة 23 إلى الفقرة 27 أسئلة أمنية واستخباراتية بامتياز.

د ـ الفقرة 28 أسئلة حول التركيبة الطائفية في منطقة الشخص صاحب العلاقة.

تركيا والجذور الحقيقية لجبهة النصرة

تعتبر جبهة النصرة الجماعة المسلحة الأكثر تنظيماً والأكثر انتشاراً بالتوازي مع داعش التي ظهرت في بداية شهر تموز 2013 وتنتشر النصرة من الحدود الشمالية مع تركيا إلى الحدود اللبنانية، ومقاتلو الجبهة هم الأكثر تدريباً وتسليحاً بين الجماعات المسلحة التي تقاتل ضد الدولة السورية، فضلاً عن كون هذه الجبهة لديها إمكانات مالية أضعاف ما لدى الجماعات الأخرى، ما يدل على حجم القوى الدولية التي تموّلها، فضلاً عن أن انتشارها الواسع أكبر برهان على عدم تبعيتها لتنظيم القاعدة مثلما يثار إعلاميا لأسباب سوف نشرحها في لاحقاً.

والحقيقة أن العارفين بتأسيس جبهة النصرة وبالقيمين الحقيقيين عليها يسخرون من محاولة نسبها لتنظيم القاعدة رغم دخول أيمن الظواهري على خط تبني هذه الجبهة عبر خطاب صوتي بثته قناة الجزيرة القطرية.

تأسست جبهة النصرة من تركيا، من قبل قيادة جماعة الإخوان المسلمين تحت قيادة مجلس عسكري تابع للجماعة يقوده فاروق طيفور، نائب المراقب العام للجماعة الزعيم الفعلي للجماعة (وهو من قيادات معركة حماه عام 1981 ضمن الطليعة المقاتلة) بسبب ما يعرف عن ضعف محمد رياض الشقفة في المجالين السياسي والقيادي، ويأتمر مقاتلو الجبهة مباشرة بمكتب طيفور في اسطنبول وبغرفة عمليات دولية أقيمت على الحدود التركية السورية تضم

ضباطاً (فرنسيين وأميركيين وقطريين وأتراكاً) كشفت عنها أسبوعية (لوكانار انشينيه) في شباط عام 2012.

مراجع مطلعة على الموضوع أرجعت أسباب نسب جبهة النصرة إلى تنظيم القاعدة إلى أهداف ثلاثة تريدها جماعة الإخوان المسلمين في سوريا في هذه الفترة من هذه التعمية على ارتباط النصرة مباشرة بها، والأهداف هي التالية: .

1 ـ تجزم المراجع المعارضة السورية أن جماعة الإخوان المسلمين قررت تنفيذ مذبحة بأنصار النظام السوري لسببين: الأول انتقاماً من عقود الصراع السابقة، والثاني تثبيتا لحكم الجماعة في البلدات والقرى التي تسيطر عليها في الأرياف السورية.

2 ـ تعلم الجماعة ان نسب جبهة النصرة في هذه المرحلة إلى تنظيم القاعدة يريحها من عبء تحمل المسؤولية عن الفظائع التي يرتكبها مسلحو الجبهة خصوصا أن جماعة الإخوان تطمح لتسلّم الحكم في سوريا في حال سقط نظام الرئيس الأسد.

3 ـ تقول المراجع السورية المعارضة إن أي تغيير في معادلة الحكم الحالية في سورية سوف يؤدي إلى إلغاء اسم جبهة النصرة واستبداله باسم آخر، فالاسم لا يعدو كونه يافطة تخدم سياسة الجماعة في هذا الوقت من الحرب.

وقد أتى القرار الأميركي بوضع جبهة النصرة على لائحة الإرهاب ليدفع قيادة جماعة الإخوان المسلمين في سوريا والجماعات السياسية الملحقة بها، مثل المجلس الوطني السوري

والائتلاف السوري المعارضين، لكشف المستور عبر حملة الاستنكار والاعتراض على هذا القرار الأميركي حيث صدر بيان عن رئيس المجلس الوطني (جورج صبرا) يعارض وضع جبهة النصرة على لائحة الإرهاب، فيما أصدر رئيس الائتلاف المعارض (معاذ الخطيب) بياناً شديداً ضد القرار الأميركي فضلاً عن تصريحات كبار قادة الجماعة المستنكرين والمعترضين على هذا القرار.

العمل العسكري التركي في سوريا

تركيا تخوض معركة حلب على اكثر من محور عسكري وسياسي

تستمر تركيا في دعمها للجماعات المسلحة التي تقاتل الدولة السورية في الشمال السوري على اكثر من محور ومنطقة، وهي تتسع جغرافياً مع امتداد أمدها، بينما تبقى مدينة حلب محور معركة جيواستراتيجية إقليمية دولية تخوضها تركيا بكل قوتها العسكرية ويشارك ضباط اتراك في إدارة العمليات العسكرية على أكثر من محور في مدينة حلب وحولها.

التدخل التركي في معركة حلب ينقل البندقية بين ما تيسّر من أكتاف متوافرة على الأرض، ليس مهماً تغيير الخصم التاريخي وخداعه ومهادنته قليلا وتقديم كل مشاعر الحب والود ريثما يتحقق الحلم بالسيطرة على مدينة حلب، وليس مهماً لدى أوغلو واردوغان أن الدولة التركية، التي دمرت أربعة آلاف قرية كردية، طالما ان معركة حلب تحتاج تصريحات مغايرة تماماً للتاريخ القمعي

إلى بلد آخر، في وقت تسير المتغيرات الإقليمية والدولية في اتجاه يصبّ في مصلحة الأكراد في كل المنطقة، يأتي عبدالله اوجلان ويعقد اتفاقاً مبهم المعالم مع المخابرات التركية، وكل ما يتم على أرض الواقع هو مطروح من الأتراك من سنوات وليس جديداً. هذا الكلام لشخصية كردية بارزة مقيمة في الغرب في معرض حديثها عن الانسحاب الذي بدأه مقاتلو حزب العمال الكردستاني من تركيا باتجاه شمال العراق.

الأتراك لم يقدموا أي تنازل يذكر للكرد في هذه القضية، حتى أن الجيش التركي رفض رفضاً قاطعاً الإعلان عن التخلي عن عقيدته التي تعتبر حزب العمال الكردستاني حزباً إرهابياً وعدواً للدولة التركية ويجب ضربه في كل مكان، وهذا شكل عقبة كبيرة لإتمام الصفقة على اعتبار أن الانسحاب الكردي سوف يكون تحت مرمى نيران الجيش التركي الذي سوف يطلق جنوده النار على المقاتلين الأكراد المنسحبين التزاما بالعقيد العسكرية للجيش. وفي سبيل تذليل هذه العقبة الكبيرة تم اللجوء إلى حيلة استندت إلى اتفاق كان عقده السلطان العثماني سليمان القانوني مع وزيره الأول ابراهيم باشا الفرنجي خلال القرن السادس عشر والقصة تقول:

أن السلطان سليمان القانوني في صغره كان لديه صديق يلعب معه ويقضي وأياه معظم اوقاته وأصبح هذا الصديق فيما بعد وزيره الأول (إبراهيم باشا) وكان سليمان تعهد لصديقه انه لن يقتله أبداً، وفعلاً تولى ابراهيم باشا منصب الوزير الأول سنوات طويلة في

خدمة سليمان القانوني، غير أن مشاكل الحكم وألاعيبه فرضت على السلطان قتل وزيره الأول، وكان الوعد الذي قطعه سليمان لإبراهيم في أيام الصغر يؤرق السلطان الذي استفتى شيخاً في الأمر فأشار عليه الشيخ بالنوم، أي أن يتم قتل ابراهيم باشا في وقت يكون فيه السلطان غارقا في نومه وهذا ما حصل وتبرأ السلطان سليمان من عهده.

لقد استوحت المخابرات التركية فكرة النوم من هذه القصة مخرجاً لرفض الجيش التركي التخلي عن عقيدته في اعتبار حزب العمال الكردستاني عدواً يجب قتله، وكان نصّ أهم البنود السرية للاتفاق بين أوجلان والمخابرات التركية، أن ينسحب المقاتلون الأكراد في وقت يكون الجيش التركي فيه نائماً أو يعطى فيه الجنود الأتراك أوامر من ضباطهم «انكم في هذه الفترة الزمنية من كل يوم وخلال شهر كامل أنتم بحكم النائمين وعليكم عدم القيام بأي عمل حربي»، وحددت الفترة الزمنية لمدة أربع ساعات يومياً من الساعة الثالثة وحتى الساعة السابعة صباحاً، يقوم خلالها المقاتلون الأكراد بالانسحاب يومياً على مدى شهر كامل، يعود بعده الجيش التركي ليستيقظ في تلك الفترة الزمنية بعد إتمام مسلحي حزب العمال انسحابهم إلى شمال العراق.

معركة رأس العين واستراتيجية تركيا العسكرية

تقع بلدة رأس العين في سوريا على الحدود التركية السورية وهي تتميز بكونها منطقة سهلية ما يدفع الأتراك لمحاولة احتلالها

عبر المسلحين السلفيين السوريين والأجانب الذين يقاتلون النظام في دمشق بدعم غربي وتركي وخليجي.

ورأس العين بالأساس بلدة كردية اتى اليها عرب من تركيا عام 1926 هرباً من حملة التطهير العرقي التركية في تلك الفترة، ومن ثم استوطنتها بعض القبائل العربية الآتية من حوض الفرات عام 1974 عند بدء الدولة السورية بإنشاء الحزام العربي في المنطقة، ويمكن تقسيم السكان حاليا في البلدة بثلثين أكراد وثلث عربي، يسكن العرب في حيَّين فقط بينما باقي الأحياء كردية.

ويوجد في البلدة حزب الاتحاد الديمقراطي السوري، الذي يعتبر الفرع السوري لحزب العمال الكردستاني. وفي شهر تشرين الثاني 2012 شن حوالى ألف مسلح من العرب والأجانب هجوماً على رأس العين من داخل الأراضي التركية ودخلوا الأحياء العربية من البلدة، وكانت قوة خاصة تركية برفقة المقاتلين العرب الذين تمكنوا من دخول الحيين العربيين في البلدة بالتواطؤ مع شقيق عضو في مجلس الشعب السوري، وكانت الدولة السورية قد سلحت شقيق النائب بحوالى 200 قطعة سلاح إلاّ انه انقلب واستعمل هذا السلاح ضد الجيش السوري.

قبل الهجوم كانت قيادات كردية وعربية في البلدة اتفقت مع القوى الأمنية السورية على إخلاء البلدة حتى لا تقع صدامات في الأحياء الكردية، وقد أخلت القوى الأمنية السورية مراكزها وهي عبارة عن مركز للأمن العسكري ومركز للشرطة ومركز مخابرات.

استراتيجية تركيا في هذه المنطقة

مصادر قيادية في حزب الاتحاد الديمقراطي السوري تروي ما يلي: بعد انسحاب القوى الأمنية السورية من البلدة قلنا للمجموعات السلفية أن القوات الأمنية السورية انسحبت وليس هناك داعٍ لبقائهم فيها، فردّ السلفيون أنهم موكلون من قبل تركيا بإقامة شريط بطول 100 كلم بين رأس العين وعامودا وبعمق خمسة كيلومترات داخل سوريا. وتظهر الاستراتيجية التركية في المنطقة كالآتي:

1 ـ إقامة شريط عازل في هذه المنطقة السهلية المواتية لدخول العسكر والدبابات التركية مع ملاحظة وجود أكراد وإمكانية الصدام معهم، لكن طبيعة الأرض المنبسطة أساس في الاستراتيجية التركية.

2 ـ التوجه من هذا الشريط باتجاه بلدة (تل التمر) المهمة استراتيجياً والتي تقع على الطريق السريع بين حلب والحدود ما يفتح طريقاً جديداً لإدخال المسلحين والسلاح إلى حلب في السعي لحسم المعركة فيها.

3 ـ فتح طريق لدعم المسلحين في دير الزور الذين يبدون في حالة من العزلة بسبب البعد الجغرافي وإقفال الحدود مع العراق ولو بشكل غير فعال.

4 ـ عرقلة أي تحرك كردي في سوريا وتركيا وقمعه في المهد.

الأتراك شرعوا منذ بداية الهجوم على رأس العين بنزع الألغام من الحدود السورية التركية وذلك تشجيعاً للمواطنين السوريين

خصوصاً الأكراد لمغادرة بلداتهم ما يسهّل السيطرة عليها، وفعلاً غادرت بعض العائلات إلى تركيا لكن سرعان ما عادت إلى بيوتها هربا من عذاب المخيمات في تركيا.

وكانت تركيا طرحت قبل شهرين من بدء الصدام العسكري أي في شهر أيلول 2012، خطة من أربعة بنود على أكراد سوريا وتركيا عبر مسعود البرزاني:

1 ـ قبول الأكراد بقاعدة عسكرية تركية في عين عرب، (كوبين) باللغة الكردية، وهي تقع قرب عفرين.

2 ـ قبول الأكراد بقاعدة عسكرية تركية في القامشلي.

3 ـ قبول الأكراد بقاعدة عسكرية تركية ثالثة في عفرين.

4 ـ يقيم الأكراد في سوريا علاقات تجارية وسياسية مع تركيا على غرار علاقات مسعود البرزاني مع أنقرة.

رفض حزب الاتحاد الديمقراطي السوري العرض التركي، كما اتى الرفض من حزب العمال الكردستاني مباشرة، فأعطى الأتراك توجيهات للجماعات المسلحة بالعمل على إخراج حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي من تلك المنطقة. ويكمن الهدف التركي في إقامة قواعد عسكرية ومطارات جوية في المناطق السورية الثلاث المذكورة في تشكيل طوق تركي حول مدينة الموصل العراقية ومنطقتها الغنية بالنفط. ونشير إلى أن تركيا لا تزال تعتبر الموصل جزءاً منها، وهناك في كل موازنة تركية ليرة تركية رمزية للموصل.

اعتبرت تركيا معركة رأس العين مع أكراد سوريا نقطة تحول تحدد مصير الحلم التركي في سوريا والمنطقة، لذلك بعد عشرة ايام شن المسلحون هجوماً ثانياً على رأس العين واندلعت بشكل عنيف معارك طاحنة بين الأكراد وبين مئات من المقاتلين السلفيين الآتين من تركيا تحت رايات جبهة النصرة التابعة مباشرة للإخوان المسلمين، ومسلحين من جماعة (غرباء الشام) المؤلفة من عناصر أجنبية متشددة من كل الجنسيات، وقد شهد يوم الأربعاء 21 تشرين الثاني 2012 معركة كبرى أسفرت عن هزيمة ساحقة للمسلحين السلفيين الذين تركوا البلدة وفروا باتجاه تركيا تاركين وراءهم عشرات القتلى، فيما بدا ان الطرفين يستعدان لخوض معركة طويلة وحاسمة ويتحضران فيها لاستخدام جميع الأسلحة والإمكانات، وتعتقد تركيا أنها سوف تقرر مصير مشروعها التوسعي في المنطقة، كما يعتبر الأكراد هذه المعركة مصيرية بالنسبة لهم، حيث أعلن حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي أن الأكراد يخوضون معركة حياة أو موت في رأس العين التي يطلق عليها الأكراد (سريه كانيه).

واعتمدت تركيا على أحد شيوخ عشيرة البكارة ويدعى (نواف البشير) وبالتنسيق مع المخابرات التركية وأكراد مقربين من مسعود البرزاني كانوا وراء الهجوم على مدينة رأس العين لإخراج القوى الكردية من المنطقة وإخلائها من مقاتلي حزب الاتحاد وحزب العمال الكردستاني، وجعل المدينة قاعدة لاجتياح باقي المدن الكردية في سوريا.

تركيا بدات التحضير للهجوم في رأس العين خلال اجتماع مشترك لنواف البشير مع مسؤولين في «الميت» جهاز الاستخبارت القومي التركي، وضباط من الجيش التركي حيث تم تخصيص مبلغ 2 مليون دولار كدفعة أولى لهذه العملية، ووعد الضباط الأتراك في هذا الاجتماع بمساعدة المجموعات المسلحة وعدم السماح للطيران الحربي السوري بضرب مواقعهم والتدخل السريع من خلال وحداتهم الخاصة إذا احتاج الأمر، كما وعدوا بفتح الطريق للمجموعات المسلحة ليتسنى لهم المرور من خلال الأراضي التركية من منطقة إعزاز وتل رفعت وتل أبيض، وقبل العملية تم توزيع أسلحة وأموال على بعض التنسيقيات الكردية والعربية، وغالبية أفراد تلك التنسيقيات من منطقة غويران في الحسكة ومن مدينة القامشلي ومنطقة الغاب في ريف حماه، وقام حزب آزادي الكردي القريب من تركيا وصلاح بدر الدين القيادي الكردي السوري القريب من برزاني والذي يعمل مع المخابرات التركية بجمع المعلومات الاستخباراتية اللازمة لاجتياح مدينة رأس العين السورية على الحدود مع تركيا ومن ثم التمدد نحو المدن الأخرى.

وفي الثامن عشر من شهر تشرين الثاني 2012، قبل هجوم المجموعات المسلحة على الأحياء الكردية، اجتمع نواف البشير مع قيادات في كتيبة غرباء الشام (الشيخ عمر) وقيادات من تنظيم جبهة النصرة بهدف إخلاء المنطقة من الكرد وإنزال الأعلام الكردية، ومنع التظاهرة التي دعت إليها الهيئة الكردية العليا تحت شعار «تظاهرة العودة إلى الديار».

وقد أصابت معركة يوم 22 تشرين الثاني المجموعات المسلحة بخسائر فادحة نتيجة مقاومة كردية غير متوقعة، وبعدها ألتجأ نواف البشير إلى مدينة «سريه كانيه سرختي ـ جيلان بينار» في تركيا حيث يقيم في فندق «جيلان بينار» مع عناصر من «الميت» التركي وقائد المنطقة العسكرية للجيش التركي ووالي مدينة أورفه التركية وقيادات من المجموعات المسلحة للتحضير للقيام بعملية أخرى في «سريه كانيه» من خلال تأمين الطريق عبر تركيا لجلب مجموعات مسلحة من حلب وجرابلس.

السلطات السورية أدركت أن مصلحتها في صمود الأكراد في رأس العين، وتدخلت الطائرات السورية على الخط في قصف مواقع المسلحين السلفيين في الحي العربي في رأس العين، وبعد أيام عدة من القتال العنيف تم التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار بين الطرفين، غير ان تركيا رفضت الاتفاق وأرسلت وفداً من المخابرات التركية انتحل صفة الصحافيين التقى بقيادات المجموعات المسلحة وطلب منهم خرق الهدنة في رأس العين والاستمرار في القتال، وذلك مقابل تقديم جميع الدعم العسكري واللوجستي لهم.

غير ان الجماعات المسلحة والمجموعات بعد فشلها في اقتحام رأس العين أربع مرات خلال ثلاثة أسابيع من القتال رفضت طلب المخابرات التركية باستئناف القتال بذريعة أن حربها بالأساس ضد النظام السوري وليس ضد الأكراد، ما جرّ عليها عملية عقاب

تركية، حيث قامت الحكومة التركية بإغلاق المعبر الحدودي في المدينة أمام المجموعات المسلحة لمنعها من العودة إلى تركيا، كما قامت الحكومة التركية بتهديد تلك المجموعات المسلحة بوقف تسليحها ودعمها في حال عدم تنفيذها مطالب الدولة التركية.

حاول المسلحون السلفيون بعد خسائرهم في مواجهات رأس العين، والتي وصلت إلى ستين قتيلا، التهرب من المطالب التركية وفي الوقت نفسه كانوا يماطلون في تنفيذ شروط الاتفاق وتبادل الأسرى حيث لم ينفذ الاتفاق الذي أبرم بين الطرفين لتبادل الأسرى، وانسحب المسلحون من مدينة رأس العين بالكامل وتحصنوا في الشريط الحدودي المحاذي لتركيا.

تفاصيل الاتفاق

توسط المسلحون السلفيون لدى وجهاء من المنطقة لوقف إطلاق النار، وعُقد اجتماعٌ بين الطرفين الكردي والسلفي حضره مندوبون عن جماعة النصرة وجماعة غرباء الشام تم خلاله وضع بنود مسودة وقف اطلاق النار، نصّت على التالي:

أ - انسحاب المسلحين من مدينة رأس العين بالكامل.

ب - يقوم أهالي المدينة بإدارة شؤونها.

ج - يتم تشكيل مجلس محلي مؤلف من ستة أكراد واثنين من العرب واثنين من المسيحيين وواحد من التركمان.

د - يتم تبادل الأسرى فور توقيع الاتفاق.

وأرسلت الجماعات المسلحة إنذارات إلى وجهاء الأكراد بضرورة طرد مقاتلي الدفاع الشعبي التابعين لحزب الاتحاد الديمقراطي السوري من حي الأشرفية في حلب ومن عفرين ومن عين عرب في مرحلة أولى، وبعد مرور عشرة أيام على الإنذار بدأ المسلحون هجوماً على حي الأشرفية في حلب الذي يقطنه غالبية كردية، وقد تمكن المسلحون السلفيون من دخول الحي بطريقتين:

أ ـ عبر عدنان بدر الدين، أحد الأكراد المتعاملين مع المخابرات التركية والذي يقود مجموعة مسلحة كردية موالية لأنقرة.

ب ـ عبر دسّ عشرات المسلحين ضمن النازحين إلى الحي من الأحياء الأخرى.

وكان الجيش السوري قد أوكل للمسلحين الأكراد حماية حي الأشرفية ذي الغالبية الكردية، غير أن حوالى 200 مسلح هاجموا من داخل شوارع الحي مركز الأمن الجنائي في الحي نفسه، وقد قصفت المدفعية السورية المنطقة ما أدى إلى مقتل عشرة من سكان الحي الأكراد، وعندما طلب الأهالي من المسلحين مغادرة الأشرفية رفض المسلحون الانسحاب وأطلقوا النار على مجموعة من الأهالي تظاهروا بطلب من حزب الاتحاد، مطالبين بخروج المسلحين ما أدى إلى سقوط خمسة عشر كردياً سورياً من أنصار حزب الاتحاد، حصل على أثرها معركة بين جبهة النصرة والأكراد في الحي، وهذا أول صدام بين الطرفين في مدينة حلب.

معركة قسطل جندو

بعد معركة الأشرفية في حلب انتقل العمل على مناطق كردية يعتقد المسلحون أنها خاصرة رخوة بسبب انتمائها الديني، وشنوا هجوماً على بلدة قسطل جندو الإيزيدية التي تعتبر مركز الأكراد الأيزيديين في المنطقة، وأعلنوا الجهاد من أجل أسلمة البلدة الكافرة، حيث اشتبكوا مع حاجز لجان الدفاع الشعبي الكردية على مدخل البلدة، ومن ثم انسحبوا ليعودوا بعد ساعة مدعّمين بتعزيزات وشنوا هجواً جديداً على الحاجز، وقد استمرت الاشتباكات ساعات عدة وكانت عنيفة للغاية، وقبيل الفجر انسحب المهاجمون فيما تراجع مقاتلو اللجان الشعبية الكردية عن الحاجز ونصبوا كميناً بانتظار هجوم ثالث للمسلحين السلفيين الذين لم يخيبوا الآمال وشنوا هجومهم الثالث بعد انسحابهم الثاني بقليل معتقدين أن الحاجز تم إخلاءه وان المنطقة آمنة، فكان أن وقعوا في الكمين المحكم حيث سقط منهم ستة قتلى وبقيت منها ثلاث جثث في أرض المعركة كما سقط لهم الكثير من الجرحى فيما كان هناك جريحان من الأكراد حسب المصادر الكردية؟ ويذكر الأكراد أن لجان الدفاع الشعبي اشتبهوا بإحدى الجثث انها لعمار الددايخي (أبو إبراهيم) خاطف الحجاج اللبنانيين، لكنهم تأكدوا فيما بعد أنها لشخص آخر ولكنهم يؤكدون أن الددايخي ومجموعته كانوا ضمن المسلحين المهاجمين وان الداديخي اصيب في هذه المعركة.

قطـر

انت امشِ معي عند الملك
واركع عند قدميه واطلب منه العفو
نايف بن عبد العزيز آل سعود
مخاطبا حمد بن خليفة آل ثاني

المكان: الرياض أثناء قمة مجلس التعاون الخليجي. الزمان: 20/12/2011. صاح نايف بن عبد العزيز وكان يومها ولياً للعهد في وجه أمير قطر حمد بن خليفة ال ثاني:

نايف بأعلى صوته: أنت.

حمد: ماذا؟

نايف بصوت عال: سوف تأتي معي لعند الملك وتركع عند قدميه وتطلب العفو.

ثم أمسك به وتوجه خارج القاعة وأعاد عليه الجملة: سوف تركع أمام الملك وتطلب منه العفو. رد حمد لن أطلب منه العفو لكني سوف أشرح له حقيقة القصة.

كان عبدالله بن عبد العزيز في قاعة جانبية، دخل عليه الأمير القطري وقال له تعلم جلالتك هذا القذافي رجل مجنون ولم يكن الكلام إلا مزاح وضحك.

أومأ الملك عبدالله بيده ان القصة انتهت، وخرج نايف وحمد.

هذه الحادثة جرت بعدما سربت المخابرات الليبية شريطاً صوتياً لحديث دار بين امير قطر والزعيم الليبي الراحل معمر القذافي ويقول فيه القذافي: إسمع. عليك ان تغزو شرقي السعودية هذه هي الوسيلة الوحيدة لإسقاط العائلة السعودية.

هذه فكرة جيدة جداً، أجاب حمد ضاحكاً؛ ولكن المسؤولين السعوديين بلغوا من السن الذي يجعل غزو بلادهم أمراً غير ضروري.

كيف أدار حمد بن جاسم جامعة الدول العربية؟

كواليس وأسرار

ترأست قطر مجلس الجامعة العربية من حزيران عام 2011 حتى نيسان 2012، وهي اشترتها من دولة فلسطين التي كانت صاحبة الحق حسب الترتيب الأبجدي لأحرف اللغة العربية[1]. جاءت رشوة الرئيس الفلسطيني لتمكين قطر من ترؤس مجلس الجامعة العربية ليفتح الباب لاستعمال الجامعة العربية غطاء في الحرب على ليبيا، ومن ثم في مساعي الحرب على سوريا، فبدأت قطر في استخدامها للضغط على دمشق عبر تشكيل لجنة وزارية عربية برئاسة وزير خارجية قطر حمد بن جاسم آل ثاني، وضعت

(1) حسب النظام المعمول به في جامعة الدول العربية.

بنوداً وشروطاً على دمشق تعلم هي. مسبقاً أن الرفض السوري لها أمر حتمي، وأعطى حمد بن جاسم للقيادة السورية مدة أسبوع لقبول شروط هذه اللجنة خلال الاجتماع مع وفد سوريا في الدوحة الذي تكلم فيه وزير خارجية قطر باستعلاء واضح مع الوفد السوري، حسب بعض أعضاء الوفد المذكور.

لم يعد خافيا على أحد أن أوساطاً عربية عديدة تعتبر أن قطر قامت باختطاف لإرادة الجامعة العربية، وبالتحديد منذ ان سحبت قطر مرشحها لأمانة الجامعة لصالح الدكتور نبيل العربي، عاشت جامعة الدول العربية وضعاً غير طبيعي جعل صغار القوم فيها يتحكمون بالكبار على كل المستويات وفي كل المجالات، وضعاً غريباً شبهته صحيفة لوموند الفرنسية في تقرير لها بتاريخ 5 آذار عام 2012 كما لو أن فرنسا وألمانيا أصيبتا بالوهن ما جعل سلوفينيا تتحكم بدول الاتحاد الأوروبي.

في كواليس جامعة الدول العربية واجتماعاتها تَحَكُّم قطري بلا حدود، حيث قام وزير الخارجية القطري الشيخ حمد بن جاسم آل ثاني بدور الامانة العامة، وكان يوفر عليها معاناة إعداد البيانات والتوصيات ويكتبها في الكواليس نيابة عنها ونيابة عن مجلس الجامعة الذي يضم 21 دولة بعد استبعاد سوريا من عضويتها بدفع قطري سعودي. وقبيل أي اجتماع لمجلس الجامعة كانت تعد العدة بين الخليجيين والأمانة العامة لكي تقبل بعد تعديلات طفيفة على مقترحات وقرارات قطر وأخواتها الخليجيات.

فمشروع أي قرار، تؤيده الدول الخليجية الستّ وتصوّت لتبنيه في الحال الدولتان المرشحتان لعضوية مجلس التعاون وهما الأردن والمغرب ويجري في الحال اكتساب تأييد الدول الفقيرة الثلاث الصومال وجيبوتي وجزر القمر، عندها يحصل مشروع القرار على أغلبية 11 دولة من 21، وهكذا تهلهل الأمانة العامة التي نفذت بكثير من المهنية ما ارادته قطر واخواتها.

كان حمد بن جاسم يصيغ البيانات الختامية لمجلس الجامعة قبل انعقاده، ويأتي حاملاً نسخة من البيان حول الموضوع المفترض نقاشه، وقبل كل جلسة يجتمع وزراء خارجية دول التعاون الخليجي في غرفة تسمى في مجلس الجامعة (خلوة) حيث يعرض عليهم بن جاسم البيان ويتم المصادقة عليه، ومن ثم يتم إبلاغ المغرب والأردن اللذين لا يخالفان الأمر الخليجي فيصبح عدد الموافقين ثمانية (6 دول التعاون) وبعد هذا يأتي دور الدول الفقيرة (الصومال، جيبوتي، جزر القمر) فيصبح عدد الدول الموافقة (11 دولة) من أصل (21) دولة هي عدد دول الجامعة بسبب طرد سوريا ما يؤمن الأغلبية للبيان حتى قبل مناقشة الموضوع في المجلس.

ومن الضغوط التي يمارسها حمد بن جاسم وسعود الفيصل عند التصويت على أي موضوع، يبدأ الوزير القطري والوزير السعودي بالنظر بحدة إلى مندوبي الدول الخمسة التي تؤمن عادة الأغلبية لهم، لحظة التصويت، وفي بعض الحالات يرسل السعودي المندوب البحريني إن كان وزير الخارجية أو السفير

المعتمد ليدور على مندوبي الدول المعنية (موشوشا) في أذن كل واحد منهم في عملية رشوة للمندوب أو للدولة، خصوصاً الدول الثلاث الفقيرة.

ويمكن رسم خريطة تفصيلية لتوزيع التحالفات ومراكز القوى داخل مجلس الجامعة بثلاثة مراكز قوى هي التالية: .

أ ـ دول مجلس التعاون الخليجي زائد الأردن والمغرب وفلسطين.

ب ـ الدول الفقيرة وهي (الصومال، جيبوتي، جزر القمر).

ج ـ العراق، الجزائر، اليمن، موريتانيا، السودان.

وتبقى مصر الغائبة الكبرى عن أي نفوذ وتحرك داخل الجامعة وسوريا التي تم طردها من مجلس الجامعة العربية العام الماضي.

دول مجلس التعاون متفقة في كل عمليات التصويت، بينما تجتمع دول الفئة الثالثة قبل كل عملية تصويت ويتم الاتفاق على موقف موحّد، وعند التصويت تأتي نظرات حمد وسعود الفيصل المهددة لمندوبي بعض الدول ما ينسف الاتفاق المسبق، فتجرّ غالبية الدول خلف الموقف القطري والخليجي بينما يستمر لبنان في سياسة النأي عن النفس التي تصب دائماً في مصلحة الموقف الخليجي، أقلّه من الناحية المعنوية.

وفي بعض تفاصيل ما يدور من مشادات كلامية عنيفة، في إحدى المرات وزير الخارجية الجزائري شتم بطريقة عنيفة المندوب الدائم لدولته في الجامعة متهما إياه بالخيانة على خلفية بعض

المواقف في الموضوع السوري. قصة أخرى بطلها وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف الذي حضر اجتماع مجلس الجامعة على مستوى وزراء الخارجية، وجه خلالها إهانات من العيار الثقيل لسعود الفيصل وحمد بن جاسم، على خلفية موقفهما من سوريا.

وزير خارجية قطر السابق حمد بن جاسم رجل وقح لا يليق ان يكون دبلوماسياً، هو عنوان للضعيف الذي يتمكن في لحظة غفلة فيعمل على التنكيل بكل من يحيط به من حلفائه القدامى، فقط لشعوره الدائم بالضعف، وهو لم يتوانَ عن إهانة وزراء خارجية دول عربية حجمها أكبر من حجم بلاده بمئات المرات، فهو لم يتردد في فرض حضور برهان غليون اجتماعاً مغلقاً لمجلس وزراء الخارجية العرب في الجامعة العربية، وقال لهم هذا الرجل يمثل 80 بالمائة من السوريين، في عملية كذب واضحة.

عند نهاية 2011، في اجتماع لمجلس وزراء الخارجية العرب في المغرب، حاول وزير الخارجية الجزائري مراد المدلسي التخفيف من حدة اللهجة المعتمدة ضد سوريا التي أرادت قطر فرضها، فقال له حمد بن جاسم (إنت أسكتْ جايي عليكم الدور سوف تحتاجوني). ونظر إلى باقي وزراء الخارجية قائلاً: على كل حال ليس أمامكم سوف اتباعي انا خلفي امريكا.

جنون العظمة عند حمد بن جاسم[1] لم يتوقف عند الجامعة

(1) من كتاب قطر أسرار الصندوق الآمن (كريستيان شينو، جورج مالبرونو).

العربية بل تعداها ليصل إلى مجلس الأمن الدولي، عندما قال لوزير الخارجية الروسي (سيرغي لافروف) الذي اعترض على قرار ضد سوريا:

جيّد، كم تريدون حتى تلغوا قراركم بالفيتو؟

وهل تتصور انك يمكن ان تشترينا بأموالك؟ قال له لافروف. بعد هذا الجدال توترت العلاقات بين قطر وروسيا واصبح لافروف وحمد يتجنّب أحدهما الآخر في الأمم المتحدة.

أسباب نقل حمد بن خليفة آل ثاني الحكم إلى ولده تميم (القصة الكاملة)

أسباب صحية وأخرى سياسية

قررت الإدارة الأميركية تغيير سياستها والتقارب مع روسيا وإيران في سوريا قبل مغادرتها المنطقة إلى بحر الصين الذي يعتبر مركز الإهتمام الأميركي في العالم حتى عام 2030، حسب الاستراتيجية العسكرية والسياسية الأميركية.

وكما بدأت الادارة الأميركية حربها على سوريا والمنطقة عبر النافذة القطرية، ها هي تطل لتغيير سياستها عبر النافذة نفسها، وهذه المرة عبر تغيير الحكم وإخراج حمد بن خليفة وحمد بن جاسم من الواجهة بعد أن شكلا خلال العامين الماضيين الغطاء العربي للحرب على ليبيا والحرب على سوريا والحرب في اليمن

والتدخل في تونس ولبنان والجزائر وكل العالم العربي، وأتت بتميم تحضيراً للتغيير على محورين:

1 ـ فتح باب تغيير الحكم في كل ممالك الخليج عبر شعار تسلُّم الجيل الثاني.

2 ـ بدء عملية الاستدارة الكبرى في مواجهة محور (روسيا، إيران، الصين) خصوصاً في الموضوع السوري.

أتت عملية انتقال السلطة في قطر بين حمد بن خليفة آل ثاني وابنه تميم بسبب المرض المزمن الذي يعيشه امير قطر الوالد المصاب بفشل كلوي منذ فترة طويلة، مضيفاً أنه يعيش على كِلْيَةٍ واحدة فقط، والسر الطبي غير المعروف لحد الآن: هل هذه الكلية زرعت للأمير أم انها كليته الأصلية؟ كان الأطباء منذ عام 2008 نصحوا الأمير بالراحة الدائمة وعدم العمل وتجنّب التوتر، غير أنه لم يمتثل لنصائحهم، وزاد على ذلك أنه وضع في طائرته الخاصة قناة الجزيرة التي يتابعها من أول يومه العملي حتى لحظة نومه، وهذا ما جعله دائم العرضة للتوتر العصبي والتعب وزاد من حالته المرضية.

وفي التحضيرات لانتقال الحكم كان لا بد من دراسة وضع حمد بن جاسم. وكان تميم قال لوالده لا يمكن لي العمل مع حمد بن جاسم. سوف يسحب من يدي الحكم. فأجابه والده أنه سوف يسمع ما أقوله له.

وكانت الإدارة الأميركية أجبرت حاكم قطر على الإسراع بنقل

الصلاحيات لابنه واخبرته أن مصلحتها العليا تقتضي هذا الأمر، فضلاً عن المصلحة في استقرار حكم ابنه قبل انتكاس حالته الصحية، ونظراً لحاجة الولايات المتحدة للاستقرار في رأس السلطة في المشيخة الخليجية الصغيرة التي تشكل رأس الحربة في سياسة أميركا في المنطقة منذ اندلاع أحداث العالم العربي عام 2010. وهذا الكلام كان ذكره الرئيس الأميركي باراك أوباما في أيار عام 2011 أثناء استقباله لأمير قطر عندما قال (سوف يكون لقطر دور كبير في ثورات الربيع العربية. وتمت عملية استرضاء حمد بن جاسم عبر تعيينه مسؤولا عن صندوق الاستثمار القطري، والذي تمّ سحبه منه ما إن استقر الحال لتميم بن حمد بن خليفة في الحكم. وهذا الكلام يعبِّر عن مصلحة أميركية كبرى؛ فالتغيير في قطر والعين على السعودية.

الأردن

عندما يعمل الأمير كأمير، والوزير كوزير، والأب
كأب، والولد كولد، يحكم البلد.

كونفوشيوس

الأردن بديل من تركيا أو مصير سوريا

عملت قطر طيلة الفترة الماضية على توريط الأردن في حرب ضد سوريا من خلال ممارسة الضغوط الاقتصادية والسياسية عبر جماعة الإخوان المسلمين في الأردن.

هذه الضغوط دفعت بالمسؤولين في الدولة الأردنية للقول بشكل واضح للأردنيين أن قطر والسعودية ومصر أوصلت الأردن إلى هذه الأزمة الاقتصادية لإجباره على التدخل في سوريا. رئيس الوزراء الأردني قال خلال أحد لقاءاته مع رؤساء تحرير الصحف اليومية في الأردن، إن حكومة مرسي في مصر كانت أبلغت الأردن خلال زيارة وزير الطاقة الأردني علاء البطاينة للقاهرة لبحث إعادة تزويد الأردن بالغاز المصري، أن القرار ليس في مصر، وقالوا له إن قطر تمنعنا من تزويد الأردن بالغاز. وقال رئيس وزراء الأردن لرؤساء تحرير الصحف اليومية أن السعودية ترفض دعم الأردن

بالنفط أو بيعه النفط بسعر تفضيلي، وبعد هذا الاجتماع شنت جريدتنا الدستور والرأي الأردنيتان هجوماً قاسيا على كل من مصر والسعودية. وكان الأردن يفكر في عام 2012 بتشكيل لجان في الشمال والوسط والجنوب لشرح أسباب الأزمة الاقتصادية في البلاد وأن السبب الأساس هو مؤامرة قطرية مصرية سعودية، وأن الأزمة سوف تحل في حال تدخل الأردن عسكرياً في سوريا.

ولا شك أن ما يجري في الأردن حاليا مفصليٌّ في الوضع السوري وفي السياسة الأميركية في سوريا بسبب وصول الأتراك إلى حائط مسدود في التوكيل الذي أنيط بهم لإسقاط الرئيس السوري بشار الأسد، وتوحي الأحداث الجارية في الأردن حاليا بهدفين :

سوريا وفلسطين

في العمل على الهدف السوري، أرسلت جماعة الإخوان المسلمين في الأردن مئات العناصر إلى معسكرات تدريب في ليبيا وهؤلاء عادو إلى الأردن، والهدف ليس إرسالهم إلى سوريا ولكن استخدامهم في مواجهة السلطة عسكرياً اذا رفضت التدخل العسكري في سوريا. وقد شهدت مدينة إربد مواجهات مسلحة بداية عام 2013 اجتمع على أثرها وزير الداخلية مع قيادات في الإخوان المسلمين الذين كانوا يجرون مباحثات مع المخابرات الأردنية على صفقة مضمونها تأجيل الانتخابات النيابية المقبلة والاتفاق على قانون انتخابي جديد مقابل مشاركتهم بالانتخابات ومحاصصة في السلطة على الطريقة اللبنانية وليس شراكة، وهذا كله يجري بإشراف ودعم

أميركيين لجماعة الإخوان الذين ما إن يصلوا إلى مواقع في السلطة حتى يدخلوا في مشروع الهجوم على سوريا عبر إرسال الجيش الأردني إلى درعا، وفي حال رفض الملك يجعلون الأردن ساحة مواجهات كما يحصل حاليا في سوريا. غير أن هذا المشروع سقط مع سقوط حكم الإخوان المسلمين في مصر.

في الهدف الفلسطيني، تضغط الولايات المتحدة ليعيد الأردن سيطرته على الضفة الغربية، وتنقل شخصيات فلسطينية قصة عشاء أقامه رئس الوزراء الأردني السابق للملك الأردني بحضور عشائر مدينة الكرك الجنوبية، أن العاهل الاردني عندما سئل في غداء الكرك عن إمكان إعادة الضفة الغربية للأردن قال: أحيل السؤال للدكتور عبدالسلام المجالي الذي حضر لقاءً في رام الله بوجود شخصيات فلسطينية منها رجل الاعمال الفلسطيني منيب المصري، إضافة إلى مسؤولين «اسرائيليين».

وكان ملك الأردن قد قال في لقاء مع مجموعة من الشباب إن حدود الأردن الشمالية مع سورية سيكون لها دور مهم في الفترة المقبلة.

تصريحات العاهل الأردني تطابقت مع أمور تجري على الأرض، فشهود عيان في العقبة، الميناء الوحيد للأردن جنوبي المملكة، قالوا إنهم في شهر كانون أول عام 2012 شاهدوا أرتالاً من الدبابات الأميركية تم انزالها في ميناء العقبة وإرسالها إلى حدود الأردن الشمالية مع سوريا.

وشكا القادمون من العقبة ومدن جنوبية أردنية إلى عمان من ازدحام الطريق جراء اكتظاظها بالشاحنات التي تنقل الدبابات من العقبة إلى المناطق الشمالية المحاذية للأراضي السورية، وفي لقاء جمع العاهل الاردني مع شخصيات من مدينة الكرك جنوبي الاردن في غداء اقامه عبدالسلام المجالي رئيس الوزراء الأردني الذي وقع معاهدة وادي عربة مع الكيان الصهيوني، قال العاهل الأردني في رده على سؤال لأحد الحضور حول الوضع في سورية : إن الوضع في سورية يربك الأردن والأردن لم يعد يحتمل مزيداً من الضغوط الأميركية والخليجية عليه وبخاصة في ظل الأزمة الاقتصادية التي يعاني منها.

وأضاف العاهل الاردني، أنه وحسب معلوماته، لم يبق لدى سورية من احتياطي عملات صعبة سوى أربعة مليارات دولار، وهذا برأيه لا يكفيها في ظل الأزمة التي تمر بها.

وقال أحد الحضور إن العاهل الأردني ارتبك عندما تم توجيه السؤال له، وبدأت على وجهه علامات التوتر، وأنه أسهب في شرح الضغوطات التي يتعرض لها الأردن، وطلب من الحضور التكاتف وأخذ دورهم في شرح الضغوطات على الأردن للناس جراء موقف «الحياد» الذي اتخذه الأردن وأن انتقاله إلى موقف الشريك في الأزمة السورية هو جرّاء الضغوطات عليه، مشدّدا على خطورة المرحلة المقبلة.

ويبدو الملك الأردني في وضع صعب أمام الضغوط الأميركية

خصوصاً أن الجميع بات يجزم أن النموذج القطري سوف يطال جميع الأنظمة الملكية والأميرية في العالم العربي، هذا ما تسعى الولايات المتحدة الأميركية لتطبيقه حسب الوضع الداخلي لكل بلد من بلدان الحكم الملكي العربية الخاضعة للنفوذ الأميركي.

ويأتي مركز الأردن في المرتبة الأولى بعد قطر، وفقاً للظروف المتاحة للأجندة الأميركية في هذا البلد المحاذي لسوريا والذي يُعمَل منذ البداية على جعله قاعدة انطلاق للتدخل العسكري ضد دمشق، وهذا ما كان موقع المنار سباقاً لكشفه في موقف الجمعة بتاريخ 30 تشرين الثاني عام 2012.

وتعمل الإدارة الأميركية في الأردن على خطة تقضي بتوريث العرش الملكي الأردني للأمير حمزة بن الحسين شقيق عبد الله، وكان الوالد قد عين حمزة ولياً للعهد قبل وفاته غير ان الملك الحالي خالف وصية الأب وعزل شقيقه وعين ابنه ولياً للعهد في 2 تموز عام 2009.

وتأتي الرغبة الأميركية بتوريث حمزة بسبب نفوذ والدته الأميرة نور الأميركية الجنسية والتي تتمتع بعلاقات قوية مع أركان الحكم في الولايات المتحدة خصوصاً مع الديمقراطيين، وللتذكير كانت نور من أركان حملة آل كلينتون في انتخابات الرئاسة الأميركية خصوصاً في ولاية كلينتون الثانية وفي حملة هيلاري كلينتون للحصول على ثقة الديمقراطيين للترشح لرئاسة أميركا.

كما تعتبر الولايات المتحدة ان الملك الحالي في الأردن

استنفد كل رصيده ووصلت الأمور في عهده إلى طريق الانفجار في المملكة، بينما يريد الملك الحالي توريث ابنه، وهو زاد من طاعته للقرار الأميركي بالتدخل في سوريا خلال الأشهر الماضية سعياً منه لتغيير القرار الأميركي بتوريث شقيقه حمزة عرش الملك.

وتورد مراجع عربية مطلعة على الملف، أن قرار الملك الأردني بالتدخل في سوريا قوبل برفض من الجيش ومن المخابرات العامة التي تحظى بنفوذ كبير في أروقة الحكم الأردني، وتقول المراجع إن قيادة الجيش الأردني وإدارة المخابرات العامة قدمت تقارير مفصلة للملك حول انتفاء المصلحة الأردنية بالتدخل في سوريا، وتنقل المراجع ان قائد المنطقة الشمالية في الجيش الأردني قال لوفد عشائري أن الجيش الأردني سوف يرفض التدخل في سوريا حتى لو تلقى أوامر من الملك في هذا الصدد.

وتروي المراجع ما سمته محاولة من الملك الأردني الإضعاف من دور المخابرات العامة التي تتألف بغالبيتها من أبناء العشائر الأردنية والتي لا تريد الانخراط في أتون الصراع السوري بسبب تخوفها من تداعيات الوضع السوري على الوضع الأردني الداخلي الهش، والخوف من وصول الأمور إلى حل للقضية الفلسطينية تتلخص في كونفدرالية أردنية فلسطينية تنهي كيان المملكة بشكلها الحالي. وتعتبر المخابرات العامة أن الملك الأردني يركض خلف الرضا الأميركي بسعيه لتوريث ابنه ويعطي واشنطن إمكانية لحل القضية الفلسطينية على حساب الكيان الأردني.

وتعمل المخابرات الأردنية على خطين؛ فهي تفعِّل تعاونها مع المخابرات الأميركية في سوريا وفي المنطقة، وفي الوقت نفسه لم تقطع تواصلها مع المخابرات السورية بسبب التخوف من انتهاء الدولة الأردنية بشكلها الحالي.

واستفاد الوضع الأردني من سقوط حكم جماعة الإخوان المسلمين في مصر للتخلص من صعود نفوذ حزب جبهة العمل الإسلامي، الجناح الأردني لجماعة الإخوان المسلمين، وهذا ما فتح هامش حركة للمخابرات الأردنية التي أعادت التواصل مع حركة حماس عبر زيارات دورية يقوم بها عضو لعمان في المكتب السياسي لحركة حماس محمد نزال لترتيب وضع الوجود الفلسطيني بعد التطورات المصرية والمأزق الذي انوجدت فيه حركة المقاومة الإسلامية (حماس) بسبب خروجها من دمشق على خلفية تأييدها للمعارضة السورية، ومن ثم خروج الرئيس المصري السابق محمد مرسي من الحكم بضغط الشارع المصري وتدخل الجيش في مصر لمصلحة المحتجين ضد مرسي، وهذا ما أتاح للدولة الأردنية إمكانات إعادة ترتيب العلاقة مع الجانب الفلسطيني وفقاً لرؤيتها هي، التي تريد من الجانب الفلسطيني رفض أي تحرك اميركي لصالح كونفدرالية أردنية فلسطينية في الأردن، وفي هذا الصدد بدأت المخابرات الأردنية تخفيف مراقبتها للحدود مع فلسطين المحتلة في الفترة الأخيرة ما سمح بتجدد عمليات نقل عبر الحدود عمل جهاز المخابرات الأردني على كشف جزء بسيط منها.

غير ان تعقيدات الوضع الأردني وتوازن القوى داخله، جعل من العائلة الهاشمية الحاكمة صمام الأمان الوحيد لاستمرار الكيان الأردني بسبب الصراعات السياسية والقبائلية داخل الأردن فضلاً عن الخلافات الفلسطينية الأردنية وحساسية الوجود الفلسطيني بالنسبة لعشائر شرقي وجنوبي الأردن، على طريقة أضعَفُكُمْ يحكم.

الإخوان المسلمون

40 بالمائة من أعضائنا في تركيا، الجزائر، تونس
والمغرب هم من الإخوان المسلمين
آلان بوير (المعلم الاكبر لمحفل الشرق الكبير)
في الماسونية العالمية.
كتاب: هل يجب الخوف من الماسونية ص 42
(آلان بوير وفرانسوت كوخ).

الإخوان المسلمون وتجربة الحكم بين الواقع والأوهام

تمر جماعة الإخوان المسلمين بفترة مصيرية هذه الأيام أتت بعد عامين من اندلاع الثورات العربية ووصول الجماعة إلى سدة الحكم في أكثر من بلد عربي خصوصاً في مصر البلد العربي والأفريقي الأهم، وبعد انتعاش آمال الجماعة في قدرتها على السيطرة على الحكم في أكثر من بلد عبر الحراك الشعبي المعارض للأنظمة الحاكمة أو عبر الدخول في صراع مسلّح كما حصل في سوريا وما هو متوقع حدوثه في مصر.

ويبدو أن جماعة الإخوان المسلمين كانت متأكدة من قرب سيطرتها على الأوضاع في أكثر من بلد، وقد عملت من هذا المبدأ طيلة فترة حكمها خلال الفترة الماضية خصوصاً في مصر التي فاجأ المصريون فيها الجماعة بالنزول ضدها إلى الشارع ومسارعة الجيش المصري التقاط الفرصة والإنحياز إلى جانب أنصار المعارضة التي

تظاهر أنصارها بالملايين وأدت مظاهراتهم إلى قيام الجيش بعزل الرئيس محمد مرسي، وتالياً فقد تنظيم الإخوان المسلمين الحكم في مصر البلد الركن والأساس في منظومة الإخوان والتي قد يجر فقدان الحكم فيها وضعاً كارثياً على الإخوان المسلمين في باقي الدول العربية، أولها في قطاع غزة، وفي تركيا في مدى زمني أبعد. وقد بدأت علامات تراجع الإخوان المسلمين هذه في المعارضة السورية عبر قبول الجماعة بمرشح السعودية (أحمد عاصي الجربا) بعد أن كانوا رفضوه سابقاً، ورغم سعي قطر الحثيث لانتخاب (مصطفى الصباغ) رئيساً للإئتلاف المعارض بعد استقالة أحمد معاذ الخطيب.

وتشهد التجربة الحالية نقاشات واسعة داخل القيادات القُطْرية في كل بلد، خصوصاً التجربة المصرية التي اعتبرتها الفروع القُطْرية التجربة الأم التي إن نجحت نجح مشروع الإخوان في تشكيل قوس حكم قوي من اسطنبول إلى القاهرة مروراً بدمشق وغزة ولبنان، هذا فضلاً عن وصول (النهضة) إلى الحكم في تونس وتصدرها المشهد الإعلامي والسياسي في الكثير من ساحات الصراع التي دخلتها الجماعة خصوصاً في سوريا. وحول وضع الجماعة سواء كان التنظيم الدولي أو التنظيمات القُطْرية، يتحدث إلى موقع المنار قيادي سابق في جماعة الإخوان المسلمين من مؤسسي التنظيم الدولي ومن الأشخاص الأوائل الذين قدموا البيعة السرية لمجلس الإرشاد في مصر تالياً للتنظيم المصري قائدا للتنظيمات القطرية في وعاء التنظيم الدولي.

يقول القيادي السابق والعضو المؤسس للتنظيم العالمي أن التنظيم العالمي للإخوان المسلمين ليس له أية فعالية جدية على الأرض، وهو أشبه بتنسيقية منه بتنظيم جدي، مضيفاً أن التنظيم العالمي مؤلف من فرعين: .

أ ـ مجلس الشورى.

ب ـ مكتب الإرشاد.

ومجلس الشورى هو مؤسسة صورية انتهت عملياً منذ سنوات، حسب القيادي، وكانت في بدايات تأسيس التنظيم العالمي تعقد جلساته من مسؤول الجماعة في كل قطر والذي يطلق عليه لقب (المراقب) ومساعد له، غير انه في السنتين الأخيرتين لم يعقد بسبب الأحداث العربية ووصول الفرعين المصري والتونسي إلى الحكم الذي له شروطه وظروفه ومصالحه بعيداً عن سنوات المعارضة التي كانت اجتماعات الجماعة خلالها أكثر تنظيما وأكثر ولائية بسبب الاستبعاد والاضطهاد الذي كانت تشعر به جماعة الإخوان المسلمين في العالم العربي.

أما مكتب الإرشاد فقد صيغ على مقياس التنظيم المصري ليمكنه من السيطرة على التنظيمات القُطْرية، وهو يتألف من 14 عضوا بمن فيهم المرشد العام، منهم ثمانية أعضاء من مصر البلد الأم زائد المرشد فيصبح العدد 9 على 14 عضواً، والخمسة أعضاء الباقون يتوزعون على الأقاليم.

المسؤول الإخواني يقول أن التنظيم العالمي أنشئ في نهاية

سبعينات القرن الماضي وتمت مبايعة المرشد العام في مصر مبايعة سرية، وكان أول المبايعين من تونس. ويضم التنظيم العالمي خمس دول غير مصر وهي (تونس، ليبيا، الأردن، لبنان، سوريا) حيث يعتبر الليبيون الأكثر غبناً في هذه التركيبة، كما أن للجماعة علاقات وثيقة مع كل من الجماعة الإسلامية في باكستان وحزب العدالة والتنمية في تركيا.

ويشرح المسؤول الإخواني العلاقة بالقرضاوي قائلاً إنه كان عضواً في الجماعة ولكن ليس له أي نفوذ في التنظيم، مضيفاً أن علاقة القرضاوي مع قطر اختارها هو طمعاً بالسلطة وبغيرها ولم يكن الأمر من تخطيط جماعة الإخوان المسلمين، واعتبر أن القرضاوي رجل القصر في قطر وهو يتماهى مع السياسة القطرية قبل أي شيء.

الإخوان وتجربة الحكم في مصر

السيسي لمرسي: الجيش أتى بي وليس أنت

وصلت جماعة الإخوان المسلمين إلى السلطة في مصر بعد ثورة شعبية على نظام الرئيس حسني مبارك، وكان دخول الجماعة إلى صف المتظاهرين في ميدان التحرير متأخراً بسبب مباحثات كانت الجماعة تجريها مع الولايات المتحدة عبر السفارة الأميركية في القاهرة، والتي أنتجت اتفاقاً بين الطرفين أدى إلى تدخل أوباما بشكل كبير وقوي لإجبار الرئيس المصري السابق حسني مبارك على التنحي.

مصادر غربية في فرنسا تفيد أن الاجتماعات بين الإخوان المسلمين والسفارة الأميركية في القاهرة أنتجت اتفاق الضرورة بين الطرفين غضّت بموجبه امريكا النظر عن وصول الجماعة للحكم مقابل تجاهل جماعة الإخوان المسلمين لاتفاقية كامب ديفيد، مضيفةً أنه لم يكن هناك اتفاق محدد البنود وشامل بل توافق المرحلة الحرجة، وتقول المصادر انه خلال أحد الاجتماعات قال وفد الجماعة للوفد الأميركي لماذا لا تتصلون بحركة حماس؟ فوافق الأميركيون وتولى الإخوان في مصر عملية التواصل بين الطرفين قبل أشهر طويلة من مغادرة قيادة حركة حماس دمشق واستقرار خالد مشعل في قطر.

لا يمكن لجماعة الإخوان المسلمين ان تحكم مصر بمفردها هذا أمر دونه عقبات كبيرة، أولها التركيبة المتنوعة للشعب المصري ووجود قوى علمانية ويسارية وقومية متجذرة، وقد أخطأ القيمون على الإخوان في مصر القبول بتسلم الحكم بعد سقوط حسني مبارك، يقول القيادي السابق في التنظيم العالمي للإخوان المسلمين في حديثه معنا، ويصف القيادة السياسية بعدم النضج والتعطش للحكم، بينما كان عليها مشاركة الآخرين في السلطة في المرحلة الانتقالية الصعبة، خصوصاً أن مصر الخارجة من عقود طويلة من المصاعب في ظل حسني مبارك لا يمكن حل مشاكلها دفعة واحدة. وقد نتج عن تسلم جماعة الإخوان المسلمين السلطة أنهم تحملوا وزر كل الأخطاء والمصائب التي خلفتها سنوات حكم الرؤساء الذين حكموا مصر منذ أكثر من ستين عاماً. هناك تعطش

للحكم والانتقام بسبب عقود من الاضطهاد حكمت مسار الإخوان المصريين ودفعتهم إلى اللهاث وراء السلطة دونما تخطيط وحكمة سياسية، ومن يظن ان الجماعة كانت مستعدة لتسلم الحكم أو انها وضعت استراتيجية استباقية لتبوء السلطة في حيال غياب حكم حسني مبارك، لا يعرف شيئاً عن الإخوان المسلمين في مصر، يقول القيادي الإخواني السابق مستطرداً: لقد تفاجأت الجماعة بالحدث المصري ولم تكن تتوقعه، ولم تخطط لأي طارئ بل لم يكن لديها أي تصور لكيفية سقوط النظام، والحراك الشعبي سبقها رغم أنها الحزب الأكبر والأكثر انخراطاً في المجتمع وترسخاً بين صفوف الطبقات الشعبية، غير أن وهج السلطة كان غالباً على التفكير السياسي العميق، متسائلاً كيف قبلت الجماعة الوقوع بفخ السلطة بالتوافق مع الجيش المصري الذي يحمل في عقيدته منذ عشرات السنين أن الإخوان المسلمين خطر على المؤسسة العسكرية المصرية وخطر على مصر، وهناك من يحاول أن يستفز الجماعة للدخول في صدام مسلح مع الجيش جازماً ان جماعة الإخوان المسلمين واعية لهذا الأمر ولن تنجرّ للدخول في حرب مسلحة، لكن لا يمكن ضبط الجماعات الأخرى غير المنضوية تحت جناح الإخوان في حال قررت الدخول في صراع مسلح مع الجيش المصري احتجاجاً على إسقاط الرئيس محمد مرسي.

لقد عانت الجماعة أيضاً من صبغة التريف [= نسبة إلى الريف] التي طبعت قيادتها الحالية، التي ينتمي معظمها إلى الريف المصري حيث أن غالبية أعضاء مجلس الشورى ومكتب الإرشاد،

من الريف باستثناء المرشد محمد بديع المدني، لكنه متسلّفٌ سياسياً كما قال عمر تلمساني مرشد الجماعة في سبعينات القرن الماضي (إذا وصل مجمد بديع والمحيطون به إلى حكم الإخوان المسلمين فعلى الجماعة السلام).

هذا ما أدى إلى الفقد الفاضح في وجود الكفاءة السياسية والتخطيط المنظم وقد انعكس هذا الافتقاد للكفاءة في عدم فهم الوضع المصري وقوة نفوذ أميركا في مصر، ويبدو أن خيرت الشاطر والمجموعة التي شاركت معه في الاجتماع مع السفيرة الأميركية وقعوا في الفخ كما وقع صدام حسين بفخ أميركا عندما قرر غزو الكويت، حسب مصادر إسلامية تؤكد أن اللقاء الذي حصل بين السفيرة الأميركية في القاهرة وقيادة الجماعة لم يكن سلبياً، غير أن الأميركي لم يتدخل للضغط على الجيش، ويبدو أن الإدارة الأميركية واقعة في حيرة من أمرها، وهي لا تريد التدخل في مصر حالياً حتى تتضح معالم المستقبل، وهي تتروى في سياستها التي لا تخرج عن المعتاد في الدعوة لاحترام الديمقراطية في وقت تتعرض فيه واشنطن لضغوط الحليف السعودي الذي لم يبتلع لحد الآن موقف أوباما الذي أجبر مبارك على التنحي كما أن الإدارة الأميركية لا تريد للجيش المصري ان يخسر معركته وهو حليفها الأول في مؤسسات الدولة المصرية.

وتوازن واشنطن بين دعمها للجيش المصري وبين الحفاظ على التفاهم الذي حكم علاقتها بجماعة الإخوان المسلمين، وهذا

يظهر جلياً من جلسة لمجلس الشيوخ الأميركي حيث طرح سيناتور جمهوري أسئلة على وزير الخارجية جون كيري حول العلاقة مع مصر الإخوان والجيش، ويظهر تَمسُك الإدارة بتسليم الجيش وبالحفاظ على الإخوان والعلاقة معهم.

السيناتور: بعد سماعك تعليقات الرئيس مرسي التي تصف الصهاينة والاسرائيليين بأنهم مصاصو دماء وأحفاد القردة والخنازير، أتعتقد أنه من الحكمة أن نعطيهم دبابات ابراهامز وطائرات أف 16؟

كيري: أنا أعتقد أن تعليقاته تستحق العقوبات القاسية، وأنها تؤخر إمكانية العمل بشأن القضايا ذات المصلحة المشتركة، وأعتقد أن هذه التعليقات مهينة، وهي غير مقبولة بمعايير أي جهة ويتوجب الإعتذار عنها بطريقة صحيحة.

السيناتور: هم يفهمون فقط بالقوة ولكن متابعة إرسال الأسلحة لهم لن يغير من سلوكهم.

كيري: دعني أنهي كلامي؛ الرئيس مرسي أصدر بيانين لإيضاح هذه التعليقات، وكان هناك لقاء جمع مرسي وعدداً من الشيوخ الذين أمضوا جزءاً مهماً من الحديث وحصل نقاش حاد نسبياً حول هذا الموضوع، وهنا يكمن التعقيد في التعامل في الشأن الدولي حيث لا يكون كل شيء جلياً تماماً «أبيض أو أسود» لدينا اهتمام شديد بمصر، مصر حتى الآن عاشت والتزمت باتفاقية السلام مع اسرائيل وبدأت باتخاذ خطوات للحفاظ على الأمن في

سيناء وهذا مهم جداً لمصلحتنا الوطنية وأمن اسرائيل، بالإضافة إلى ذلك فقد أوفوا بعهدهم بإجراء الانتخابات وعملية دستورية وفي القريب سوف تجرى انتخابات لمجلس النواب، حقيقة أن بعض البلدان يمكن أن تنتخب أشخاصاً قد لا نتوافق معهم بشكل كامل لايعطينا صلاحية عدم الاعتراف بانتخاباتهم.

السيناتور: لقد كانت هذه هي مشكلتنا في السياسة الدولية منذ عقود (الديمقراطيين والجمهوريين) نحن موّلنا ابن لادن والمجاهدين لقد كنا إلى جانب التيار الجهادي المتشدد لأنهم كانوا أعداء أعدائنا لقد قمنا بذلك مراراً، أنا أعتقد أن هذه الأسلحة سترتد لتهدد إسرائيل وأن دعمنا للثوار في سورية سيرتد أيضاً لتهديد إسرائيل.

كيري: كما تعلم حضرة السيناتور أن أي صفقات مبيع للسلاح الأميركي في ذلك الجزء من العالم تخضع لامتحان يجري على أساس نوعي بالنسبة لدفاعات وأمن إسرائيل ونحن لا نبيع أسلحة كاسرة لهذا التوازن النوعي.

السيناتور: نبيع لمصر 16 طائرة اف 16 مما يوجب علينا إعطاء خمسٍ وعشرين لإسرائيل، يبدو أننا نوقد سباق تسلح، فَلِمَ لا نقطع السلاح عن أعداء إسرائيل فذلك سيوفر علينا الكثير من المال ومن الممكن أن يجعل إسرائيل أكثر أماناً.

كيري: أليس من الأفضل إلى أن نصل لتلك اللحظة ويكون ما تكلمت عنه قابلاً للتحقيق، أن نسعى للسلام؟

أتى انذار اللواء محمد السيسي للرئيس المصري المخلوع محمد مرسي بُعيْد اجتماع السفيرة الأميركية في القاهرة مع خيرت الشاطر النائب الأول للمرشد.

كان وزير الدفاع حاسماً في لقائه مع مرسي الذي طلب منه مهلة ثلاث ساعات لدراسة الموقف، لكن السيسي رفض، فقال له مرسي: أنا من أتى بك وزيراً للدفاع بعد طنطاوي. أجاب السيسي لا لست أنت، المؤسسة العسكرية هي التي اتت بي. فردّ مرسي ولكني أنا الذي أخترتك فقال السيسي: قيادة الأركان هي التي اختارتني وعينتني وليس أنت. وهنا قال مرسي ماذا ستفعلون بي؟ رد السيسي: لا شيء سوف تبقى تحت الحفظ.

ويظهر من طريقة التعاطي مع الرئيس أن هناك قراراً لدى الجيش المصري بالقضاء ليس فقط على حكم الإخوان المسلمين لمصر، ولكن هنا في الجيش وفي المعارضة، من يريد توجيه ضربة إلى التنظيم لا يمكن له القيام بعدها لعقود مقبلة، حسب القيادي في التنظيم الدولي. وهناك خيارات لا تبدو سهلة وأحلاها مُرّ وعلقم فإمّا تختار الجماعة المهادنة وتستمر في سياسة التظاهر والاعتصام، وهذا يحتاج إلى جماهير حاضرة في الساحة على مدار الساعة ومن الصعب تأمين حصوله لمدة طويلة، كما أن هذا الخيار يشجع السلطات على مواجهة الجماعة بحجة تعطيل مصالح الناس وإغلاق الساحات والطرق، وإمّا أن تختار جماعة الإخوان المسلمين النزول

تحت الأرض والبدء بالمواجهة العسكرية مع الجيش المصري، وهي تمتلك الخبرات والسلاح الكثير الذي دخل مصر من ليبيا طيلة العامين الماضيين.

ما زالت الجماعة تتأرجح بين الخيارين وقد تكون غلبة السلاح هي الآتية في حال قرر الجيش المصري اعتقال قادة الجماعة بمجملهم، بمن فيهم المرشد، وهذا ما يعيه الجيش وقادته ويتجنبون، على أقلّه لحدّ الآن.

إخوان سوريا

الصعود السريع والهبوط مع الانقلاب المصري

يعتبر تنظيم الإخوان المسلمين في سوريا الأقدم بعد التنظيم الأم في مصر، وهو من اوائل الفروع القطرية لتنظيم الإخوان المسلمين الذي دخل في صراعات مسلحة للاستيلاء على السلطة، وأكثرها جدلية في حمله للأفكار التكفيرية التي حاولت جماعة الإخوان ومؤسسها حسن البنا الابتعاد عنها. وكان التنظيم السوري قد أعاد العمل بفتوى ابن تيمية التي تعود للقرن الثامن الهجري والتي تحلل قتل العلويين والشيعة والمسيحيين والسيطرة على ممتلكاتهم وأموالهم. وقد خاض التنظيم حرباً طاحنة ضد النظام في سوريا بين أعوام 1978 و1982 انتهت بمعركة حماه الشهيرة التي هُزمت فيها الطليعة المقاتلة الجناح العسكري للجماعة حينها، وفرّ قادة الجماعة إلى العراق والسعودية وبريطانيا والأردن وخبا ذكرهم وحركتهم حتى عام 2005، عندما عادت الجماعة للتحرك العلني

ضمن تحالف ضمّها مع عبد الحليم خدام، فضلاً عن تعاونها في شبه تحالف لم يدم طويلاً مع جماعة 14 آذار في لبنان، وأتت حرب غزة عام 2008 وإعلان الجماعة وقف حملاتها الإعلامية ضد النظام في سوريا لتعود الحركة بعدها مباشرة إلى العمل العلني ضمن التنظيم العالمي للإخوان المسلمين.

وسرعان ما انتهت الهدنة الإعلامية لتعيد الجماعة تنظيم قيادتها في شهر آب 2010، فتم إخراج صدر الدين البيانوني من منصب المراقب العام وأتت قيادة جديدة جلها من القيادات العسكرية التي قاتلت في حماه ضمن الطليعة المقاتلة، وعلى رأس هؤلاء كان المراقب العام الجديد محمد رياض الشقفة ونائبه فاروق طيفور اللذين كانا من قيادات المجموعات المسلحة في الطليعة المقاتلة الذين قاتلوا في حماه، كما ينتمي الاثنان إلى مدينة حماه نفسها.

أتت الأحداث في العالم العربي وخصوصاً في سوريا، لتعيد الاعتبار لجماعة الإخوان المسلمين في سوريا التي دخلت مباشرة على خط التسلح، وكانت اولى المجموعات المسلحة التابعة للتنظيم تعمل منذ بداية الحراك رغم عدم التغطية الإعلامية حينها، وكانت مناطق ريف ادلب وضواحي دمشق وحمص وهي مناطق تحوي حاضنة تاريخية لجماعة الإخوان المسلمين، أول المناطق التي شهدت مظاهر مسلّحة. وفي هذا يقول مرجع سوري معارض مقرب من جماعة الإخوان المسلمين أن جماعته بدأت بنقل السلاح بشكل كبير إلى الداخل السوري منذ بداية المظاهرات المناهضة

لحكم الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك، أي قبل بدء الأحداث في سوريا، كاشفاً أن أول شحنات السلاح وصلت من لبنان إلى ريف دمشق تبعتها شحنات أسلحة من تركيا ومن الأردن، وكانت تقتصر على الأسلحة الخفيفة وقنابل يدوية وقواذف ب 7، وأتت أول دفعة من هواتف الثريا عبر رجل أعمال سوري مقيم في الإمارات وكانت الجماعة أول من أدخل هذه الهواتف إلى سوريا. ويضيف المرجع، أن جماعة الإخوان السورية كان لها وجود كبير وقوي في قناة الجزيرة، وأتى الموقف القطري الساعي لإسقاط الرئيس السوري مع هذا الوجود في الجزيرة ليجعل القناة في خدمة الجماعة قبل غيرها من الجماعات المعارضة الأخرى.

وسعت جماعة الإخوان المسلمين منذ بداية الحرب السورية إلى السيطرة على التمثيل المعارض عبر المجلس الوطني السوري الذي شكلت أكثر من ثلثي أعضائه أو مع الإئتلاف الذي حافظت من خلاله على سيطرتها العددية والمالية، حيث أمّنت مشيخة قطر المال للجماعة عبر شخصين هما (أحمد رمضان) ومن بعده عبر رجل قطر في المعارضة السورية رجل الأعمال (مصطفى الصباغ)، وحرصت الجماعة على تسلّم هيئة الإغاثة في كل المجالس والائتلافات والهيئات التي أسستها قطر وفرنسا وتركيا تحديداً للمعارضة السورية، كما أنها منذ البداية تسلّمت مهمة تسمية الجمعات عبر (فداء السيد) المقيم في الولايات المتحدة وهو من ريف إدلب، وغالبية أفراد عائلته تقاتل إلى جانب الجماعات المسلحة وهم من اتباع الإخوان المسلمين منذ عقود وهاجروا بعد أحداث حماه مباشرة.

أنشأت جماعة الإخوان المسلمين في عام 2010 لواء التوحيد في ريفي حلب وإدلب، وكان من اكبر الجماعات المقاتلة المعارضة واكثرها تنظيماً وتسليحاً، غير أن واقع الحرب والأرض جعلها تغيّر من استراتيجيتها. وهي في سعيها للسيطرة على الأرض في سوريا، وإرادتها عدم تحمل المسؤولية عن المجازر الطائفية التي بدأتها هي تحديداً في حمص وريفها وريفي إدلب وحماه، أرتأت الجماعة تحميل مسؤولية المجازر إلى طرف آخر. وهي، حسب ما يردده معارضون سوريون وجدت (جسماً لبّيساً) اسمه تنظيم القاعدة فابتدع (فاروق طيفور) نائب المراقب العام للجماعة وقائدها العسكري الفعلي (جبهة النصرة) التي كانت أولى كتائبها من مقاتلي لواء التوحيد الذي ضَعُف فجأةً وقلّ عدده لحساب جبهة النصرة.

ويمكن تعداد المفاصل الأساس في المعارضة السورية التي عملت الجماعة على السيطرة عليها لضمان إمساكها بقرار المعارضات السياسية والمسلحة على النحو التالي: .

أ ـ المجلس الوطني حيث تحظى الجماعة بـ 47 صوتاً على 73 وهي رفضت حل المجلس عند تأسيس الائتلاف المعارض واعتبرته جزءاً من الائتلاف ذا استقلالية.

ب ـ الائتلاف المعارض وتحظى فيه الجماعة بنسبة 67 عضوا من أصل 114.

ج ـ أصرت الجماعة على الاحتفاظ لنفسها بالملف الإغاثي ورفضت ان تعطيه لأي طرف آخر.

د ـ تحتفظ الجماعة لنفسها بتسمية الجُمُعات [= شعارات التظاهرات كل يوم جُمُعة] وفقاً لسياستها وأهوائها.

هـ ـ تُمسك الجماعة بالجسم الأهم من المسلحين المنظمين، إن كان عبر (لواء التوحيد) أو عبر بعض الكتائب التابعة لجبهة النصرة، التي دخلت لاحقاً السعودية وأطراف عراقية على خط منافسة الجماعة في السيطرة عليها، لكن يبقى لجماعة الإخوان المسلمين نفوذ قوي في كتائب الجبهة التي تعمل في ريف ادلب وريف حلب وفي ريف دمشق وفي سهل الغاب.

سقوط مرسي؛ بدء مرحلة التراجع

لا شك أن جماعة الإخوان المسلمين في سوريا لم تكن تتصور، في أسوأ كوابيسها وأشدها بؤسا، أن يأتي سقوط حكم الإخوان المسلمين في مصر واعتقال قياداتهم، بدءاً بالرئيس المخلوع محمد مرسي وصولاً إلى عشرات القيادات من جماعة الإخوان المسلمين في مصر عشية انعقاد اجتماع الإئتلاف السوري المعارض لانتخاب رئيس له خلفاً لمعاذ الخطيب الحسيني، الذي استقال منذ شهرين تقريبا على خلفيات ما سماه الخطيب عدم صدق الدول الداعمة للمعارضة وسيطرة جماعة الإخوان المسلمين على مفاصل الإئتلاف السوري المعارض، وبالتالي على قرار المعارضات بمجملها. واجتمع الإئتلاف السوري المعارض في 6 تموز 2013 في اسطنبول عاصمة الباب العالي للدولة العثمانية في وقت كان فيه موقف جماعة الإخوان المسلمين ضعيفاً مقارنة

بالسابق، بينما رجّحَ الحدث المصريّ كفة ميشال كيلو ومجموعته جماعة بندر بن سلطان في الإئتلاف ولديها عشرين عضواً من أصل 114 هم عدد اعضاء الإئتلاف المعارض وتنضوي مجموعة ميشال كيلو تحت مسمى (القطب الديمقراطي) وطرح ميشال كيلو مرشحاً لرئاسة الإئتلاف هو أحمد عاصي الجربا، وهذا الرجل مقرب من السعودية وتتهمه بعض اوساط المعارضة أنه رجل مخابرات لدى بندر بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود.

أتى التحول المصري الكبير ليضعف جماعة الإخوان المسلمين في سوريا ويجعل الأطراف الأخرى في المعارضة السورية تشعر بالقوة حيالها، بينما تشعر الجماعة بالضعف واليتم جراء سقوط جناحها المصري الكبير الذي شكل أكبر سند لها خلال السنة الماضية حتى وصل الأمر به إلى قطع العلاقات مع سوريا وتكفير النظام وحلفائه، وقد وضعها امام خيار وحيد لا ثاني له، وهو الوقوع تحت سيطرة بندر بن سلطان وانتخاب مرشحه (أحمد عاصي الجربا)، وهذا سوف يقود في كل الأحوال إلى تقويض نفوذها وجعلها تابعة للسعودية التي تؤيد الإطاحة بالرئيس المصري السابق محمد مرسي، ومن ثم التنظيم الأم في مصر، وكانت الرياض أول داعم لهذا التغيير وقدمت ملياري دولار للحكم الجديد في مصر، وتالياً خروج الجماعة من الغطاء والحضن القطري والتركي، وهي، أي جماعة الإخوان المسلمين في سوريا، كانت وراء الكشف عن وقوف بندر وراء ترشيح ميشال كيلو لعاصي الجربا قبل شهر من ذلك وبينما كانت جماعة الإخوان في سوريا

تتحدث من موقف قوي وثابت قبل أسبوع يأتي يوم 4 تموز 2013، منهياً مرحلة القوة والاستعلاء التي حكمت سلوك الجماعة كما حكمت سلوك أشقائها في التنظيم العالمي لجماعة الإخوان المسلمين في مصر وغزة وتونس وتركيا.

حمد بن جاسم: حماس انتهت

فندق سمير اميس في القاهرة، يحمل كل الأسرار التي تفتح الأبواب على مصادر التمويل السياسي والسفريات والإقامة والدعم الإعلامي للمعارضة السورية. لكن الإسم الحاضر الغائب عند المعارضة السورية ومنظمات المقاومة الفلسطينية في دمشق والأمانة العامة للجامعة العربية، هو رئيس هيئة التنسيق العربية الخاصة بالملف السوري، رئيس وزراء قطر حمد بن جاسم؛ حمد بن جاسم الذي يعتبر أن لديه قناعة كاملة بأنه قادر على أن يفعل ما يريد في تقرير مصير الشعب السوري ومستقبل دمشق. فقد صنع رؤساء: «رئيساً» للمعارضة وسوّق له، وموّل السلفيين الكويتيين من أجل تعويم عدنان العرعور على (قناة وصال) التي يرأس إدارتها وليد الطبطبائي ويشرف على تلقي أموالها أحد مساعديه الذي تلقى 200 مليون ريال قطري من أجل إبقاء القناة في حالة استنفار مذهبية ضد الشيعة والعلويين لقناعته بأن هذا سيجعل النظام يتخلى إما عن الرئيس بشار ومحيطه أو عن تحالفه مع إيران. في هذا المجال تتحدث أوساط المعارضة السورية في القاهرة عن كلام لحمد بن جاسم في اجتماع مع أعضاء في المجلس الوطني السوري في

العاصمة المصرية قال فيه بن جاسم أن حركة حماس انتهت كحركة مقاومة مسلحة. وحسب ما يقول المعارضون السوريون في القاهرة، قدم وزير خارجية قطر تحليلاً قال فيه إن خروج حماس من دمشق الذي أصبح مؤكداً هو نهاية الحركة في المقاومة. واعتبر حمد بن جاسم أن الإخوان المسلمين في مصر لن يتمكنوا من حماية حماس كما هي الآن حركة مقاومة مسلحة بسبب اتفاقية كامب دافيد ووجود الجيش المصري والضعف الاقتصادي الكبير الذي تعانيه مصر، فضلاً عن عدم الاستعداد النفسي للمجتمع المصري للدخول في حرب على حدود مع فلسطين، فيما لا يمثل إخوان الأردن حالة احتضان لأن الوضع الأردني لا يمكن له تحمل هذا.

حركة حماس بين الولاء الحزبي ومتطلبات القضية

لم يمر وقت طويل حتى غادرت قيادة حركة حماس دمشق ليتبين فيما بعد ان وجهة رئيس المكتب السياسي في الحركة (خالد مشعل) كانت قطر، البلد الذي وكلته أميركا قيادة الحملة لإسقاط نظام الرئيس بشار الأسد الذي احتضن حماس عندما تخلت عنها كل الأنظمة العربية بما فيها النظام القطري.

ويذكر مصدر سوري معارض أن الاتصالات بين الولايات المتحدة الأميركية وحركة حماس بدأت في وقت كانت قيادة الحركة ما تزال موجودة في العاصمة السورية دمشق، وأنّ هذه الاتصالات قد حصلت بناء على نصيحة جماعة الإخوان المسلمين في مصر

لوفد أمريكي كان يتولى لقاءهم خلال الثورة المصرية الأولى وكانت تهدف إلى الاتفاق لتدبير عملية انتقال السلطة في مصر. ويضيف المصدر أن القيادة السياسية في حماس عملت من مبدأ أن النظام السوري آيل إلى السقوط خلال عام 2012، وهذا الإعتقاد الخاطئ بُني على وعود اردوغان وحمد، وما لبث الحركة أن سارت في ركبه سياسياً وميدانياً في بعض المناطق السورية.

خرجت قيادة حركة حماس عن حذرها وبدأت تصدر عنها تصريحات منذّدة بالنظام السوري الذي شكل حتى الأمس القريب الحاضن لها ولوجودها، وانتقلت القيادة السياسية للحركة من التصريحات العلنية إلى العمل السياسي بمنعها التظاهرات المؤيدة للنظام السوري في غزة، وحضور قيادات من الحركة في احتفالات للمعارضة السورية، ومن ثم رفع خالد مشعل علم المعارضة السورية اثناء زيارته لغزة. وكان حضور الحركة في مؤتمر لجماعة الإخوان المسلمين في أنقرة خاطب خلاله خالد مشعل رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان مطلقاً عليه لقب زعيم الأمة الإسلامية، رأس الهرم السياسي في إعلان الحركة عن دخولها المباشر في معسكر أعداء النظام السوري، واستمرت الحال في حماس على هذا الموقف الذي أنساها حاجة المقاومة لمسايرة الجميع، خصوصاً من قدمها لها السلاح واحتضنها، مفضّلةً على ذلك موقفاً حزبياً ضيقاً. ويقول في هذا السياسي والكاتب الفلسطيني بلال الحسن «العمل الفلسطيني المقاوم كان دائماً يحتاج إلى سوريا ولا أفهم كيف يمكن ان نستعدي الجغرافيا في عملنا

المقاوم، لقد تم التصرف مع سوريا بطريقة الولدنة السياسية؛ مصر مكبلة باتفاقيات كامب ديفيد وبيننا وبينها صحراء سيناء، كيف يمكن لكم استعداء سورية والحفاظ على العمل المقاوم في وقت واحد؟ هذه معادلة لا تستقيم».

وتنقل مصادر عربية عن مسؤول كبير في حماس التقته في إحدى العواصم العربية قوله «نحن الان مشتتون، منذ فترة لم نعقد اجتماعاً واحداً، لقد طلب منا السوريون الرد على القرضاوي لكننا لا يمكن لنا ان نقوم بهذا، نحن أخرنا هجومه على سوريا اسبوعين كاملين، وعندما فاتحه بعض الحضور في موضوع رفع علم المعارضة في غزة اثناء زيارة خالد مشعل، اعترف المسؤول في حماس بهذا الخطأ متبرئاً منه».

ويبدو ان بعض التشكيلات المقاتلة في حركة حماس شاركت في القتال إلى جانب المعارضة في ريف دمشق، وتحديداً في مخيم اليرموك وفي بلدة يلدا؛ هذا ما اخبرني به ضباط في الحرس الجمهوري السوري في أيلول عام 2011 اثناء زيارتي لبلدة يلدا؛ وتعترف المعارضة السورية في الخارج بمشاركة فصائل مقاتلة من حماس في الحرب، غير أنه لحد الآن لم تثبت أدلة على أنّ هذه المشاركة أتت بقرار من الحركة أو بأوامر عسكرية مباشرة من قيادتها العسكرية أو السياسية.

العودة إلى الحلف القديم؟.

أتى الحدث المصرِيّ مغيراً المعادلة بشكل جذري بالنسبة

لحركة حماس، خصوصا مع الاتهامات التي تسوقها القوى المناهضة لجماعة الإخوان المسلمين عبر وسائل الإعلام التابعة لهم، بتورط مباشر لحركة حماس في الصراع المصري لمصلحة جماعة الإخوان المسلمين بما فيها القيام بقتل جنود مصريين وقتل متظاهرين. وهذا الكلام صدر أيضاً عن عسكريين مصريين وضباط كبار في الجيش المصري وجهوا الاتهامات لحركة حماس بقتل الجنود المصريين في سيناء، ووصل هذا الاتهام إلى القضاء المصري الذي هو بدوره أيضاً أشار إلى حماس. لقد نسيت حماس الشعور الوطني المصري في تدخلها بالشأن المصري وتحيزها الفاضح لجماعة الإخوان المسلمين، ما جلب عليها غضباً مصرياً عارماً على المستوى الشعبي وموقفاً معادياً من قبل الجيش المصري تظهر تجلياته في التحركات العسكرية المصرية على حدود غزة وفي مغادرة قيادات من حماس مصر باتجاه غزة أو دبي.

هذا الوضع المستجد والسريع الانقلاب، حتّم على حركة حماس إعادة النظر في بعض استراتيجيتها مع محور الممانعة، وبدايةً مع حزب الله، حيث تشير المعلومات الأكيدة أن الاجتماعات كثفت في الآونة الأخيرة بين الطرفين على مستويات عديدة، وحصل تقدم نوعي في العلاقة بعد الدور الإيجابي الذي قامت به حماس في عبرا، بمحيط صيدا، وأصدرت حركة حماس بياناً رسمياً أدانت فيه تفجير الضاحية الجنوبية، كما أن الانباء التي تحدثت عن مغادرة قيادة حماس للضاحية الجنوبية غير صحيحة على الإطلاق، وهذا الأمر هو الذي حافظ على شعرة العلاقة التي

سوف يكون لعودتها دافئة أثر كبير في إطفاء نار الفتنة المذهبية التي يهدد توسعها بحرق البيت ومن فيه، إذا لم يتم استعمال مضخات المياه السياسية لإطفاء شرارة الفتنة المشؤومة.

حرب القصير

الحرب في القصير: مُكرهٌ أخاك لا بطل

لم تكن مدينة القصير الواقعة على نهر العاصي قرب الحدود مع لبنان، لتتوقع حتى في أسوأ أحوالها ما حصل لها منذ عامين تقريباً، ولم يكن أهل القصير هذا النسيج المختلط الذي تعايش بودّ وسلام منذ مئات السنين، يتصورون، حتى في أسوأ كوابيسهم النكبة التي حلت بهم بسبب وصول آلاف التكفيريين الآتين من وراء البحار ومن خلف الضباب ليفرضوا عليهم نمط حياة وتفكير لم يكن من قبلُ قطُّ من تاريخهم، ولا يتناسب مع النسيج المتعدد للمدينة وطبيعة القرى والبلدات المنتشرة حولها على ضفاف العاصي، والتي تشكل بتركيبتها بيئة مناهضة لكل التكفيريين، من الصومال وليبيا وتونس وداغستان وجماعات القاعدة، الذين أتوا القصير وجعلوا منها إمارة تكفيرية، وكان وجودهم لسبب خاص بهم ولهدف عقائدي طائفي استئصالي حملوه معهم، بعيداً عن المطالب

المعروفة بالديمقراطية والحرية وكل الشعارات التي حملت منذ بدء الحرب في سوريا وعليها.

القصير هذه المدينة التي شهدت انتعاشاً اقتصادياً في الثلاثين سنة الماضية خلافاً لجوارها السوري، وحظيت بهذا الانتعاش والتطور بفضل جوارها لمدينة الهرمل، حيث يدخل في كل صباح اكثر من ألف عامل من القصير للعمل في الهرمل، فيما تحولت المدينة وأسواقها إلى سوق تبضع لأهالي الهرمل الذين يتمتعون بمداخيل أعلى بكثير من نظرائهم في القصير بسبب الفارق في مستوى المعيشة، وكانت سوق القصير تقفر عند تأخر قبض معاشات الموظفين في الهرمل، أو عند إغلاق الحدود لسبب من الأسباب، فضلاً عن أن العلاقات بين المدينتين تطورت إلى حالات زواج مختلط ومصاهرات بين عائلات المدينتين، حيث يوجد حالياً في قرى المصرية، حوش السيد علي، المعيصرة، زيتا، آلاف السكان من أقرباء لقيادات في الجماعات المسلحة التي أجرمت خلال العامين الماضيين، وهؤلاء الناس يعيشون مع عائلات الهرمل لم يمسهم أحد بسوء رغم عدد الشهداء الذين سقطوا ورغم التهجير الذي حصل، وهذا كله يعود إلى نفوذ حزب الله في المنطقة الذي شكل في هذه الحالة مظلة حماية من الانتقام الطائفي وحافظ على وجود مئات العائلات السنية في هذه المنطقة.

أكتب عن الحرب في القصير، المدينة التي أعرفها منذ صغري كونها جارة مدينتي الهرمل التي ينبع منها نهر العاصي ليروي القصير

وريفها قبل ان يمر عبر الجمهورية العربية السورية من الجنوب إلى الشمال ليصبّ في تركيا، وهناك الكثير من الأخبار التي لم تعلن ولم تنشر عن سيطرة المد التكفيري منذ بدايات عام 2012 على المدينة في تزامن مع العمل الطائفي المنظم الذي بدأ في حمص، التي عايشتُ بداية العمل الطائفي فيها عبر تواصل مع بعض الذين تم اختطاف أبنائهم في المدينة والذين طلبوا مني إيصال أسماء أبنائهم المختطفين لبعض المراجع في المعارضة السورية التي أعرفها، وكان يومها إسم (محمد صقر خليف) يتردد في المسؤولية عن عمليات الخطف الطائفي في حمص، ولكن خليف هذا بعد الاتصال به أخبر الوسطاء أن أولاد عائلة (دوم) الذين خطفهم تم تنفيذ حكم الشرع بهم وبكل من لا يغادر المدينة من الكفار والمرتدين، كان (محمد صقر خليف) أول زعيم مجموعة تكفيرية شكلت في حمص وضواحيها قبل الذبح الطائفي الكبير منتصف 2012 والتهجير الطائفي الكبير الذي شهدته المدينة نهاية 2012، وأذكر يومها أني التقيت في مؤتمر صحافي في فرنسا (برهان غليون) الذي هو ابن محافظة حمص وكان يومها رئيساً للمجلس الوطني السوري وسألته عن أعمال التطهير الطائفي في حمص فرفض إدانتها.

في القصير كان الوضع أخطر وأدق، فالمدينة التي يوجد فيها خليط ديني ومذهبي محاطة بقرى سورية موالية للنظام بتركيبتها، وقرى سكانها لبنانيون شيعة ولكنها داخل الأراضي السورية بفعل التقسيم الذي فرضته فرنسا في اربعينات القرن الماضي، ولا أخفي

سراً إن قلت ان كاتب هذه السطور له في هذه القرى أقرباء واملاك وبيوت تعود إلى مائتي سنة خلت.

منذ بداية عام 2012 خرجت مدينة القصير عن سلطة الدولة السورية، وبدأت ملامح الإمارة التكفيرية تظهر عليها مع توافد المئات من التكفيريين الغرباء عن بلاد الشام إلى المدينة التي شهدت يومها أول عملية تهجير طائفي عبرحرق صيدلية لشخص سوري من آل (حمادي) بسبب رفضه اغلاق صيدليته والمشاركة في التظاهرات ضد النظام، وما لبثت هذه الحالة ان عُمِّمت على المؤيدين للنظام أو على الحياديين من المسيحيين والشيعة الذين هاجروا من المدينة بعد توسع عمليات القتل ضدهم.

بعد تنظيف المدينة طائفياً اتجهت العناصر التكفيرية التي شكل الغرباء غالبيتها وهم خليط من (صوماليين، توانسة، ليبيين، داغستانيين، شيشيان) اتجهت هذه العناصر إلى السيطرة على ريف القصير، خصوصاً الريف الغربي لنهر العاصي الذي يوجد فيه لبنانيون من أهالي الهرمل وتم تهجير القرى التالية وإفراغها من أهلها، وهي: (ابو حوري، الحمام، الأظنية، الفاضلية، البرهانية، الحسينية، عين ام الدمامل، سقرجة، النهرية) وهذه القرى على تماس مباشر مع مدينة الهرمل، وقد أقام المسلحون التكفيريون منظومة عسكرية متكاملة في كل من (النهرية وسقرجة) التي أصبحت خط اشتباك يومي مع أهالي منطقة الهرمل حتى شهر نيسان 2013 تاريخ طرد هذه الجماعات من هذه القرى.

في تلك الفترة بدأت عمليات خطف وقتل طائفي بحق أبناء من الهرمل من الذين يعملون في التجارة أو سائقي نقل عمومي على طرفي الحدود، وكان أول ضحاياه شاب من الهرمل اسمه (محمد سمير بليبل) من الذين ينطبق عليهم مقولة (على باب الله)، خطف في ريف القصير ولم يعرف مصيره الا عند عملية تبادل بين آل جعفر والمسلحين حيث اعترف مخطوفون من القصير أن من خطفه هو زعيم الجماعات المسلحة (مصطفى صالح عامر) المعروف بعمليات الذبح والقتل. يومها تدخل حزب الله في الهرمل بشكل حاسم ومنع فتنة طائفية كبرى في البلد خصوصاً أن في الهرمل حوالى 600 عائلة سورية، ومن الإنصاف القول أن عشرة بالمائة فقط منها مسلمون شيعة، فضلاً عن علاقات (مصطفى العامر) في مدينة عرسال اللبنانية التي كان يتردد عليها دورياً.

ولم تتوقف هذه الأعمال، حيث تم اختطاف جعفر مدلج وقتله، ومحمد عبد العباس الذي اختطف وتمت تصفيته، ومن ثم اختطف شخص من آل زعيتر، وطوال هذه الفترة كان حزب الله عامل التهدئة الوحيد في المنطقة التي كانت ستشهد حملة ثأر طائفي غير مسبوقة لولا تدخل حزب الله الذي كان له اكثر من دور في لجم هذه الفتنة في عمليات التبادل التي تمت أكثر من مرة بين آل جعفر والمسلحين في سقرجة، أو في عملية الاختطاف الأخيرة لشخص من آل جعفر في بلدة عرسال شمال البقاع التي تشكل قاعدة دعم وامداد للمسلحين في القصير وحمص.

تزامنت كل هذه التعديات مع وصول عدد المسلحين التكفيريين على حدود مدينة الهرمل إلى ما يقارب 7 الاف مسلح غالبيتهم من القادمين من خارج منطقة الشرق الأوسط، وبدأت تتشكل معالم جبهة على حدود الهرمل وكان الأهالي يسمعون عبر اللاسلكي المسلحين بلهجات تونسية وليبية وخليجية حوارات بين المسلحين الذي كانوا يتوعدون اهالي الهرمل باقتحام مدينتهم وقتل رجالهم وسبي نسائهم، ومن الاتصالات التي رصدت في شهر رمضان الماضي حديث عن نية المسلحين الإفطار في مدينة الهرمل.

وتحولت المنطقة خلال العام الماضي إلى جبهة حرب حقيقية بين اهالي الهرمل والمسلحين فيما كان موقف حزب الله لأهل القرى المواجهة ان من يريد ان يترك هو حر ومن يريد البقاء له الحرية، في وقت كانت الاشتباكات بين أهالي المنطقة والمسلحين الغرباء تستمر يوماً بعد يوم.

في شهر نيسان الماضي حصل التطور الكبير والمرعب في تلك المنطقة بتمكن المسلحين التكفيريين من السيطرة على تل النبي مندو الاستراتيجي الذي يشرف على كل منطقة حوض العاصي، وقد أعدمت الجماعات المسلحة حامية التل من جنود الجيش العربي السوري بدم بارد، وبدأت عملية تحصين في التل وأتت بمئات المسلحين اليه في استمرار للهجوم نحو قرى شيعية أخرى (حاويك، زيتا، الديابية)، كانت مهددة بالتهجير، ليصبح المسلحون يمسكون بجبهة تشكل طوقاً من اربع جهات حول الهرمل من جهة سوريا في القصير ومن جهة الشمال اللبناني حيث

كانت تدور من وقت لآخر معارك بين آل جعفر ومسلحين في أكروم السورية وثالثة في منطقة عكار ورابعة عبر الطريق المؤدية لبعلبك والتي انتشر فيها مسلحون من الجيش الحر في مزارع سيطر عليها ناشطون سلفيون من عرسال على امتداد سهل رأس بعلبك التي تعتبر طريق وصل الهرمل بمدينة بعلبك وبالبقاع.

بعملية تل مندو اكتملت عملية عزل مدينة الهرمل وأهلها، تزامناً مع عملية خطف حسين جعفر التي تطورت إلى عمليات خطف مضادة هددت بفتنة طائفية شاملة في لبنان، ومعها بدت سياسة الصبر والنأي بالنفس سياسة انتحارية بكل معنى الكلمة في وقت انخرط فيه الكثيرون في لبنان من قوى 14 اذار والجماعات السلفية في المعركة التي تحولت إلى حرب تهجير وإبادة طائفية ليس لها علاقة بأية مطالب إصلاحية في سورية.

مُكْرهٌ أخاك لا بطل... هذا هو حال المقاومة واهلها في حرب فرضت عليهم، لم يريدوها ولم يسعوا لها، لكنهم قرروا خوضها حتى الحسم الكامل وهذا ما تم وحصل.

وصْلُ حمص بالساحل

الاستراتيجية العسكرية هي نفسها عبر التاريخ

بين عام 2011 و2012 وُجد آلاف المقاتلين العرب والأجانب في مدينة حمص وضواحيها فضلا عن مدينة القصير والقرى المحيطة بها، خصوصاً القرى الواقعة غرب نهر العاصي، وتنقل

المراجع عن جهات أمنية فرنسية[1] أن غالبية هؤلاء المقاتلين جاؤا عبر لبنان وبعضهم دخل عبر مطار بيروت الدولي، فيما أتى البعض الآخر عبر البحر الأبيض المتوسط في بواخر ترسو في عرض البحر قبالة مدينة طرابلس وينتقل منها المقاتلون الأجانب إلى اليابسة اللبنانية عبر قوراب صغيرة.

الجهات الأمنية الفرنسية تقول أن عدد المسلحين في مدينة القصير والقرى المحيطة بها بلغ في ربيع 2013 حوالي 7 آلاف مقاتل من جنسيات مختلفة (باكستان، أفغانستان، الصومال، تونس، ليبيا، الأردن، الجزائر، فلسطين، لبنان)، هذا فضلاً عن السوريين المسلحين الذي يقاتلون النظام. وتأتي غالبية اللبنانيين عن طريق جبال عرسال المحاذية للقصير عند سهل القاع ومن صيدا وطرابلس، ويتوزع الأجانب على القرى التي تقع غرب نهر العاصي مستغلين طبيعة الأرض الشجرية الكثيفة، وهؤلاء المقاتلين كانوا ينشرون في القرى التالية (سقرجة، أبو حوري، النهرية، الأظنية، البرهانية وعين التنور) وكانت عين التنور تعتبر مركز الثقل لهؤلاء المسلحين كون الجيش السوري يستثنيها من عمليات القصف بسبب وجود محطة مياه الشفة التي تزود مدينتي حمص وحماه من مياه العاصي في هذه القرية، وكان الجيش يخشى إن قصف القرية تَضَرُّر المحطة وانقطاع مياه الشفة عن حمص وحماه.

---

(1) صحيفة لوفيغارو 3 تشرين أول 2012.

أ ـ معركة تل النبي مندو

قُدّر لي أن اكون في محيط تل النبي مندو، أو تل قادش، يوم سقوطه بيد المسلحين في 8 نيسان 2013، كنت حينها في بلدة العقربية التي تحولت سوقاً لأهالي الهرمل ومنطقتها مكان القصير.

كان التاريخ يعيد نفسه، فهذا التل هو تاريخ عسكري بحد ذاته، والجغرافية العسكرية لا تتغير مع الزمن، هي ثابتة، أقلّه هنا في وادي العاصي النهر الإنجيلي، وتل قادش الذي يعني بالعربية التل المقدس.

كان رجال حزب الله يراقبون سقوط التل ويدركون في قرارة أنفسهم أن دخولهم المعركة اصبح اكثر من ضروري، هذا الدخول اصبح وجودياً وحتمياً لبقائهم، وإلا فالخناق مُطبق لا محالة مع مشاهد سقوط تل قادش بيد المسلحين التكفيريين.

كنت أشاهد عن قرب وبأم العين، المعركة التي انتهت بسقوط التل بيد مسلحي المعارضة السورية من دون أي تدخل فعال من الطيران الحربي لمنع سقوط هذا التل الاستراتيجي، ويقال إن الحامية التي كانت داخل موقع التل قد تمت تصفيتها فور سقوط الموقع العسكري في التل.

كان الهجوم على هذا التل الخطأ الاستراتيجي الذي ارتكبته الجماعات المسلحة في ريف القصير، فهذا الهجوم دخل في عمق المناطق الشيعية في منطقة حوض العاصي وأصبحت طريق الهرمل الساحل السوري مقطوعة بفعل نيران المعارضة، وفي الوقت نفسه

كان سقوط تل مندو بيد المسلحين يدق ناقوس الخطر من اقتراب مسلحي المعارضة السورية من الهدف الأساس لكل معركة القصير وهو الوصول إلى الساحل عبر الشمال اللبناني، ويؤمّن طريق إمداد السلاح من البحر إلى حمص ودمشق عبر مدينة القصير الاستراتيجية، فضلاً عن اكتمال الطوق حول مدينة الهرمل من ثلاث جهات، وسيطرة حلفاء المعارضة السورية من مسلحي عرسال نارياً على طريق الهرمل بعلبك ما يهدّد حزب الله في عمقه الديمغرافي والاستراتيجي.

لم يكن هناك خيار أمام قيادة حزب الله سوى العمل عسكرياً على استعادة منطقة القصير ومركزها لمنع النار السورية من الاقتراب من مناطق وجوده ومنع المقاتلين التكفيريين من الوصول إلى مدينة الهرمل خزان حزب الله الاستراتيجي على الحدود مع سوريا.

في18 نيسان عام 2013 عندما بدأ حزب الله والجيش السوري هجومهما في القصير كانت المدينة تقع بأغلبها تحت سيطرة المسلحين، وغالبية الموجودين من المسلحين داخل المدينة هم من السوريين، بينما يسيطر الجيش السوري على مبنى المديرية الذي يقع على مدخل القصير الشرقي من ناحية مدينة حمص، وعلى القرى والبلدات المحيطة بالطريق الدولي بين حمص والحدود اللبنانية ناحية مشاريع القاع. .

في هذه المنطقة الواسعة من لبنان يمتلك المسلحون راجمات صواريخ، مدافع من العيار الثقيل، مضادات للطائرات وذخائر

وبنادق آلية، كما أقاموا التحصينات والدهاليز والمتاريس، وكانوا يدفنون قتلاهم فوراً.

وكما كان تل قادش نقطة الحرب الحاسمة بين المصريين والحثيين للسيطرة على آسيا قبل 3300 عام، عادت الاستراتيجية العسكرية لتفرض نفسها في العصر الحديث عبر معركة القصير التي ارتكزت على تل قادش في انطلاقتها وحسمها، حيث شنت قوات النخبة في حزب الله مدعومة بغطاء ناري كثيف، هجوماً كبيراً صبيحة يوم 18 نيسان 2013 على تحصينات جبهة النصرة في تل قادش، وبعد نهار شهد اشتباكات مباشرة، أحياناً على بعد متر واحد، استعاد مقاتلو حزب الله التل الذي دافع عنه أكفأ المقاتلين في المعارضة السورية من حيث الخبرة والجراة والتسلح.

عرفت قيادة المسلحين ان سقوط التل يعني بالمفهوم العسكري انهيار الجبهة في كل المنطقة الوسطى، جمعت خيرة المقاتلين في القرى المجاورة للتل وشن المسلحون هجمات مضادة حتى مساء يوم 18 نيسان فقدوا خلالها عدداً كبيراً من المقاتلين المدربين من النخبة لديهم؛ هم انتحروا أمام التل، يقول أحد مقاتلي حزب الله من الذين اقتحموا تل مندو صبيحة ذلك اليوم.

أرخى الليل بظلاله على منطقة حوض العاصي، كان تل مندو قد أصبح بيد مقاتلي حزب الله ولم تفلح كل محاولات مقاتلي القاعدة الأشداء باستعادة هذا الموقع الاستراتيجي بامتياز. استمرت المحاولات أسبوعاً كاملاً دون جدوى، علم أهالي القرى أن

المعارضة السورية فشلت في الصمود في التل وفي استعادته، ومنذ ذلك المساء بدأت الانهيارات السريعة في الجبهة التي استفاقت يوم 18 نيسان وكان فيها 7 آلاف مقاتل للمعارضة، ونامت مساء ذلك اليوم على أقل من نصف العدد المذكور بسبب ترك المئات من المسلحين سلاحهم وذهابهم إلى منازلهم يراقبون الحرب بعد أن شاركوا فيها لاعتقادهم بانهيار النظام.

هي فطرة البدوي التي من خلالها عرفوا أن ميزان القوى لم يعد لمصلحة المعارضة، وأن زماناً جديداً له رجاله أتى على هذه المنطقة.

لقد اوهمونا أننا كلنا بشار الأسد خلال شهرين، يقول رجل من عرب ابو جبل، جرّونا للحرب بوعود انهيار النظام السريع والكل وعد نفسه بمركز بشار، الطبيب وبائع الخضار والحلاق وراعي الغنم والمهرّب، الكل توهم وتعجل الدخول في آتون النار التي اكلتنا جميعاً، وها هو النظام باق في دمشق وما زالوا يكذبون على غيرنا كما كذبوا علينا.

تل قادش، أو تل مندو، الذي كان موقع هزيمة المصريين وتراجعهم عن آسيا عام 1273 قبل الميلاد وانكفائهم داخل مصر لصالح الحثيين، عاد هذا التل ليكون نقطة الحسم العسكرية والمعنوية في الحرب السورية. لقد كان سقوط تل قادش المقدمة الحاسمة لسقوط مدينة القصير الاستراتيجية التي كان في تحريرها على يد مقاتلي حزب الله والجيش السوري تأثير الأواني المستطرقة

في الحرب السورية؛ سقطت القصير وبعدها سقط حيّ الخالدية في حمص، وتقدم الجيش السوري في ريف دمشق وفقد مسلحو المعارضة أي قدرة على الهجوم في الميدان بعد ان كانوا سادة الهجوم خلال سنتين خلتا، «فشل الحل العسكري محلياً في إسقاط النظام في سوريا وفشلت التنظيمات السلفية الجهادية في مواجهة حزب الله ميدانياً»، هذا ما قاله دبلوماسي فرنسي يعمل في البلاد الإسلامية. لم تجرؤ تركيا على التدخل العسكري، وليس لدول الخليج قدرة على ذلك، وتجرأ الاكراد على جبهة النصرة وهاجموا مواقعها في الشريط الكردي في الشمال السوري، بدأت الحرب بين فصائل المعارضة بعد ظهور دولة الاسلام في العراق والشام وتمكنها في الشمال السوري، كثرت الاستغاثات من ريف دمشق ومن حلب، لم ينجح الحلفاء المحليون والإقليميون والأوروبيون في حسم الحرب، اضطرت أميركا بلحمها ودمها التدخل مباشرة عبر التهديد بعمل عسكري بحجة السلاح الكيماوي قبل ان تسحب روسيا من أوباما تهديداته وتحفظ له ماء الوجه عبر الاتفاق الروسي الأميركي في شهر أيلول 2013 الشهير لنزع سلاح سوريا الكيماوي.

معركة الحسم في ريف القصير

بعد عشرة ايام من السيطرة على تل قادش الاستراتيجي في ريف القصير، شنت قوات الجيش العربي السوري ومقاتلو حزب الله هجوماً واسعا على محورين انطلاقاً من تل النبي مندو في الغرب ومن بلدة حوش السيد علي باتجاه قرية أبو حوري.

وجرت عملية التقدم بشكل سريع وكان الحسم سريعاً وكبيراً حيث تم تحرير كل من القرى التالية: الرضوانية، البرهانية (وصل الجيش واللجان إلى ساحة المسجد واستكملوا تحريرها في اليوم التالي). في الوقت نفسه يتقدم الجيش واللجان الشعبية باتجاه بلدة سقرجة التي أصبحت شبه محاصرة فيما تراجعت المجموعات المسلحة نحو قرية عين التنور.

في المحور الثاني:

تقدم الجيش ومقاتلو حزب الله باتجاه قرية أبو حوري التي تعد مركزاً مهماً للمجموعات المسلحة. وفي اليوم التالي تمت السيطرة على قرية (أبو حوري) هذه في الريف الغربي للقصير وتقدمت القوات في قرية (النهرية)، آخر قرى المنطقة حيث شهدت القرية معارك عنيفة طيلة يوم كامل وسط تقدم الجنود السوريين في البلدة التي وصلوا إلى ساحتها العامة وسط مقاومة شديدة، وكان العشرات من المسلحين الهاربين من القرى التي أعاد الجيش السيطرة عليها قد تجمعوا في قرية التهرية التي سقطت مساء 24 نيسان، في الوقت نفسه كانت مدينة القصير تشهد تحركاً للدبابات السورية التي تقدمت اليها من الشمال والجنوب بالتزامن مع عملية إخلاء كبرى بدأها المسلحون في بلدة عرجون كبرى قرى غرب العاصي وبذلك يخرجون نهائياً من هذه المنطقة، وأهمية إخلاء هذه المنطقة أنه لا يوجد بينها وبين القصير أية مناطق سكنية ولا تبعد سوى 2 كلم عن بساتين القصير.

مفاوضات تسليم بلدة سقرجة تتعثر
والتوجه لدخولها عسكرياً

قبل أشهر من العملية العسكرية الواسعة في نيسان 2013 كانت هناك مساعٍ ومفاوضات لتسليم قرية سقرجة في ريف القصير، قام بها الدكتور (علي زعيتر) أحد أبناء المنطقة، غير أن هذه المفاوضات كانت تعدّ مماطلة من قبل وفد أهالي البلدة الذين كانوا يطرحون خطة لدخول الجيش السوري إلى البلدة، التي تتحصن بداخلها مجموعات مسلحة من خارج المنطقة ومن عشيرتي (المقالدة والرحيل) سكان القرية، ومن ثم يتم التراجع. عنها وقد اشترط الجيش السوري يومها دخول البلدة وتفتيش المنازل وطلب من السكان تسليم السلاح، ومرّ يوم دون جواب من أهالي سقرجة الذين تحججوا بعناصر مسلحة غريبة ترفض تسليم سلاحها.

ومنذ بداية الأحداث السورية شكلت بلدة سقرجة في الريف الغربي لمدينة القصير نقطة تجمع وتمركز قوية للمسلحين الأجانب الذين اتوا إلى سوريا من أربعة بقاع الأرض، وكانت البلدة منطلقاً لقصف القرى الحدودية اللبنانية ونقطة انطلاق للهجمات المسلحة التي استهدفت المواطنين اللبنانيين خصوصاً في بلدة القصر، وقد سقط جراء هجمات المسلحين انطلاقا من سقرجة، الكثير من المواطنين اللبنانيين.

وكانت البلدة قد شهدت طيلة اشهر محاولات لدخول الجيش

العربي السوري إليها بالاتفاق مع الأهالي، لكن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل وعززت الجماعات المسلحة وجودها العسكري في البلدة.

في الهجوم الواسع الذي شنه حزب الله والجيش العربي السوري واللجان الشعبية، سقطت كل القرى المحيطة بسقرجة وأصبحت البلدة شبه محاصرة، فعادت نغمة الوساطات السابقة وكان واضحاً أن المسلحين يريدون كسب الوقت.

أعطى الجيش السوري انذاراً للمسلحين انتهى مفعوله بعد 12 ساعة ووضع شرطين:

أ ـ قدِّمْ قائمةً بالسلاح الذي يجب تسليمه.

ب ـ قدِّمْ قائمة بأسماء المسلحين المطلوبين للدولة السورية.

يروي الدكتور زعيتر أنه تواصل مع اهالي سقرجة وطرح عليهم مشروع وساطة بمنع الحرب في سقرجة ويرتكز على بقاء المدنيين وتسليم السلاح للجيش السوري وخروج المسلحين من البلدة. قِبَل أهالي سقرجة العرض، غير أن عمليات إطلاق نار كانت تستهدف الجيش السوري من البلدة، ويروى أن أهالي سقرجا قالوا أن ليس لهم علاقة بمطلقي النار لأنها من قبل المسلحين الذين ياتون من القصير وباقي القرى ويطلقون النار على الجيش من محيطة قرية سقرجة.

حصل اتصال بين زعيتر وأبو السوس قائد كتيبة الفاروق في القصير هدد خلاله أبو السوس بقصف الهرمل، ونصحه زعيتر بعدم

ارتكاب هذه الحماقة، وانتهت المكالمة بين الرجلين. وقبل الهجوم على سقرجة حدثت عملية نزوح كبيرة للسكان وللمسلحين باتجاه القصير، هذا ما أبلغتني إياه مصادر ميدانية واسعة الاضطلاع؟.

في الوقت نفسه كان هناك تقدم لرتل من الجيش السوري إلى مداخل بلدة عين التنور التي هرب اليها المسلحون الفارون من بلدات (الرضوانية، البرهانية السكمانية، الخالدية)، وشهدت بلدة عين التنور تجمع آليات للمعارضة بينها 4 دبابات وسيارات رباعية الدفع تحمل رشاشات مضادة للطائرات.

في يوم 26 نيسان أصبحت مدينة القصير بين فكي كماشة وسط هذا التقدم السريع والحاسم.

ب ـ معركة حاجز 14

عند سيطرة مسلحي المعارضة على تل 14 أو حاجز 14، اعتبرته مواقع التنسيقيات النصر الكبير الذي سوف يغير مجرى معركة القصير والمنطقة الوسطى، للأهمية القصوى التي يشكلها هذا التل القليل الارتفاع، ولكن المشرف على كل طرق تهريب السلاح بين سوريا ولبنان في منطقة جوسية. وقد تمكنت قوة من الجيش السوري من استعادة تل 14 في 1 نيسان 2013، وقامت القوات السورية بتحصينات في الموقع الذي عُزّز بكتيبة من الجيش السوري حتى لا يعاد احتلاله مرة أخرى، وباستعادة هذا التل تزامناً مع فقدان المجموعات المسلحة السيطرة على (جوسيه الخراب) وعلى (تل الحنش) يصبح للجيش السوري قدرة السيطرة على جميع

طرق تهريب السلاح من لبنان في تلك المنطقة، ما يضع المسلحين هناك في حصار منهك بعيداً عن التزود بالسلاح والذخيرة عبر طرق افتتحها المسلحون لهذه الغاية.

معركة القصير

سجل الجيش السوري انتصاراً مفصلياً عبر استعادة السيطرة على القصير بمشاركة المئات من مقاتلي حزب الله أصحاب الخبرة الطويلة في حرب العصابات، وكانت القصير أول مدينة سورية تخرج عن سيطرة الجيش السوري بقسمها الأكبر، وتكمن الأهمية الاستراتيجية والعسكرية لهذه المدينة التابعة إدارياً لمحافظة حمص، في موقعها الجغرافي الحساس والمهم، حيث أن استعادة الجيش السوري السيطرة على القصير أمنت له طريق دمشق الساحل وأفشلت خطة قوات المعارضة الساعية لعزل العاصمة السورية.

بدأ هجوم حزب الله والجيش السوري على مدينة القصير في شهر أيار بعد أن تمت السيطرة على مجمل القرى الواقعة غرب نهر العاصي والتي تشكل حلقة الوصل بين القصير والشمال اللبناني حيث البحر الذي طالما بحثت عن الوصول اليه مجاميع المعارضات السورية، يوم 5 حزيران [ذكرى النكسة] دخل مقاتلو حزب الله وجنود الحيش السوري كل أحياء القصير بعد أن انسحب مسلحو المعارضة فجراً.

في شهر نيسان كان مقاتلو حزب الله قد دخلوا بالمئات في المعركة في منطقة القصير، ما أجبر المعارضة المسلحة على سحب

مئات المقاتلين من حمص للحفاظ على مواقعها في القصير. تمكن مقاتلو حزب الله وجنود الجيش السوري من عزل مدينة القصير وإطباق الحصار على المسلحين داخلها، بعد أن تم تطهير كل القرى المحيطة بالمدينة من وجود مسلحي المعارضة، واستقدم الجيش السوري تعزيزات من درعا ومن دمشق إلى القصير وحمص مستفيداً من إنهاك فصائل المعارضة وتشتت استراتيجيتها بين القصير وحمص. وفي بداية أيار بدأت معركة القصير التي دافع عنها حوالى 20 فصيلا من المعارضة السورية (كتائب المغاوير، كتائب الوادي، كتائب قاسيون، كتائب الإيمان، جبهة النصرة، كتيبة الفاروق، شهداء القصير، كتائب الصديق، كتائب الفاروق المستقلة، كتائب الفاروق الإسلامية، لواء القصير، كتائب الوليد).

تمكن مسلحو المعارضة في بداية الأمر من صد الهجوم بعد وصول تعزيزات كبيرة وأسلحة من لبنان عبر مدينة حمص، وبسبب تعزيزات أتت من الرقة وحلب إلى مدينتي (الرستن وتلبيسة) حيث قامت هذه المجموعات بمهاجمة ارتال الجيش لكنها لم تذهب ابداً إلى القصير رغم النداءات المتكررة لها.

أرسل لواء التوحيد مجموعات من حلب وصلت إلى القصير، ووصلت من الرقة كتيبة الناصر صلاح الدين، وكتيبة الإسراء من دير الزور وهذه الأخيرة أبيدت تقريباً بسبب عدم إعلامها بساعة الانسحاب من المدينة وانسحب أفرادها بعد ساعات من ذهاب المقاتلين الاخرين فوقعت تحت نيران غارات الطيران السوري وقتل غالبية افرادها في البساتين.

من أجل تغطية كاملة للمنطقة الواسعة جداً استقدم الجيش السوري تعزيزات مدفعية من الحرس الجمهوري ومن الفرقتين الثالثة والرابعة. وفي نهاية شهر أيار 2013 قبل ايام من تحرير القصير استعاد الجيش السوري السيطرة على مطار الضبعة وقسم كبير من جنوب مدينة القصير وقطع بذلك خطوط الإمداد عن المسلحين الذين تمركزوا في شمال المدينة ووسطها وغربها.

حافظ المسلحون على ممر عند قرية الحمرا، كما أنهم استفادوا من الأنفاق التي حفروها وتحصنوا داخلها، وفي يوم 5 حزيران بدأ الهجوم النهائي على القصير الذي أجبر المسلحين على طلب الانسحاب عبر الممر الذي ترك لهم شمال المدينة.

ويروي مصدر ميداني كبير أن حزب الله كان يريد تجنب قصف المدنيين بأي شكل في المدينة بينما كان هؤلاء الدرع البشري للجماعات المسلحة، وكان هناك اتصال بين الدكتور علي زعيتر والدكتور قاسم الزين مدير المشفى الميداني في القصير لوضع آلية لتجنيب المدينة معركة دامية، بينما كان يرفض حزب الله أي تواصل مع المسلحين ولا يمانع في وساطة الطبيب علي زعيتر، وكانت المقترحات تدور حول بقاء المدنيين في المدينة وانسحاب المقاتلين مع أسلحتهم عبر معبر جوسية أو غيره، وكل هذا التواصل كان في ظل استمرار المعارك. وأتت نتيجة اليوم الأول للهجوم لترفع من معنويات المدافعين عن القصير ما جعلهم يقطعون التواصل، وكان سبب صمودهم في ذلك اليوم التعزيزيات الكبيرة

التي أتتهم، وبعد أسبوع من بدء الهجوم ساءت أحوالهم العسكرية والميدانية وأعادوا التواصل، وكانت الامور تسير نحو اتفاق للانسحاب يحافظ على وجود المدنيين في المدينة ويتمم نقل الجرحى إلى المستشفيات اللبنانية من دون التعرض لهم، ويؤمن طريق انسحاب للمسلحين من دون سلاحهم، غير أن وصول العقيد عبد الجبار العكيدي عطل الاتفاق، هذا الحضور للعكيدي الآتي من ريف حلب الذي يخفي وراءه اسراراً كثيرة... فالرجل أتى وأفشل الاتفاق، ومن ثم عندما شعر بقرب النهاية فرّ مع جماعته قبل يومين من تحرير المدينة، وقد خسر العكيدي حوالى سبعين من رجاله في المعركة وأخرج معه من القصير حوالى 250 مسلحاً، كانوا موجودين بداخلها قبل أن يأتي.

أحسّ المدافعون عن المدينة بقرب النهاية وأنهم على وشك الخسارة، فأجروا اتصالاً في 4 حزيران عند الحادية عشرة ليلاً ويبدو أنهم اتصلوا بالوسيط الدكتور زعيتر، وبطرف آخر من حزب الله وتمّ خلال الاتصالات إبرام اتفاق يقضي بانسحابهم عند السادسة من صباح الخامس من حزيران باتجاه قرية الحسينية ومنها إلى يبرود وقارة على ان يخرجوا من دون سلاح، ويعلن قاسم الزين عند الساعة السابعة والنصف صباحاً انسحابهم من القصير على شاشة الميادين ويطلب من الجيش السوري دخولها.

في تلك الفترة كان المسلحون يقولون أن لديهم 400 جريح في القصير، وخرج جورج صبرا على الإعلام طالباً من رئيس مجلس

النواب اللبناني نبيه بري التدخل لإخراجهم، وقد عمل حزب الله على هذا الموضوع بجدية، وكنت من الذين تابعوا الموضوع وقتها عن قرب مع بعض الأصدقاء في المعارضة السورية.

لم يكن في القصير سوى 80 جريحاً، يقول زعيتر، وتقول المصادر الميدانية تم تمرير 300 جريح نحو لبنان تحت رقابة حزب الله والجيش السوري، بعد نداء وجهه جورج صبرا إلى رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري كما طلب رئيس هيئة التنسيق في المهجر هيثم مناع (العودات) أوصلته بنفسي للمعنيين.

وتم في الاتفاق أن يؤمّن حزب الله هؤلاء الجرحى الثمانين إلى لبنان ويسلمهم للصليب الأحمر الدولي. كما تم التوافق على أن لا يقوم المحاصرون في القصير بإبلاغ الجيش الحر أو الائتلاف السوري في اسطنبول حتى لا يعرقلوا عملية الانسحاب.

عند الساعة الثانية فجراً بدأت وحدات الاستطلاع في حزب الله تخبر غرفة العمليات أن انسحاباً كبيراً يتم من القصير من ناحية الشمال نحو قرية البويضة في مخالفة للاتفاق، ويبدو أن المسلحين انسحبوا بكامل عتادهم محتمين بالمدنيين، وعند طلوع الشمس لم يلتزموا بالاتفاق بالإعلان عن الانسحاب عبر الميادين. خلال الانسحاب الذي اطلقوا عليه (رحلة الموت) واستمر 36 ساعة اشتبكوا اكثر من مرة مع الجيش السوري فخسروا حوالى 130 من المسلحين وقليل من المدنيين. وفي بساتين قرية الحسينية وقع 500 مدني بينهم عشرات المسيحيين مع 40 جريحاً في طوق محكم، تمّ

تأمين طريقهم للانسحاب بعد أن طلبوا الاستغاثة، من حزب الله وتم تسليم الجرحى للصليب الأحمر الدولي بأمر مباشر من قيادة حزب الله في بيروت.

استطاع الجيش السوري خلال هذه المعركة التأقلم مع تكتيكات واستراتيجية المسلحين، وكان لحزب الله دور كبير في تدريب لجان الدفاع الشعبي السورية في المنطقة.

لقد استعمل الجيش السوري في القصير استراتيجية القصف المدفعي والتقدم عبر الدبابات ومن ثم إدخال المشاة في أرض المعركة وهذه الاستراتيجية تم اتباعها فيما بعد في الكثير من مناطق الاشتباك، في ريف، دمشق في خربة غزالة وفي خناصر.

بعد انتصار القصير جرت محاولة من اللجان الشعبية للاستفادة من جو إرباك المعارضة السورية للتقدم في ريف حلب الشمالي لكنها توقفت عن مدينة عندان، بسبب عدم التنسيق مع الجيش السوري وتركيز النظام وحزب الله على استعادة مدينة حمص. ويمكن القول ان توجّه الرتل من حلب نحو نُبُلْ عبر قرى كفر حمرا، ماير عندان، حريتان، كان عملية تمويه عن الهدف الاستراتيجي بعد القصير، وهي مدينة حمص، التي تمكن الجيش السوري ومقاتلو حزب الله من استعادة حي الخالدية، أهم معقل للمعارضة المسلحة في داخلها يوم 29 تموز أي بعد 55 يوماً من استعادة القصير.

انهارت جبهة القصير بشكل دراماتيكي. سقط الحصن، الحصين الذي أرادته المعارضات المسلحة في سوريا ومن يموّلها إقليمياً ودولياً ويمدها بالسلاح، صلة وصل بين سوريا ولبنان لتطويق دمشق والمقاومة في لبنان في وقت واحد. إنهار الحصن دافناً تحت ركامه مئات المسلحين الأشداء الذين تمرسوا بفنون القتال في أفغانستان والعراق وليبيا. (انظر موقف الجمعة قبل عام من الآن). وصل غبار ركام الحصن في القصير كثيفاً إلى كل الجبهات في أنحاء سوريا ومعه بدأ الحديث عن فرار جماعي للقيادات في أكثر من منطقة شمالاً وجنوباً، وهذا بالضبط ما حدث في عندان في الريف الشمالي لحلب على طريق نبُل الواصل إلى بلدة إعزاز، حيث فرّ غالبية قادة الكتائب المسلحة في هذه البلدة إلى تركيا آخذين معهم عائلاتهم وما خفّ حمله وغلا ثمنه مما حصلوا عليه خلال الحرب من الدول الإقليمية أو من سرقة أموال وأرزاق الشعب السوري، خصوصاً في مدينة حلب.

في جبهة حلب التي غادرها رئيس المجلس الثوري العسكري في محافظة حلب عبد الجبار العكيدي إلى القصير مكرراً مشهد ذهابه في شباط 2012 إلى السفيرة، وبإعلان فسبوكيّ وعلى التويتر انه على رأس جيش من ألف مقاتل في الحالتين. في هذه الجبهة صراع كبير على النفوذ بين جبهة النصرة وسليم إدريس ومصطفى الشيخ وقادة المجموعات المحلية على كل شيء، ومن أجل كل

شيء وهذا ما جعل الكعيدي يغادر حلب إلى القصير حتى لا يلقى المصير نفسه الذي لقيه زميله رياض الأسعد في مواجهة النصرة.

معارضون سوريون قالوا إن ذهاب الكعيدي إلى القصير كان من أجل إقناع عشرات المسلحين بالوقوف إلى جانبه والذهاب معه إلى حلب، وذلك في مسعى لتقوية وجوده ونفوذه في الصراع الداخلي، وهذا ما جعل القيادة المشتركة للجيش الحر الموجودة في تركيا تصدر بياناً عزلت فيه الكعيدي يوم إعلانه الوصول إلى القصير، وغادر العكيدي القصير قبل يومين من الهجوم النهائي مع حوالى 250 مسلحاً عبر الحمرا متجهاً إلى القلمون.

حمص

يسيطر الجيش السوري على معظم أحياء مدينة حمص، واستعاد في 28 تموز 2013 السيطرة على حي الخالدية مركز ثقل المسلحين في المدينة وحصنهم القوي الحي ذو الكثافة السكانية والذي يرتبط بحي القصور الواقع عملياً وجغرافياً خارج مدينة حمص، وقد عمد الجيش السوري إلى السيطرة على حي القصور منذ بداية الحرب، بينما يتحصن المسلحون في حي الحميدية وخصوصاً الحي المسيحي المسمى حي (بستان الديوان) بل الكمية الأكبر من المسلحين، وقد هجّر المسلحون السكانَ المسيحيين كافة، وأقاموا محكمة ميدانية في أفخم المعالم التاريخية في حمص (بيت الآغا). وكذلك الوضع في جورة الشياح القريبة جداً من الوسط التجاري للمدينة، بينما يتجه الوضع اليمداني أكثر فأكثر

لمصلحة النظام الذي على ما يبدو يقترب من حسم المعركة في كامل حمص بعدما سيطر الجيش السوري على الخالدية.

استراتيجية النظام

يعتمد النظام السوري خطة ما يعرف بالحرب ضد التمرد أو مواجهة حرب العصابات، وبناء على هذه الخطة فهو يمسك بالمرافق الإستراتيجية مثل الطرقات الرئيسة والإستراتيجية، طريق حمص الشام، حمص حلب، المطارات العسكرية والمدنية، المرافق العامة، محطات توليد الكهرباء، مصفاة النفط في حمص، القواعد العسكرية، مثل مطار الضبعة في سهل القصير، جامعة البعث في حمص، جميع المؤسسات الحكومية في مدينة حمص، وهو يسعى إلى التقليل من خسائر الجيش وعدم إنهاكه بتجنب إرساله إلى القرى النائية الصغيرة التي ينتشر فيها المسلحون وهو يتبع أسلوب القصف اليومي الذي على ما يبدو لن يستمر به طويلاً بسبب سعيه للحسم خلال الصيف.

تماماً كما حدث في شباط 2012، كان الجيش السوري يخوض معركة قطع طرق الإمداد على المسلحين في وسط سوريا وتحديداً في ريف مدينة القصير على الحدود اللبنانية السورية.

وتعتبر محافظة حمص في سوريا والتي يُطلق عليها المنطقة الوسطى، ساحة حرب استراتيجية محلية ودولية في الصراع الدائر منذ سنتين في سوريا وعلى سوريا، واسم هذه المنطقة ينطبق تماما على موقعها في قلب الدولة السورية فهي اكبر المحافظات السورية

من حيث المساحة، التي تبلغ 43 ألف كلم^2 وهي تتوسط الطريق بين الجنوب والشمال السوري فضلاً عن وقوعها على الطريق بين دمشق وحلب ولها ارتباط بالبادية عبر الطريق الصحراوي الذي يربط حمص بمدينة تدمر وهي تحاذي الحدود اللبنانية من الشمال عند تل كلخ ومن البقاع الشمالي، ونتيجة لهذا الموقع الجغرافي المميز كانت حمص الهدف العسكري الأول الذي اختارته المعارضة المسلحة لتحركها وتحديداً في حي بابا عَمْرو ذي الغالبية التركمانية.

أما حدود محافظة حمص مع لبنان فتعتبر ممراً كبيراً وواسعاً للسلاح والمسلحين إلى الداخل السوري عبر تلكلخ في الشمال، ومعبر جوسية في البقاع الشمالي، ومدينة عرسال في السلسلة الشرقية للبقاع الشمالي في لبنان، غير ان لمعبر جوسية ميزة كبرى، فهو يحاذي مدينة القصير ويقع على الطريق الدولي القريب لمدينة حمص بينما لا تتمتع معابر عرسال بهذه الميزة، وتالياً فإن الدخول إلى الأراضي السورية، وإلى حمص والقصير تحديداً، يقتضي عبور بضعة كيلو مترات من جوسية بينما يلزمه للعبور من عرسال إلى حمص أكثر من مائة كلم، ولهذا يتشبث المسلحون بالمعبر وبالقرى المحيطة به التي تغذي القصير وحمص بالسلاح والرجال عبر لبنان. وشكلت منطقة الجورة في مشاريع القاع وتل الحنش في سوريا وجوسية الخرابة المقابلة للقاع، معابر استراتيجية لاستمرار المسلحين في التزود بالعتاد والرجال في معركتين أساسين في المحافظة:

أ ـ في مدينة حمص للسيطرة عليها وفتح طريق نحو دمشق وقطع طريق دمشق حلب ودمشق الساحل.

ب ـ في مدينة القصير وريفها حيث سعى المسلحون لوصل غرب القصير بلبنان عبر(هيت) ومن ثم الوصول لتل كلخ وتالياً الوصول إلى البحر وفتح طريق امداد عسكري من شمال لبنان إلى القصير ومن ثم حمص ودمشق.

في غرب القصير عانت المعارضة من عقبات ديمغرافية عديدة، فهذه المنطقة غالبيتها مؤيدة للنظام وأهاليها تكفرهم جبهة النصرة ويحتاج المسلحون للوصول إلى هيت ومن ثم تل كلخ عبور قرى عديدة مؤيدة للنظام.

الى الجنوب من القصير يقع معبر جوسية حيث كانت تتلقى الجماعات المسلحة التي تحارب في القصير وفي حمص إمدادات كبيرة، وقد قام الجيش العربي السوري بعملية كبرى ونوعية في المنطقة سيطر خلالها على منطقة تل الحنش وهي منطقة تجمع أساس للمسلحين وقرية جوسية الخراب والحاجز 114، ما جعل مدينة القصير محاصرة تماماً ومن غير الممكن تزويدها بالسلاح عبر سهل القاع في لبنان ما صعب الوضع العسكري على المسلحين في القصير وريفها الذين دخلوا في حالة نقص في السلاح والذخائر وأجبروا على التراجع في الكثير من المواقع في ريف القصير إلى داخل المدينة، وتالياً كان أمامهم احتمالان اثنان:

1 ـ القتال في القصير وقد وصلوا إلى لحظة أطبق عليهم

الحصار من كل الجوانب وأصبحوا بدون امداد في الغذاء رغم توفر السلاح والذخيرة للقتال أشهراً إضافية.

2 ـ الانسحاب باتجاه مدينة حمص وترك المنطقة للجيش العربي السوري مع ما يعنيه هذا من انتصار عسكري ومعنوي للنظام ولقواته.

وفي نهاية المطاف قرروا القتال في القصير مستقدمين إمدادات كبيرة من حمص فخسروا القصير في حزيران وخسروا أكبر معاقلهم في حمص في تموز 2013.

أين ذهب المسلحون بعد هزيمتهم في القصير؟

في اتصال معتاد بينه وبين أحد أصدقائه القدامى من سكان القرى اللبنانية المحاذية لريف القصير، قال (م. س) أحد قادة المسلحين في حرب القصير: «لو يسمح لنا حزب الله بالعودة إلى القصير حتى نقاتل إلى جانبه هذه المرة بعد الذل والاستغلال الذي نعيشه هنا في جرود عرسال من أهالي هذه المدينة، ومن أهالي القرى والبلدات السورية المواجهة لها في قرى القلمون الدمشقي»، ويضيف القائد العسكري السابق في لواء الفاروق في القصير وريفها في حديث مع الصديق اللبناني: «لو استمعوا لمطالبي بالانسحاب من المدينة بعد سقوط قرى غرب العاصي لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه حالياً، لقد دمرنا أنفسنا بسبب حماقة وتعصب بعض المتفعين الذين كانوا أول من تمكن من العبور لحظة الهروب الكبير نظراً

لإمكاناتهم المادية الكبيرة التي أمنت لهم الهروب كما كانت تؤمن لهم الانشقاقات، بينما بقي المقاتلون في أتون الجحيم، ولولا الممرات التي سمح بها حزب الله وكفل أمانها لسحقتنا مدفعية الجيش وطائراته عن بكرة أبينا».

وتظهر خريطة الانسحابات من مدينة القصير أن الانسحاب الكبير الذي نفذه حوالى 1400 إلى 1600 مسلح من مدينة القصير مساء يوم 4 حزيران، وهو الانسحاب الأساس من المدينة قبل الانسحابات الصغيرة التي تلته، اتخذ ممراً اجبارياً باتجاه الشمال الشرقي الذي يؤدي إلى معبرين الأول نحو بلدة العبودية التي وصلها حوالى 500 مشياً على الأقدام ودون أي سلاح يذكر ومن ثم توزع هؤلاء على سيارات نقل عمومية نقلتهم إلى القلمون الدمشقي، وقسم توجه عبر ثغرة الموت في الحمرا، وهي عبارة عن نفق تحت الطريق العام الذي يفصل القصير عن الريف الشرقي لها ومن هناك توجه حوالي 400 مسلح مع أسلحة فردية إليها، (صدد) و(البريج) واستقر بهم الترحال في جرود بلدة عرسال حيث أقاموا مخيماً ومعسكراً ومشفى ميدانياً وبدأ البعض من قياداتهم الاتجار بالمازوت المهرب عبر وادي رافع في خراج الجرد الواقع بين رأس بعلبك وعرسال عند سفح السلسلة الشرقية للبنان. أما من تبقى فتوزع بين متجه إلى حمص أو إلى الشمال السوري، وهؤلاء غالبيتهم ألقوا السلاح وتوجهوا إلى قرى فيها عائلاتهم وأقرباء لهم. وكان قبل هذا الانسحاب الكبير والأخير رافق حوالى 250 مسلحاً العقيد عبد الجبار العكيدي قائد المجلس العسكري لمدينة حلب

وريفها الشمالي الذي توجه بهم إلى ريف حلب الشمالي.

ونتيجة هذا الانسحاب الكبير أصبحت سلسلة لبنان الشرقية من جرد القاع حتى مدينة عرسال معقلاً لآلاف المسلحين الذين ينتمي معظمهم لجبهة النصرة، وهذا الوضع ينطبق على القرى والبلدات السورية في الجانب السوري من الجبال من البريج في ريف القصير حتى رنكوس في القلمون الدمشقي.

وقد أنشأ المسلحون في الجهة اللبنانية معسكرات تدريب ومستشفيات ميدانية وشقوا طرقات عسكرية في أعالي الجبال وحصلوا على عشرات السيارات الحديثة جميعها رباعية الدفع تؤمن لهم التنقل بين مواقعهم العسكرية طول المسافة الممتدة من عرسال إلى الجرود المواجهة لسهل القاع على الجانب اللبناني، وحصلوا على أسلحة جديدة وذخائر مصدرها عرسال والقرى السورية المقابلة في القلمون الدمشقي الأوسط، وأعادوا بناء شبكات تهريب للسلاح من الداخل اللبناني جميعها تمر عبر عرسال وإن كان بصعوبة كبيرة وتقتصر الأسلحة التي يتمكنون من نقلها وتهريبها على الرشاشات الخفيفة وذخائرها وعلى مواد تستخدم في صناعة الأحزمة الناسفة.

ويمتلك هؤلاء أيضاً رشاشات مضادة للطائرات من عيار (14,5) ومدافع هاون، وأنشأوا في جرود عرسال معملاً لصناعة مدافع الهاون ويتزودون من القرى السورية بالقطع اللازمة لمخارطهم هذه، فضلاً عن القذائف والمواد المتفجرة، وبدأوا

بحفر عشرات الأنفاق للاحتماء من القصف وأنفاق أخرى للتسلل والانسحاب، وهم يستخدمون آلات حفر عملاقة وحديثة متوفرة بكثرة في مدينة عرسال التي تتميز بمقالعها الصخرية التي يعمل فيها الكثير من أبناء البلدة وعائلاتها منذ عشرات السنين.

كما أنشأ المسلحون الهاربون من القصير مشفىً ميدانياً كبيراً في جرود مدينة عرسال برأسه (قاسم الزين) وهو الطبيب الذي كان يرأس المشفى الميداني الأساس في مدينة القصير، ويقدر عدد المسلحين في الطرف السوري للسلسلة الشرقية بثلاثين الف مسلح.

كتائب وأسماء

يقول المسؤول العسكري السابق في القصير وريفها، أن القرى السورية الواقعة في السلسلة الشرقية على الحدود مع لبنان من البريج وصدد حتى رنكوس والنبك وحتى سرغايا والزبداني، أصبحت تحت سيطرة جبهة النصرة بشكل كامل، وتسيطر كتائب وألوية الجبهة على كامل الخطوط الحدودية مع لبنان، بينما يكاد ما يسمى الجيش الحر يندثر بفعل التفكك والهروب أو الانضمام تحت جناح النصرة، والسبب يعود إلى أن غالبية الذين أسسوا الجيش الحر في منطقة القلمون الدمشقي كما يسمونها وحتى منطقة (تنايا الشام) على أطراف دمشق هم من الضباط والجنود المنشقين الذين أحبطوا بسبب وصول جبهة النصرة وتعاظم نفوذها، كما ان العناصر التكفيرية حاربت هؤلاء وقهرتهم في كل القرى والبلدات تقريباً، وينتشر من تبقى من جماعة الحر في الخطوط الخلفية حيث يعملون

كتعبئة واحتياط بينما تتحكم النصرة في كل شيء من قرار الحرب والسلم حتى طريقة الحياة اليومية للناس.

ويتكون الجيش الحر من مجموعتين؛ الأولى تسمى مجموعة (الجحاش) وهي موجودة في قرى (صدد، القريتين، المهين) والمجموعة الثانية هي (لواء الفاروق) وهؤلاء أخرجتهم النصرة من المعادلة العسكرية فانصب جل اهتمامهم على الاتجار بالآثار، كما اشتروا آلات بحث عن المعادن تصل فعاليتها إلى أمتار عدة تحت الأرض وغالبية هؤلاء من المنشقين عن الجيش العربي السوري ومن بقايا اليسار.

وتخضع كل القرى لسيطرة جبهة النصرة، وهي تتفاوت بالأهمية من حيث الثقل البشري والعسكري والسياسي، وأهم كتائب النصرة في القلمون الدمشقي هي كتائب (الحمد) يتولى الإمارة عليها شخص ملقب (وجه الرب) ومركزها في النبك وفي يبرود، كما دخلتها داعش ودخلها لواء الإسلام في أيلول 2013.

وتأتي كل من يبرود، رنكوس، دير عطية، حسا، النبك في طليعة القرى التي تتحكم بها جبهة النصرة، وفي يبرود ورنكوس مجالس عسكرية كبيرة يخضع لقرارها كل القلمون الدمشقي، وفيها محاكم شرعية. ويكشف المسؤول السابق في جبهة القصير أن الشبان اللبنانيين من بلدة بريتال الذين تم اختطافهم في وقت سابق عرضوا على المحاكم الشرعية في بلدة يبرود وهم الآن في عهدة هذه المحاكم.

ويقيم في يبرود عبد السلام حربا، الخطيب السابق للجامع الكبير في القصير والملقب (عرعور القصير) وهو يعمل حاليا ضمن المحاكم الشرعية ويخطب في مساجد يبرود وفي قارة وفي مناطق تنايا الشام، كما يوجد في المنطقة القائد السابق لجبهة القصير في الجيش الحر (محمد أبو السوس)، ويوجد في المنطقة نفسها مؤسس جبهة النصرة في مدينة القصير (وردان الزهوري)، وأول من أتى بمسلحي النصرة من الأجانب إلى الريف الغربي للقصير، أو ما يسمى قرى حوض العاصي الغربي هو (أحمد ابو خلف) من عرب الطويلع، إضافة إلى الناطق الإعلامي لجبهة النصرة في سوريا (هادي العبدالله)، ويوجد أيضاً في تلك المنطقة الشيخ التكفيري من بلدة عرسال اللبنانية (عبدو القليطي) الملقب (أبو زقزوقة) وهو يخطب في جوامع القرى في تلك المنطقة خصوصاً في النبك ويبرود محرضاً ضد الشيعة والطوائف الأخرى، وينقل عن القليطي قوله أن جبهة النصرة تنوي قصف مدينة الهرمل بشكل عنيف وبصواريخ متطورة مع بداية العام الدراسي وهذا ما حصل يوم 21 تشرين أول 2013.

ويقدر عدد المسلحين في السلسلة الشرقية على طرفيها السوري واللبناني بثلاثين ألف مسلح، يقلّ عددهم عندما تفتح المعارضة السورية معارك في مناطق سورية أخرى، بخاصة في الشمال السوري حيث ارسلت النصرة من منطقة القلمون مئات المسلحين للمشاركة في القتال ضد الأكراد، ومن المتوقع ان يتزايد عدد هؤلاء قريباً بعد أن يتم الجيش السوري وحلفاؤه السيطرة على

ما تبقى من أحياء في مدينة حمص (القرابيص، الوعر، القصور) وينتشر الجيش السوري في تلك المنطقة في نقاط عسكرية على طريق دمشق حمص، وفي بعض القواعد العسكرية في محيط مدينة النبك، وفي محيط بعض القرى الأخرى، ويسود نوع من الهدنة غير المعلنة حيث تمتنع جبهة النصرة عن مهاجمة نقاط الجيش في التلال المشرفة على طريق دمشق حمص الدولي، ويبدو أن المقابل هو عدم قيام الطيران السوري بقصف طريق البادية الذي يذهب إلى تدمر ودير الزور ويستعمله هؤلاء في تنقلاتهم، بينما تلوح في الأفق احتمالات معركة حاسمة في المنطقة بعد الانتهاء من حمص وتلبيسة والرستن وسط سوريا.

معركة ريف دمشق وارتباطها بالقلمون الدمشقي

اكتسبت السلسلة الشرقية الواقعة بين لبنان وسوريا، وخصوصاً القرى السورية منها على وجه التحديد، أهمية كبرى نظراً لوقوعها بالقرب من الطريق الدولي الواصل بين دمشق وحمص وسط سوريا والذي بدوره يفتح الطريق بين العاصمة السورية والساحل وبينها والشمال نحو مدينة حلب العاصمة الاقتصادية لسوريا وريفها.

وتسمى تلك المنطقة بالقلمون الدمشقي البعيد، والقلمون الدمشقي القريب وهذه القرى شكلت خلال السنتين الماضيتين شريان الحياة لجميع الإمدادات العسكرية التي حصل عليها مسلحو المعارضات السورية الذين يقاتلون الحكومة السورية في ريف دمشق. وكانت الزبداني أولى البلدات التي استقبلت المسلحين

الأجانب وحملت السلاح في وجه الدولة، وهذه القرى تبدأ من البريج قرب حمص حتى رنكوس على مقربة من دمشق، وهي معروفة منذ عشرات السنين أنها ممر حيوي للتهريب بين لبنان وسوريا الذي انقلب منذ سنتين من الطابع السلمي المعيشي إلى الطابع العسكري مع زيادة عمليات تهريب مادة المازوت التي يحصل عليها مسلحو جبهة النصرة من آبار ومصافي دير الزور لتمويل حربهم ومصاريفهم ويستجلبونها عبر صهاريج تعبر طريق البادية الطويل إلى القلمون، ومن ثم تدخل إلى لبنان عبر جرود بلدة عرسال البقاعية.

ويكفي النظر ملياً على الخريطة حتى ندرك مدى أهمية هذه المنطقة في تثبيت الأمن والاستقرار في ريف دمشق، فكان لا بدّ للدولة السورية التي تشن منذ شباط الماضي عملية هجوم معاكس في الغوطتين الشرقية والغربية في ريف دمشق وأن تدخل قرى القلمون حتى تثبت سيطرتها على ريف دمشق وصولاً إلى تأمين هذا الريف الشاسع والمكتظ بالعشوائيات التي تجعل من معركة استعادة السيطرة عليه وتأمينه مستحيلة طالما بقيت منطقة القلمون تحت سيطرة مسلحي المعارضة السورية ومفتوحة على لبنان في عرسال، كما ان تأمين طريق دمشق حمص يفرض على الجيش السوري مسألة استعادة السيطرة على القلمون التي لها أيضاً إطلالة على طريق البادية المتجه نحو العراق والذي تعتبره الدولة السورية شرياناً حيوياً لا يمكن التفريط فيه مهما كلف الثمن.

هذه الأولويات الاستراتيجية الخاصة بالعاصمة السورية ومحيطها قد تحتم فتح جبهة القلمون بشكل كبير وواسع في الفترة المقبلة، حيث يفترض ان يبدأ الجيش العربي السوري حملة عسكرية واسعة في تلك البلدات والقرى التي تحوي حوالى ثلاثين ألف مسلح مدججين بجميع أنواع الأسلحة ولهم طريق امداد إلى لبنان عبر عرسال، التي يجب التعامل معها في أية عملية عسكرية في القلمون كطريق إمداد وقاعدة إسناد خلفي ومشفى ميداني وراء الحدود وخزان بشري يمكن له مدّ يد العون العسكري واللوجيستي يشعر فيه مسلحو جبهة النصرة بالارتياح، كون عرسال تقع في الأراضي اللبنانية، كما أن ضرورة وقف عمليات إطلاق الصواريخ على قرى البقاع الشمالي لا يمكن ان تتم من دون السيطرة على قرى القلمون في سوريا.

من هذه البلدات كانت بداية قصة توافد مئات المسلحين السلفيين إلى لبنان عبر عرسال. وفي الآونة الأخيرة أتت عمليات التفجير في الضاحية الجنوبية لبيروت وأكثر من منطقة لبنانية، لتضع منطقة قرى القلمون السوري في موقع المتهم الذي من خلاله وعَبْره مرّت المواد المتفجرة ودرب المسلحون الذين نفذوا التفجيرات الإرهابية. وقد اتت أحداث الحرب المستجدة في شمال سوريا بين المسلحين الأكراد وجبهة النصرة عامل تخفيف للعبء عن الجيش السوري والدولة السورية التي يمكن لها حالياً الاكتفاء بدعم المسلحين الأكراد للصمود في وجه جبهة النصرة، وتالياً يكون العمل في القلمون أولوية يمكن المباشرة بها في ظروف افضل

وعدم انشغال كبير بالوضع في الشمال، خصوصاً في حلب وريفها الشمالي الممتد من خان العسل حتى اعزاز مروراً بنبّل والزهراء التي يمكن الاكتفاء بدعمها للاستمرار بالصمود ريثما يتم تأمين ريف العاصمة وطرقها نحو المنطقة الوسطى.

سلسلة لبنان الشرقية بين عمليات الثأر وتهريب المازوت والسلاح

شبكات تهريب السلاح والعبوات الناسفة بين سوريا ولبنان. .

بعد معركة القصير ومحيطها وإقفال، معابر تهريب السلاح من لبنان إلى سوريا الذي شكل عقبة كبيرة في وجه شبكات تهريب السلاح التي رأت مصادر تمويلها وعملها تقفل وطرق مواصلاتها تبعد أكثر فأكثر، انقلبت وجهة تهريب السلاح فأصبحت الشحنات تأتي من سوريا إلى لبنان بعدما كانت تذهب من لبنان إلى داخل الأراضي السورية، ما يدل على تخمة وفائض لدى مسلحي المعارضة السورية من السلاح والصواريخ والمواد الأولية التي تصنع منها العبوات الناسفة.

وتشير المعلومات التي بحوزة الجهات المختصة بناء على اعترافات لبعض الذين تم توقيفهم إلى نقطة مركزية في الشمال اللبناني تتم عبرها عمليات شحن السلاح والمواد المتفجرة من سوريا إلى لبنان ومن ثم تتم عمليات بيع مواد التفجير والسلاح بما فيها الصواريخ إلى أشخاص أخرين يشكلون حلقة الوصل الرابعة

في شبكات التهريب والعقدة الأخيرة الواصلة مع أمراء الشبكات التفجيرية التي تعيث قتلاً باللبنانيين.

وتشير معطيات الجهات المختصة إلى أربع عقد أو حلقات وصل تتشكل منها شبكات تهريب السلاح والمتفجرات من سوريا إلى لبنان وهي:

أ ـ شبكة المصدر في سوريا، وتحديداً في مدينة يبرود التي منها يتم نقل المواد المتفجرة والسلاح عبر شاحنات تعود ملكيتها لأشخاص من مدينة عرسال، وهؤلاء يدخلون إلى يبرود بتزكية من بعض المشايخ المحسوبين على جبهة النصرة ويقومون بنقل السلاح والمواد المتفجرة إلى جرود عرسال.

ب ـ شبكة المهربين اللبنانيين والتي تتألف حالياً من سائقي شاحنات مستأجرة أو مالكي شاحنات، وهؤلاء يقومون بنقل المواد المهربة إلى الشمال اللبناني داخل صهاريج المازوت عبر مخابئ أعدت لهذا الشأن أو داخل شاحنات الخردة التي خفت في الآونة الأخيرة بعدما كانت تصل يومياً إلى حوالى 30 شاحنة من الخردة السورية المهربة، وهؤلاء الأشخاص يتواصلون مباشرة مع مراكز تقاطع شبكات التهريب بين لبنان وسوريا وهم عبارة عن تجار في الشمال اللبناني.

ج ـ تجار في شمال لبنان يشكلون صلة الوصل مع جماعات تكفيرية تستقر حاليا في الشمال والمخيمات الفلسطينية والبقاع

الأوسط وإقليم الخروب، وبعض المناطق غير المسلمة في جبل لبنان والمحسوبة على قوى 14 آذار.

د ـ الجماعات التكفيرية التي تسلّم هذه الشحنات وتركبها في الداخل اللبناني استعداداً لاستعمالها.

حسن رايد استخدم هاتفه النقال في تشغيل عبوتي الهرمل ما أدى إلى كشفه وكشف شبكة التفجيرات كلها.

لم تكن عملية التفجيرين على طريق الهرمل يوم 7 تموز 2013 سلبية بنتائجها التي كشفت لمخابرات الجيش اللبناني، أن منطقة البقاع الشمالي وتحديداً بلدة عرسال وسهل القاع، هي المكان الأساس لوجود عناصر ومسؤولي الشبكة المسؤولة عن التفجيرات في الضاحية والبقاع الأوسط والصواريخ في جبل لبنان.

وبناء على هذا الاستنتاج الذي فرضته عملية التفجير على طريق مدينة الهرمل عملت مخابرات الجيش اللبناني بشكل مكثف في بلدة عرسال البقاعية في ظرف دقيق مرت به هذه البلدة منذ أشهر عدة على خلفية نزاعات تعيشها مكونات هذه البلدة حول تقاسم النفوذ التجاري ورفض البعض من وجهاء البلدة وأهلها لعملية التوريط الدموية التي تتعرض لها عرسال، وتقوم بها مجموعة متطرفة من أبناء عرسال ومن الأجانب الذين يقيمون في البلدة أو يترددون عليها، وهذه المجموعة مرتبطة بدورها بتنظيم جبهة النصرة في منطقة يبرود السورية التي تضم عدداً كبيراً من التكفيريين العرب وبخاصة السعوديين والتونسيين.

وقد أدت الخلافات الداخلية في مدينة عرسال دوراً كبيراً في الكشف عن الخيط الرفيع الأول الذي قاد إلى الكشف عن المجموعة الإرهابية بكاملها في وقت قصير جداً، حيث تعاون عدد لا بأس به من أهالي بلدة عرسال في تزويد مخابرات الجيش اللبناني بمعلومات مهمة أدت إلى إلقاء القبض على (حسن حسين رايد) منفذ جريمة التفجير على طريق الهرمل يوم 7 تموز الماضي.

وأتى إنجاز مخابرات الجيش في وقت غاب فيه فرع المعلومات عن أي عمل جدي في البحث عن شبكة التفجيرات بسبب أوامر من قيادة الفرع جعلت أمر التحقيق في هذا الملف بيد عناصر فرع المعلومات في بلدة عرسال دون غيرهم من عناصر الفرع في بلدات البقاع الشمالي الأخرى، ربما لقناعة ما أن عناصر فرع المعلومات في عرسال لن يكشفوا عن أبناء البلدة في أية حال خصوصاً في حالة الاستقطاب المذهبي التي يعيشها لبنان في هذه الفترة.

كانت التقارير تتوالى على مديرية المخابرات في الجيش اللبناني، وفي تقرير من البقاع الشمالي ورد إسم (حسن حسين رايد) من بلدة عرسال أنه عضو محرك في شبكة التفجيرات التي تحصل في لبنان وحدد التقرير وجود رايد في عرسال. فور ورود التقرير قامت قوة من مخابرات الجيش اللبناني بإلقاء القبض على (حسن حسين رايد) في منطقة وادي رافع في عرسال وكان لا يحمل اية هوية تثبت شخصيته ومن ثم اقتيد إلى قسم التحقيقات في ثكنة أبلح التابعة للجيش اللبناني للتحقيق معه.

لم يطل انتظار المحققين طويلا حتى يصلوا إلى معرفة الصيد الثمين الذي وقع بين أيديهم، وكانت المفاجأة الكبرى عندما فحص المحققون هاتفاً نقالاً وجد مع حسن رايد، ونتيجة التقصي عن اتصالات الشريحة التي كانت تستعمل في الهاتف وجد المحققون ان الهاتف استخدم في الاتصال برقمين يعودان إلى هاتفي نوكيا استخدما صاعق تفجير في عملية مفرق الهرمل.

وضع المحققون هذا الدليل أمام حسن رايد الذي اعترف بقيامه بتفجيري الهرمل عبر وضع عبوتين على جانب الطريق وقد ربط العبوتين بهاتفين نقالين يقومان بتفجير العبوة فور الاتصال بها، واعترف أنه فجر العبوة الأولى عبر الاتصال بالهاتف الأول فور مرور (ڤان) الطلاب الآتي من الهرمل وفجر العبوة الثانية عبر الاتصال بالهاتف الثاني فور وصول دورية الجيش اللبناني لإنقاذ ركاب الحافلة. وقد عثرت مخابرات الجيش على الجهازين بحالة جيدة جداً كما ان حسن رايد كشف عن كامل شبكة التفجيرات هذه، وأدت اعترافاته إلى القبض على العديد من أعضاء هذه الشبكة وكشف خيوطها وأماكن وجود أعضائها فضلاً عن جنسياتهم.

معركة طرق الإمداد من عرسال حتى إعزاز

منذ شهر شباط 2013 اعتمد الجيش السوري خطة جديدة في القتال تعتمد على مبدأ عدم الدخول إلى المناطق السكنية الحاضنة للمسلحين والقيام بعملية حصار لمناطق وجودهم عبر السيطرة على طرق الإمداد التي يستخدمها المسلحون للتواصل بين مناطق

وجودهم وللتزود بالسلاح والذخيرة، وتشمل هذه العملية طرق الإمداد من الحدود اللبنانية عبر البقاع الشمالي في سهل القاع وبلدة عرسال وصولاً إلى الحدود الشمالية عند منطقة إعزاز على الحدود السورية التركية.

فك الحصار عن مطار حلب

بدأ الجيش السوري عملية عسكرية في شرق مدينة حلب لفك الحصار عن مطار المدينة في شهر شباط 2012، وقد تمكن رتل من الجيش السوري أتى من حماه بالتفاف على مناطق وجود جبهة النصرة في مدينة السفيرة وفك الحصار عن مطاري حلب العسكري والمدني بعد معارك خاضها في بلدة خناصر وبلدات تل عرن وتل حاصل ومرتفع تل شغيب الاستراتيجي المشرف على الطريق إلى المطارين المذكورين، وقد أمّن الجيش السوري عبر هذه العملية طريقاً عسكرية تمتد من دمشق مروراً بحمص في الوسط ومن ثم حماه باتجاه مطار حلب، وقد اعاد المسلحون قطع الطريق في تموز 2013 قبل ان يستعيدها الجيش بعد أربعة أسابيع.

وبعد السفيرة يتوقع ان يحاول الجيش السوري أن يعيد ما بدأه في الربيع ويشن هجوماً واسعاً لفك الحصار عن مدينة حلب وتأمين طريق اتصال مع الريف الشمالي للمدينة باتجاه أعزاز، وتقدمت وحدات من الجيش باتجاه مدينة حلب منطلقة من المطار حيث تمكنت من السيطرة على قرية (العزيزة) وهي تل استراتيجي كان منطقة خطفٍ وقتلٍ ومنه تم إغلاق طريق مطار حلب الدولي، وفي

الجهة المقابلة للعزيزة يوجد حي المرجة بداية الأحياء الشرقية لحلب ومن يسيطر على حي المرجة ودوار الليرمون يقطع طرق الإمداد عن المسلحين من الشمال والشرق ويفصل بين شرقي مدينة حلب والريف الشرقي للمدينة. كما قام الجيش بالسيطرة على طرق إمداد رئيسة للمسلحين بين الريف الشمالي والمدينة، وهي دوار الجندول ودوار الليرمون وطريق كاستيلو التي قام عبرها الجيش بعملية التفاف مفاجئ، ويتوقع ان يستكمل الجيش السوري تقدمه من الليرمون باتجاه إعزاز على الحدود التركية عبر مناطق عندان وحريتان ونبّل وعفرين وصولاً إلى مطار منّغ العسكري الذي سقط في بداية الصيف، ومنه إلى مدينة إعزاز وهذا متوقع لحاجة النظام السوري إلى أوراق قوية في التفاوض، وليس هناك ورقة تساوي ورقة السيطرة على حلب تحدد شكل التفاوض المستقبلي وتوزيع القوى في سوريا في المستقبل.

معركة الغوطة الشرقية

وفي استكمال لعملية السيطرة على طرق الإمداد عبر سوريا قام الجيش السوري بعملية واسعة في الغوطة الشرقية لدمشق أدت إلى فكّ الجيش الحصار عن فوجَيْ الكيمياء والإشارة بمنطقة عدرا وتابع تقدمه باتجاه قرية ميدعة وحوش الفارة، والتقت القوات هذه مع رتل من القوات طَهّرَ منطقة العتيبة وحران العواميد، ومن ثم استعاد الجيش سيطرته على كل من السبيتة وحجيرة وغربة، ما وضع الغوطة الشرقية بين فكي كماشة وقطع طرق الإمداد من درعا باتجاه

العتيبة في الغوطة الشرقية ومن عرسال في لبنان إلى سوريا عبر قرى فليطة ورنكوس والقسطل باتجاه عدرا في الغوطة الشرقية.

في 24 تموز شنت المعارضة هجوماً كبيراً من ناحية جوبر وسيطرت على محطة انتاج كهربائية. وفي برزة حقق المعارضون تقدماً نحو الأكاديمية العسكرية ونحو منطقة الأبنية التجارية واقتربت مواقعهم خارج المدينة من منطقة وزارة الدفاع ونادي الضباط وهذه المناطق تعتبر محرّمة على اقتراب المعارضة في استراتيجية الجيش السوري.

في 26 تموز شن الجيش السوري هجوماً مضاداً استعاد فيه المواقع التي سيطرت عليها المعارضة. وفي شهر أيلول استعاد الجيش بلدة شبعا على طريق مطار دمشق الدولي ما جعل الطريق آمناً ليلاً ونهاراً.

يوم 21 آب كان الجيش السوري يحقق تقدما كبيراً في الريف الدمشقي عندما تم استخدام صاروخ كيماوي أدى إلى صدور تهديدات أميركية بالحرب وأوقف هجوم الجيش في تلك المنطقة قبل ان يبدأ الجيش السوري مدعوماً باللجان الشعبية هجوماً على طريق المطار في شهر أيلول.

ما بعد معركة القصير

اغفر لأعدائك ولكن لا تنسَ ابداً أسماءهم.

جون كنيدي

حفل المشهد السوري ميدانياً والمشهد الإقليمي والدولي بتغيرات حاسمة جذرية بعد معركة القصير، وكان التغيير في المشهد متسارعاً، غير أنه كان منظماً من الجهة الأميركية التي عملت على ملفات عدة منذ أيار 2013 في خضم المعركة، والتقدم الذي كان يحرزه حزب الله والجيش السوري في ريف القصير، أي ما يعرف بقرى غرب العاصي وصولاً إلى المدينة.

عملت الولايات المتحدة على جبهات سياسية عدة بينما خرجت الأمور عن السيطرة العسكرية داخل فصائل المعارضة في الشمال السوري ابتداءً من شهر تموز 2013 الذي يمكن تسميته شهر المتغيرات الاستراتيجية الكبرى وهذه المتغيرات هي:

شهر حزيران 2013

1 ـ انتقال السلطة في قطر بطريقة منظمة وبضغط أميركي.

2 ـ زيارات بندر بن سلطان وسعود الفيصل إلى فرنسا بعد

يومين من انتصار حزب الله في القصير.

3 - التغييرات التي أجراها الملك عبدالله بن عبد العزيز في الجيش السعودي وفي الحرس الوطني.

شهر تموز 2013

1 ـ انهيار حكم الإخوان المسلمين في مصر.

2 ـ تسلّم السعودية من قطر إدارة الملف السوري عبر وصول أحمد عاصي الجربا إلى رئاسة الإئتلاف المعارض.

3 ـ فرنسا توافق على وضع الجناح العسكري لحزب الله على لائحة الإرهاب الأوروبية.

4 ـ الجيش السوري ومقاتلون من حزب الله يستعيدون حي الخالدية في حمص.

5 - تقدم كبير للجيش السوري واللجان الشعبية في ريف دمشق وتأمين طريق مطار دمشق الدولي تماماً عبر استعاد بلدة شبعا.

آب 2013

1 - الأكراد يشنون هجوماً واسعا على جبهة النصرة والجيش الحر في المناطق الكردية من شمال سوريا.

2 - اختطاف طيارين تركيين في بيروت لمبادلتهما بمخطوفي إعزاز.

أيلول 2013

1 ـ تراجع الولايات المتحدة عن التهديدات بضرب سوريا واتفاق روسي اميركي حول السلاح الكيماوي السوري.

2 - ظهور الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) واندلاع المعارك بينها وبين الفصائل المسلحة الإسلامية وغيرها في الشمال السوري حتى مدينة حلب.

2 - أعاد الجيش السوري فتح طريق الإمداد بين حماه وحلب، وأحرز تقدماً استراتيجياً في الريف الجنوبي للمدينة.

3 ـ تقارب أميركي إيراني في الأمم المتحدة.

تشرين أول 2013

1 ـ إطلاق سراح الرهائن اللبنانيين التسعة المعروفين برهائن إعزاز ووصولهم على متن طيارة قطرية إلى مطار بيروت الدولي برفقة وزير الخارجية القطري خالد العطية ورئيس المخابرات القطرية.

كل هذه المتغيرات الكبرى أتت بعد معركة القصير التي كان لها دور الأواني المستطرقة في تغيير المعادلة السورية الداخلية، وتالياً وصل صداها إلى أميركا التي رأت حلفاءها المحليين والإقليميين يهزمون رغم الدعم الكبير، ما اضطرها للتدخل مباشرة عبر تصنيع الملف الكيماوي السوري حتى تخرج بما يحفظ جزءاً من مصالحها وما يرضي إسرائيل، بعدما تعذر إسقاط النظام السوري عبر الحلفاء.

بندر : يجب منع حزب الله من لعب دور إقليمي

بعد يومين من هزيمة المعارضة السورية في مدينة القصير حضر في زيارة مفاجئة إلى باريس كل من بندر بن سلطان رئيس المخابرات السعودية وسعود الفيصل وزير الخارجية السعودي .

هذه الزيارة لفرنسا أتت على خلفية موقف البلدين المتطابق؛ فالسعودية لا تريد حلاً يخرج من خلاله النظام السوري وحلفاؤه منتصرين، وفرنسا أيضاً لا تريد حلاً للأزمة السورية كونها تشعر بتهميشها في حال حصل اتفاق بين روسيا وأميركا حول الحرب في سوريا. هذا الرفض الفرنسي، أو يباس الرأس الفرنسي، كما وصفه موقع (آغورا)، وضع كل العراقيل والعقبات أمام حل في سوريا وبحث عن كل الحجج التي تجبر الإدارة الأميركية على مراجعة سياستها التي تريد عدم إغضاب الروس كثيراً في سوريا.

باستثناء الخلاف حول لبنان، وجد الموقف الفرنسي المتصلب اتجاه سوريا ضالّته في المملكة العربية السعودية مع قطبي التصلب والعداء لسوريا متمثلاً بوزير الخارجية سعود الفيصل وزوج أخته بندر بن سلطان بن عبد العزيز اللذين وصلا العاصمة الفرنسية باريس بعد يومين من سقوط القصير في زيارة خصصت لبحث كيفية العمل المشترك بين الطرفين السعودي والفرنسي لمحاربة حزب الله وإيران في سوريا.

ويبدو أن الحاجة الفرنسية للمال ولبيع معدات عسكرية

للخارج بعد الركود الذي تشهده مبيعات السلاح الفرنسي، التقى مع حاجة السعودية لسند أوروبي قوي من أجل الاستمرار في سياسة الحرب في سوريا ولا بأس أن تدفع مملكة النفط بعضاً من الأموال لفرنسا لقاء خدمات تقدمها الأخيرة في الحرب على سوريا، وعلى إيران وحزب الله في سوريا. هذا التلاقي في المصالح جعل زيارة المسؤولين السعوديين لباريس حافلة بنقاط الاتفاق وخطط العمل التي سوف يتعاون الفرنسي والسعودي فيها على الأراضي السورية وفي أوروبا والخليج والعالم.

أما نقاط الاتفاق السعودي الفرنسي فكانت كما يلي:

1 ـ توقف فرنسا اعتراضها على وضع حزب الله على لائحة الإرهاب الأوروبية[1].

2 ـ تتعاون باريس والرياض على تبادل المعلومات حول الجاليات الشيعية في أوروبا وفي الخليج، خصوصاً تلك التي لديها ميول وتأييد لحزب الله.

3 ـ تستمر فرنسا بسياسة التصلب والهجوم ضد النووي الإيراني وضد المصالح الإيرانية في أوروبا والغرب.

4 ـ تقدم فرنسا أسلحة متطورة وأجهزة اتصال حديثة للمعارضة السورية وتدفع السعودية ثمنها.

(1) هذا ما حصل بعد شهر من هذه الزيارة.

5 ـ تعيد فرنسا تعاونها الأمني مع السعودية في اليمن والذي كان مثمراً إبان حرب صعدة عام 2009.

6 ـ تقوم السعودية بشراء بضائع وسلع ومعدات فرنسية بقيمة ثلاثة مليارات دولار.

ويبدو أن السعودية التي كانت تعول على تحالف تركي سعودي في مواجهة إيران، تعيد حساباتها بعد صعود المد الإخواني في المنطقة بقيادة تركية واضحة، فضلاً عن انتقال عدوى التظاهرات إلى تركيا وهذا ما يثير مخاوف السعودية من انتقال العدوى إليها. لذلك وجه المسؤولون السعوديون وجوههم صوب فرنسا التي تتفق مع السعودية أيضاً في الرغبة بإزاحة القطري من الواجهة خصوصاً أن باريس غاضبة من الدوحة بسبب صفقة دبابات كانت باريس تأمل من الدوحة ان تختار (دبّابة لوكليرك) الفرنسية، وقد اختار القطريون دبابة بريطانية، ما أثار غضب باريس التي سهلت لقطر استثمارات كبيرة في فرنسا وبعضها رمزي ومعنوي مثل نادي (باريس سان جيرمان) لكرة القدم أو محلات (ميغاستور) على جادة الشانزيليزيه.

وطلب بندر من الفرنسيين تزويد المسلحين بأسلحة مضادة للدبابات وأجهزة اتصال حديثة وصور أقمار صناعية لمواقع الجيش السوري في مناطق الاشتباك، فيما تتولى السعودية تزويد المسلحين السوريين عبر مخازن أسلحة موجودة في الأردن وتشمل هذه المعدات (صواريخ حرارية مضادة للدروع، عربات نقل مصفحة،

اجهزة اتصال مشفرة وموصولة عبر الاقمار الصناعية، مدافع هاون، ذخائر متنوعة، فضلا عن عشرات الصواريخ التي سوف تستخدم في قصف مناطق لبنانية تتعرض للقصف حالياً من قبل المسلحين السوريين.

في هذه الزيارة كان يرافق الأميرين السعوديين وفد ضخم قال مصدر دبلوماسي فرنسي أنه الوفد السعودي الأضخم الذي يزور فرنسا منذ قيام العلاقات بين البلدين، لم أر في حياتي وفداً سعودياً بهذا العدد، يقول المصدر الفرنسي.

بندر بن سلطان وسعود الفيصل التقيا الرئيس الفرنسي ورئيس المخابرات الفرنسية، وفي لقائهما مع فرانسوا هولند قال بندر للرئيس الفرنسي:

سيدي الرئيس، أنا هنا لنتعاون سوياً من أجل منع سقوط حلب كما سقطت القصير. علينا التعاون من أجل تحصين مدينة حلب عسكرياً وسياسيا، ونحن مستعدون لنتعاون اقتصادياً بما فيه المصلحة المشتركة لبلدينا ولمعركتنا في سوريا.

اتفق الجانبان الفرنسي والسعودي خلال هذه الزيارة على قيام فرنسا ببيع السعودية قمراً صناعياً للمراقبة العسكرية، وأوكلت فرنسا إلى شركة (يورو سباسيال) أمر مناقشة هذا المشروع مع السعوديين حيث توجه وفد من الشركة إلى الرياض فور عودة بندر وسعود إلى السعودية.

بعد شهر تماماً عاد بندر إلى فرنسا في الزيارة الثانية التي تمت

في شهر تموز والتي أتت قبل إعلان الاتحاد الأوروبي عن وضع ما اطلق عليه (الجناح العسكري لحزب الله) على لائحة الإرهاب الأوروبية، وكان بندر بن سلطان يتحدث عن الدور الإقليمي لحزب الله الذي يشكل خطراً على وجود الدولة السعودية والذي يجب منعه بأي ثمن.

بندر قال للمسؤولين الفرنسيين إن معركة القصير جعلت لحزب الله دوراً إقليمياً، وهذا سوف يعرّض ملف البحرين لأن يكون في وضع تجاذب اقليمي مع ما يعني هذا من خطر كبير على السعودية خصوصاً في المنطقة الشرقية الغنية بالنفط، ويجب منع حزب الله من لعب هذا الدور.

بندر تحدث عن مساع سعودية حثيثة للخروج من الحماية الأميركية، التي لم تعد تشعر المسؤولين السعوديين بالطمأنينة. وقالت المصادر إن بندر تساءل امام مسؤولين فرنسيين التقاهم: كيف يمكن أن نطمئن للأميركي بعد ان سمح بسقوط الرئيس المصري حسني مبارك، متسائلاً: هل سوف تقوم أميركا بالدفاع عن السعودية في حال تعرضت لهجوم عسكري؟

مصادر فرنسية تقول ان هذا سؤال مطروح بجدية في اروقة الحكم السعودية، القلقة من سياسة الولايات المتحدة منذ بداية الحرب في سوريا، حيث يرفض الرئيس الأميركي باراك أوباما القيام بتحرك عسكري ضد نظام الرئيس بشار الأسد رغم الإلحاح السعودي.

وتنقل المصادر الفرنسية، أن الملك عبدالله بن عبد العزيز، اضطر لإعادة إصلاح العلاقة مع آل سلطان بعد أن عمل على تهميشهم خلال الأشهر الماضية لمصلحة ابنه متعب، وجاء قرار عبدالله بإعادة التقارب مع آل سلطان بعد معركة القصير التي ترى فيها السعودية نموذجاً لتحول قوة معادية لها من قوة محلية إلى قوة تلعب دوراً إقليمياً، كما أنها في ذهن العائلة السعودية المالكة صورة لمعركة مقبلة قد تحصل على حدودها مع اليمن في حال بقي النظام السوري وحصل توافق أميركي مع سوريا وإيران.

انفجار الصراع العسكري داخل فصائل المعارضة السورية

الحروب؛ هي أناس لا يعرفون بعضهم ويقتلون لأن أناساً يعرفون بعضهم جيداً لم يتوصلوا إلى اتفاق.

بول فاليري

ميشال كيلو ودور عرّاب الفيدرالية

في شهر تموز 2013 اشتعلت الحرب بشكل عنيف في شمال سوريا بين الأكراد وجبهة النصرة، ولكن هذه المرة على نطاق واسع شمل كل المناطق الكردية الواقعة في الشمال السوري، وتميزت هذه المعركة بسرعة حسم للمسلحين الأكراد في مناطق عديدة أهمها منطقة رأس العين المحاذية لتركيا فضلاً عن مناطق كوباني، تل يابس، تل أبيض حيث المعبر الحدودي المهم بين سوريا وتركيا، في تغير استراتيجي في تعاطي المسلحين الأكراد مع تركيا ووصولهم إلى حدودها مع سوريا بعد أن كانوا في الماضي يتجنبون الاحتكاك بها، خصوصاً ان هناك اتفاق مصالحةٍ بين حزب العمال الكردستاني والدولة التركية نفذ المقاتلون الاكراد جزءاً منه عبر انسحاب أجروه من جبال قنديل نحو الأراضي العراقية.

فما هو الأمر الجديد الذي حصل، والذي غير المعادلة الكردية مع جبهة النصرة ومع تركيا؟.

يتحدث الأكراد عن دور سعودي مباشر، وأمريكي غير مباشر في رفع الغطاء عن وجود جبهة النصرة في المناطق الكردية لسوريا. وتقول المصادر عينها أن خطة ميشال كيلو وبندر بن سلطان تقوم على استجلاب التدخل الغربي لسوريا أو إقناع الولايات المتحدة الأميركية بدعم المعارضة السورية بالسلاح النوعي، والموقف السياسي الحازم لإسقاط النظام في دمشق. ومن أجل تحقيق هذا الهدف يسعى كيلو وبندر لفتح جبهات مع جبهة النصرة وطردها من مناطق الشمال السوري أو بعضها، من أجل اقناع إدارة أوباما أن من يسيطر على السلاح وعلى الأرض في المعارضة السورية هي جماعات علمانية وليس متطرفو القاعدة وجبهة النصرة وجند الشام. وأتت فكرة إدخال الكرد في مواجهة النصرة من هذا المبدأ، وكان على ميشال كيلو السعي لإقناع الكرد بخوض هذه المعركة.

وفي هذا الشأن تقول مصادر في المعارضة السورية سرّبت (وثائق ميشال كيلو) أن إقناع الطرف الكردي بخوض هذه المعركة جاء عبر حذف بند في النسخ النهائية لوثائق ميشال كيلو كان موجوداً في المسوّدات، فماذا يقول هذا البند ؟

في مسودة اللائحة التنظيمية (ص 3) في شروط العضوية بند يقول:

«أَنْ يؤمِنَ بسوريا دولة مدنية تعددية ديمقراطية موحدة لكل مواطنيها».

المصدر السوري المعارض يؤكد ان حذف هذا البند أتى

بطلب من أطراف كردية تعمل مع المعارضة السورية أمثال عبد الحميد درويش (رئيس الحزب الديمقراطي التقدمي في سوريا) وعبد الباسط سيدا وشخصيات كردية لا تتمتع بوزن شعبي، لكن لها علاقات سياسية إقليمية ودولية من أجل إقناع حزب العمال الكردستاني وحزب الاتحاد الديمقراطي السوري. ويضيف المصدر السوري المعارض أن ميشال كيلو قدم ضمانات باسم السعودية ومن ورائها الولايات المتحدة الأميركية بعدم الاعتراض على انشاء إدارة مدنية كردية في الشمال السوري وكبح جماح تركيا في حال دخل الأكراد في حرب ضد جبهة النصرة في تلك المناطق وأعلنوا عن إنشاء إدارة مدنية أو حكومة مؤقتة في مناطق شمال سوريا.

وكانت جهات كردية نافذة محيطة بالرئيس العراقي (جلال طالباني) لعبت دورا كبيراً في إتمام هذه الصفقة مضيفةً ان زوجة جلال طالباني وبعض المحيطين به من الليبراليين أقنعوا قيادات كردية سورية مقيمة في دبي لها نفوذ على المسلحين الأكراد في جبال قنديل، أن هذه الفرصة تاريخية ولا يمكن أن تتكرر، خصوصاً أن دخول الأكراد في حرب ضد جبهة النصرة سوف تعتبره اميركا حرباً ضد الإرهاب وسوف يخدم هذ الأمر الهدف الكردي في سوريا. وتجزم المصادر الكردية أن الرئيس العراقي جلال طالباني لا علم له بهذا التدخل كونه يعتبر في حالة عجز سريري من الناحية الطبية.

وكان صالح مسلم محمد رئيس الحزب الديمقراطي السوري

أكبر الأحزاب الكردية في سورية والذي يعتبر الفرع السوري لحزب العمال الكردستاني قال في مقابلة مع تلفزيون (كلي كوردستان) الكردي ان الشعب في غرب كوردستان (سوريا) بحاجة ماسة إلى إدارة أو حكومة مؤقتة لتسيير أمورهم وتلبية متطلبات الحياة الضرورية، مضيفاً أنه بعد لقاء حزبه مع مسؤولين في الخارجية الأميركية استوعبوا فكرة الحكومة المؤقتة وخلق حالة من الارتياح لديهم. . .

من هم المقاتلون الذين يواجهون جبهة النصرة؟

بشكل مفاجئ اندلعت المعارك في مدينة رأس العين السورية الواقعة على الحدود السورية التركية، والتي تربط شريط الحدود التركي السوري بطول مائة كلم وعمق 20 كلم الذي أرادته تركيا منطقة عازلة من عامودا إلى رأس العين، وكانت المفاجئة الكبرى والأهم من اندلاع المعركة بحد ذاتها، في التقدم السريع والمنظم للمسلحين الأكراد الذين سيطروا على المدينة في فترة وجيزة وبطريقة سريعة وخاطفة، على عكس المعارك في السنة الماضية، وامتد الهجوم والتقدم الكردي إلى مناطق أخرى في الشمال السوري ووصل إلى معبر تل أبيض الاستراتيجي مع تركيا والقرى المحيطة به، وكانت ساحة المعارك تشهد على حرفية قتالية عند المسلحين الأكراد غير مألوفة ومفاجئة في آن معاً، خصوصاً لناحية العتاد والعدة والتنظيم وتوزيع المقاتلين والخطط العسكرية وتامين خطوط التواصل والإمداد، ما يؤكد ان من يقاتل جبهة النصرة ليس رجال

اللجان الشعبية الكردية التي شكلها حزب الاتحاد الديمقراطي منذ نحو عام ونصف عام، ولكن قوة كردية أخرى هي التي دخلت المعركة وشكلت قوة حسم كبيرة في وجه النصرة.

وما القوة الكردية المنظمة التي تقاتل جبهة النصرة في الشمال السوري سوى مقاتلي حزب العمال الكردستاني الذين انسحبوا من تركيا خلال شهر نيسان 2013، وهؤلاء رجال مدربون ومجربون، وبعضهم تدرب في الماضي في البقاع اللبناني عندما كان عبدالله اوجلان موجوداً في لبنان وفي سوريا، وغالبية رجال حزب العمال الكردستاني الذين انسحبوا من جبال قنديل قبل أشهر عدة هم من اكراد سوريا، لذلك كان من السهل نقل هؤلاء إلى سوريا من أجل مواجهة جبهة النصرة وكبح جماحها، وتالياً إفساح المجال أمام قوى علمانية للسيطرة على قرار المعارضة السورية المسلحة والتمكن من الميدان، ما يسهّل عملية اقناع أميركا والغرب بضرورة تسليح المعارضة السورية.

ويبدو أن الأكراد بعدما نفذوا المرحلة الأولى من الاتفاق مع تركيا أصابهم ملل من سياسة المراوغة التي يتبعها أردوغان في تطبيق بنود الاتفاق الذي عقدته المخابرات التركية مع عبدالله اوجلان في سجنه في جزيرة (أميرالاي) التركية، وهم قرروا أن يفاجئوا أردوغان من حيث لم يحتسب، وهذا ما حدث، حيث إن المسلحين الذين انسحبوا من جبال قنديل خاضوا معارك حاسمة مع جبهة النصرة المدعومة من تركيا ومن جماعة الإخوان المسلمين، وهذا التحرك الكردي لا يمس جوهر الاتفاق مع تركيا التي لا يمكن

لها في الوقت الحالي إعلان موت الاتفاق مع الأكراد، خصوصاً بعد التحركات التي شهدتها وتشهدها المدن التركية احتجاجاً على رئيس الوزراء التركي وحزب العدالة والتنمية، وفي الوقت نفسه يعمل الأكراد على تحقيق حلمهم التاريخي على مقربة من تركيا التي ساهمت بشكل مباشر في خلق حالة الفراغ الأمني والعسكري على حدودها اعتقاداً منها أن سقوط الرئيس السوري مسالة وقت، وسوف تكون هناك حكومة موالية لأنقرة في دمشق تعيد الإمساك بالحدود بين البلدين وتنفذ سياسة تركيا بحق الأكراد. غير ان حسابات الحقل التركي لم تطابق حسابات البيدر الكردي والسوري في هذا المجال، ما أوصل تركيا إلى مرحلة دقيقة وحرجة، فلا هي قادرة على التدخل العسكري في سوريا بعد كل هذه المدة، ولا أمنها القومي يسمح بوجود كيان كردي لديه استقلالية ولو بسيطة في سوريا. وبين المعضلتين تقف حكومة اردوغان لترى من اعتبرت خروجهم من جبال قنديل انتصاراً تاريخي لها، يقومون الآن بطرد أشد حلفاء تركيا في المعارضة السورية المسلحة من قرى وبلدات الحدود بين تركيا وسوريا، ويحتلون أهم المعابر مع تركيا. ويقدر عدد مقاتلي حزب العمال الكردستاني الذين يخوضون تلك المعارك مع جبهة النصرة ما يقارب الألفي مقاتل.

أين جماعة الإخوان المسلمين من كل ما يجري؟

التزمت جماعة الإخوان المسلمين الصمت التام في سوريا حول المعارك بين الأكراد وجبهة النصرة في شمال سوريا، وهو

صمت يشبه صمتَ أهل القبور، خصوصاً أن الأكراد أعلنوا عن نيتهم إقامة منطقة إدارة ذاتية مؤقتة في تلك المنطقة.

فالجماعة التي أمسكت بقرار المعارضة السورية لمدة سنتين فقدت كل هيبتها وسطوتها مع الحدث المصري الكبير الذي أصابت تداعياته تنظيم الاخوان المسلمين حول العالم، وأتت تأثيراته المباشرة على الفصيل السوري للجماعة الذي أصبح يتعامل مع الآخرين في المعارضة السورية بشيء من التواضع، إن لم نقل التراجع السريع في كل المواضيع الخلافية تقريباً.

ويأتي صمت الجماعة بسبب قربها الكبير من تركيا الذي جعلها ترفض أي علاقة مع الأحزاب الكردية السورية، خصوصاً مع حزب الاتحاد الديمقراطي السوري الذي يعتبر الجناح السوري لحزب العمال الكردستاني، وكانت الجماعة وراء فشل كل مبادرات التقارب بين الأكراد والمعارضة بإيعاز من تركيا، وهي رفضت الاعتراف بالقومية الكردية في المجلس الوطني والإئتلاف السوري المعارضين، وهذا الرفض جعل الأكراد يتريثون في تعاطيهم مع المعارضة، والتزم حزب الاتحاد الديمقراطي السوري مع هيئة التنسيق المعارضة وهي على خلاف مع الإئتلاف ومع جماعة الإخوان المسلمين على كثير من القضايا أبرزها التدخل الخارجي والطائفية وفصل الدين عن الدولة والموقف من العلاقة مع تركيا والسعودية وقطر.

ويقول الأكراد أن مسلحيهم يقاتلون أيضاً جماعة الإخوان المسلمين في اكثر من نقطة في الشمال السوري، خصوصاً في مدينة

رأس العين وفي منطقة عفرين من مدخلها الجنوبي الغربي، حيث يوجد لواء التوحيد التابع مباشرة للجماعة، كما أن الكثير من المجموعات المنضوية تحت اسم جبهة النصرة هي بالأساس مجموعات كانت من لواء التوحيد قبل قرار فاروق طيفور والأتراك خلق تنظيم جبهة النصرة، لإبعاد الشبهة والتهم عن جماعة الإخوان المسلمين في عمليات التطهير العرقي والمذابح لتي تحصل أثناء الحرب.

وكان لخروج قطر من المعادلة وتسلُّم بندر بن سلطان أل سعود دفة القيادة في الإئتلاف المعارض دور كبير في صمت الجماعة التي تعرف أن السعودية تقف وراء الهجوم العسكري الكردي على مواقع جبهة النصرة ومواقعها في الشمال، لكنها تتعامل بسقف منخفض مع الحدث، وهي ارسلت (فاروق طيفور) نائب المراقب العام للجماعة في وفد الائتلاف الذي زار العاصمة الفرنسية باريس تحت رئاسة أحمد عاصي الجربا وميشال كيلو. ومن المعروف أن طيفور يعتبر من جناح الصقور في الجماعة وهو المشرف المباشر على العمل العسكري الذي تقوم بها المجموعات التابعة لجماعة الإخوان المسلمين داخل الأراضي السورية، وتقيم قيادة جماعة الإخوان المسلمين الفرع السوري كلها في اسطنبول وهي لا تحيد أبداً عن الأوامر التركية والمصالح التركية، ولذلك فإن عامل الثقة بينها وبين الأكراد مفقود بشكل كبير وبديهي، وفقدان الثقة هذا يطبق على الأرض يومياً في تفاصيل مرعبة تمس الحياة اليومية للسكان، ويروي المعارض السوري أن مسلحي

المعارضة في إعزاز وفي دارة عزة وهي من معاقل جماعة الإخوان المسلمين، قطعوا طريق حلب على أكراد عفرين ومنعوهم من التزود بالبضائع والمؤن، فرد الأكراد بقطع المياه عن إعزاز وعن دارة عزة التي تعتمد في مياه الشفة على عفرين التي تزود ينابيعها سداً مائياً في المنطقة تستخدمه إعزاز ودارة عزة وباقي مناطق شمال حلب في ري المحاصيل وفي الاحتياجات اليومية، وانتهت الأزمة هذه بتراجع مسلحي المعارضة عن إقفال طريق حلب بوجه الأكراد وأعاد هؤلاء ضخ المياه إلى القرى الخاضعة لسيطرة المسلحين. ويؤكد أن جماعة الإخوان المسلمين انتظرت القرار التركي في هذا لموضوع قبل العمل على حلّه، رغم أن العطش اصاب القرى التي تخضع لسيطرتها لفترة غير قليلة.

وكانت وثيقة تقويم داخليه للإئتلاف المعارض وزعتها بعض مواقع المعارضة السورية قالت:

"إن استمرار التردد والبقاء على وعود التسلح والبحث في أعذار ومبررات يمكن خلقها باستمرار، قد يدخل المعارضة في سيناريو حرب استنزاف قد تصل إلى بضع سنوات.

إن عدم قدرة الإئتلاف على تحقيق تماسك داخلي سيعمق ضعف قدرته على التأثير على القيادة العسكرية (قيادة الأركان) التي هي أيضاً قيادة رخوة لا تملك تأثيراً كافياً على القوى الثورية العاملة على الأرض، وإذا ما استمر الوضع على ما هو عليه وتصاعدت حدة الصراع بين تنظيم الدولة (الإسلامية) والجيش الحر، فإن الوضع الراهن سيحد من الإنجاز وسيقود إلى إطالة عمر النظام من

دون شك، وسيكون من غير الممكن السيطرة على التداعيات الخطرة والمؤقتة لإعلان حكومة كردية في شريط الحدود الشمالي الشرقي للبلاد، وليس من المستبعد ان تؤدي هذه الخطوة إلى عمليات تهجير عرقي وإثارة نزاع قومي مديد لا يعرف أحد نهايته».

وفي باريس كان وفد الإئتلاف السوري المعارض يخرج من قصر الإليزيه بعد اجتماع مع الرئيس الفرنسي فرانسوا هولند خالي الوفاض، كما يقول أحد أعضاء الوفد، الذي أكد أن فرنسا تراجعت عن كل كلامها السابق وتعهداتها بتسليح المعارضة السورية بأسلحة نوعية ومتطورة، ولم نسمع من الرئيس الفرنسي كلمة واحدة عن إمكانية تزويدنا بالسلاح، وأضاف ان الائتلاف السوري المعارض لن يستمر طويلاً على هذا الحال وهو يتفكك.

وقال مرجع سوري معارض إن الائتلاف فشل في كل وظيفته التي وجد من أجلها وهي جلب السلاح والقضاء على تنظيم القاعدة الذي يشكل الجسم الأكبر، وهو في حالة احتضار. وأضاف أن المال لم يعد يأتي لصندوق الإئتلاف منذ فترة والخزينة شبه خاوية، وروى قصة وفد من مسلّحي حمص زار الإئتلاف في تركيا والتقى أعضاء الإئتلاف وطالب الوفد الحمصي بدعم مادي لمسلحي حمص، فقال لهم الجربا «سوف أرى كم بقي في الصندوق واعطيكم». فأشار اليه ميشال كيلو قائلاً «أعطهم كل ما في الصندوق». وحسب المرجع المعارض لم يكن في الصندوق ما يسد الرمق، حيث بدأت الدول الداعمة مادياً للمعارضة السورية توجه أموالها لشخصيات محددة بدلاً من الإئتلاف الذي لن يستمر

طويلاً في ظل التناقضات والخلافات بين أطيافه، وبسبب سعي ميشال كيلو لتأسيس حزب بدعم من بندر بن سلطان الذي يرى نفوذاً كبيراً لقطر وتركيا وجماعة الإخوان المسلمين في الإئتلاف يجب انهاؤه عبر إنهاء الإئتلاف السوري برمّته وتشكيل جسم معارض آخر يحظى بتمثيل المعارضة ويكون قراره في يد السعودية بعدما سحبت الولايات المتحدة تفويض أمر المعارضة السورية من قطر وسلمته للسعودية. وتتصارع شخصيات المعارضة السورية على المال الآتي من الخليج. وينقل عن سميرة المسالمة [=رئيسة تحرير صحيفة تشرين سابقاً التي أقيلت من منصبها] مطالبتها براتب قدره عشرون ألف يورو لعملها مستشارة إعلامية في الإئتلاف وقولها: «أعطوني مثل ما بتقبّض النصرة». وينقل المعارضون أن أربعين مسلحاً من النصرة موجودون في مدينة معربا جنوب سوريا يحصلون شهرياً على دعم بقيمة مليون دولار، في وقت لا تجد فيه فصائل أخرى المال الكافي لدفع معاشات مسلحيها، ويعزو بعضهم هذا الوضع إلى حالة الفساد المستشري في صفوف السوريين المعارضين الموكلين بتوزيع الدعم المادي الخليجي، حيث يحوّل هؤلاء القسم الأكبر من الأموال إلى حسابات خاصة بهم.

ظهور داعش واقتتال المعارضة

دولة الإسلام في العراق والشام من الرمادي حتى إعزاز

كما اختفى ذكر لواء التوحيد في عام 2011 ليظهر مكانه إسم جبهة النصرة في الحرب السورية، اختفى إسم جبهة النصرة أو كاد

يختفي لمصلحة إسم إعلامي جديد هو «دولة الاسلام في العراق والشام» أو ما بات يعرف بـ(داعش)، وظهر هذا الإسم فجأة على السطح من أعماق بحار المخابرات السعودية بعد عودة بندر بن سلطان إلى الواجهة عندما سلمته الولايات المتحدة وعمه الملك عبدالله بن عبد العزيز مسؤولية متابعة الملف السوري. وشاع إسم (داعش) بعد الهجوم الذي شنته على مدينة إعزاز القريبة من الحدود التركية في شمال سورية وسيطرتها على المدينة بعد معركة خاضتها مع لواء عاصفة الشمال، وهو قوة عسكرية هامشية مقارنة بألوية وكتائب أخرى في المعارضات السورية المسلحة، وهذا اللواء يتخذ من مدينة إعزاز مقراً له، وهو من اعلن مسؤوليته عن احتجاز الحجاج اللبنانيين.

إن (داعش) أو «دولة الإسلام في العراق والشام» هي تنظيم تنظيم مستحدث لدولة العراق الإسلامية وهي بذلك تشكل الجسم الحقيقي والأساس لتنظيم القاعدة في سوريا، وغالبية أعضائها من الأجانب الذين أتوا من العراق أو من الصومال وليبيا وبدأت تحصل على ولاء الكثير من السوريين منذ فترة قصيرة عبر إخضاعها بعض المناطق في الشمال السوري وأميرها هو أبو عمر البغدادي.

(داعش) هي الاسم الجديد لدولة العراق الإسلامية التي يقودها البغدادي وتعود جذور هذه الدولة إلى العراق حيث تمكن مسلحوها من السيطرة على مدينة الرمادي عام 2006 واعلنوا منها تأسيس دولة العراق الإسلامية، وكان الجولاني من مساعدي البغدادي في معركة الرمادي حسب ما يروي لنا مصدر اسلامي

لبناني شارك في تلك المعركة، وقد قررت الولايات المتحدة حينها تأسيس الصحوات في العراق بالتعاون مع بندر بن سلطان تجنباً لدخول مواجهة مكلفة بشرياً وسياسياً كما حصل في الفلوجة، علما ان بندر نفسه كان يمول البغدادي وجماعته عبر هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبوساطة رجلي الدين؛ الكويتي (وليد الطباطبائي) والقطري (عبد الرحمن النعيمي) المعروفين بولائهما المطلق للمؤسسة الدينية في السعودية. وعند بدء الحرب في سوريا طغى اسم جبهة النصرة ولم يسمع بالبغدادي إلا بعد تسلّم بندر ن سلطان الملف السوري من القطريين في الربيع الماضي.

وقبل حربها على الجماعات التي ترتدي قبعة الجيش الحر، دخلت (داعش) في شهر نيسان الماضي في صراع مسلح مع أبو محمد الجولاني قائد جبهة النصرة وذلك مباشرة بعد تسلم بندر بنَ سلطان الملف السوري داخل العائلة السعودية الحاكمة، وكان هذا الصراع هو أول تباشير عودة اليد السعودية على تنظيم القاعدة، حيث يعتقد بندر ان النصرة والجولاني ولاؤهما كبير لتركيا وقطر، كون النصرة هي بالأساس صنيعة المخابرات التركية وجماعة الإخوان المسلمين في سوريا لاحتضان السلفيين الجهاديين وعدم ذهابهم إلى جهات أخرى. وكان الظواهري نفسه قد حسم الخلافات بين الجولاني والبغدادي في شهر أيار عام 2013 بعد اعتراض الجولاني على قرار البغدادي تولية ابن أخت ابو مصعب الزرقاوي أميراً على جبهة النصرة واعتراض الجولاني بأن السوريين

لن يقبلوا تولي أردني ساحة الجهاد في سوريا، واصطدم الطرفان عسكرياً في ريف دمشق حيث تعرض الجولاني لمحاولة اغتيال في منطقة عسالي القريبة من السيدة زينب في ريف دمشق وقتل مساعده عبد العزيز العثمان، وقال حينها مقرب من الجولاني ويدعى (عبد اله الدهيمان) : «دم العثمان والمحيسني في رقبة البغدادي فهو من أمر بقتلهما عليه من الله ما يستحق، لقد ثبت أن البغدادي تحرك من العراق بتوجيه حتى يقوم بدور عجزَ الأعداءُ عن تنفيذه أو تنفيذ جزء منه والدور هو تفتيت جبهة النصرة والقضاء على اميرها ونائبه أبو مارية العراقي وقد حاول قتلهما ولكن تمكنا من النجاة بفضل الله».

وكان الدهيمان يقصد المخابرات السعودية في كلامه عن توجيه للبغدادي، وقد انتقل الجولاني بعد محاولة اغتياله إلى الجنوب السوري وتحديداً إلى بلدة معربة ـ أو معربا شرقي درعا بأمر من الظواهري، حسب مصادر المعارضة السورية، وهناك حسم الظواهري الخلاف بين الطرفين حيث أمر بعدم اتباع الجولاني للبغدادي وذلك حتى لا تقوى شوكة البغدادي ويخرج عن طاعته، وفي الوقت نفسه حذرا من سيطرة المخابرات السعودية على البغدادي منذ احتلال العراق.

ليس هناك معرفة حقيقية بعدد مقاتلي داعش، لكن تقديرات المعارضة السورية تقول انهم حوالى 18 الف مسلح غالبيتهم من غير السوريين ويتمركزون في الشمال السوري، في الرقة، في دير الزور، وفي ريف دمشق.

لماذا قررت دولة الإسلام في العراق والشام شن الحرب على الجيش الحر؟

(هم كانوا متفقين أن يتقاتلوا بعدين) هذا تعليق قاله لي معارض سوري على تواصل مع جماعة داعش والجيش الحر على حدٍّ سواء، وهذه الجملة تلخص الوضع القائم بين الطرفين منذ وقت طويل، ولم يمنع حصول القتال الذي تأخر بينهم كثيراً سوى التطمينات الغربية والعربية لكلا الطرفين بأن سقوط النظام بات وشيكاً، ويجب قبل الاقتتال على النفوذ والسلطة إسقاط النظام.

منذ دخول المال القطري والسعودي في أوساط المعارضين السوريين تشكلت كتل نفوذ على الأرض تتبع كل منها للجهات المموِّلة. ولا يخفى أن المال الخليجي هو الأكثر دفقاً وسخاءً، وكانت الأموال السعودية تدفع للجماعات المتطرفة من التكفيريين والسلفيين، بينما كانت الأموال القطرية تدفع لجماعة الإخوان المسلمين التي أدارت هي الكثير من الجماعات على الأرض، على طريقة تلزيم المناطق وإنشاء الجماعات المسلحة، فكانت جماعة الاخوان تدفع لمناصريها المباشرين وللكثير من الجماعات السلفية وجماعات محسوبة تحت قبعة الجيش الحر، لكن ولاءها وتمويلها إخواني وقطري، وهذا الوضع طبقته السعودية بعد قطر عبر تمويل جماعات محسوبة على الجيش الحر.

بدأ الصراع مبكراً بين الطرفين، لكن حدة المواجهات مع الجيش السوري حتمت عليهم جميعاً إرجاء المعركة بينهم التي لا

مفرّ منها، وكل الوضع على الأرض مهيأ لوقوعها ويبشر بتوسعها شاملة كلّ المناطق الخارجة عن سلطة الدولة والتي تقع تحت سلطة إحدى المجموعات المعارضة.

كانت حمص بداية الصراع بين المجموعات المسلحة، حيث حاولت جبهة النصرة اغتيال أحد قادة الجيش الحر في حمص العقيد المنشق قاسم سعد الدين بتاريخ 26 أيلول عام 2012 الذي نجا بأعجوبة، وانتقل إلى تركيا.

غير أن المنعطف الكبير الذي كان سبباً مباشرا في تسريع وتيرة الصدام بين الطرفين كان في سيطرة جبهة النصرة على مدينة الرقة يوم 5 آذار 2013 والتي تعتبر أول مدينة سورية تخرج عن سيطرة الدولة عسكرياً وبشكل كامل، حيث سعت جبهة النصرة إلى إنشاء إمارة خاصة بها في المدينة، وحاولت اغتيال رياض الأسعد عندما زار المدينة في في الثالث والعشرين من الشهر نفسه، وكانت محاولة الاغتيال هذه بداية تحول نوعي في العلاقة بين الطرفين.

تغيرت الوصاية الدولية على المعارضة السورية بعدما سحبت الولايات المتحدة الالتزام من قطر ولّزمت أمر المعارضة السورية وإدارة الصراع السوري للمملكة العربية السعودية التي عملت منذ تسلّم هذا الملف على تحقيق أهداف عدة هي:

1 ـ إخراج القطري نهائياً من المعادلة السياسية عبر إضعاف جماعة الإخوان المسلمين داخل الإئتلاف وإجبار الجماعة على القبول بأحمد العاصي الجربا مرشح بندر بن سلطان رئيساً للإئتلاف.

2 ـ العمل للضغط على الجانب التركي الذي لا يمكن إخراجه من اللعبة بسبب العامل الجغرافي، وذلك عبر إقناع الأكراد بشن حملة عسكرية ضد جبهة النصرة في البلدات والقرى التي يتوجد فيها الأكراد السوريون، ومن المعروف ان الخلاف السعودي التركي كَبُر بعد انهيار سلطة الإخوان المسلمين في مصر وتأييد السعودية الكامل للسلطة الجديدة ودعمها لها بمليارات الدولارات.

3 ـ الإعلان عن تعيين أحمد الطعمة، الموالي للسعودية، رئيساً لحكومة الإئتلاف السوري المعارض بدلاً من غسان هيتو الموالي لقطر والمنتمي لجماعة الإخوان المسلمين.

غير ان التوجه الأميركي الجديد بالاتفاق مع روسيا غيّر الحسابات السعودية، خصوصاً أن سفراء كل من أميركا وفرنسا وبريطانيا في سوريا، والموكلين الملف السوري لدى بلدانهم، توجهوا في بداية شهر أيلول 2013 إلى اسطنبول ومكثوا فيها قرابة أسبوع كامل في محاولة لإقناع الإئتلاف السوري المعارض والأطياف المعارضة العاملة ضمنه، بتشكيل وفد موحّد للذهاب إلى مؤتمر جنيف، غير أن ضغوط الثلاثي الغربي لم تثمر إلا بعد أن هددت الولايات المتحدة بوقف دعمها للمعارضة السورية، ما جعل أحمد الجربا يعلن أن الإئتلاف سوف يذهب ولكن بشروط. والحقيقة، وعلى خلاف الإرادة الغربية، بدأت الأطراف الإقليمية (السعودية، قطر وتركيا) المعترضة على وجود أية تسوية روسية أميركية تمنع الهجوم العسكري عن سوريا، تعمل على الأرض

السورية لفرض أمر واقع يجبر الإدارة الأميركية على التدخل العسكري بعيداً عن أية تسويات مع موسكو أو يفشل المساعي الدولية للحل في سوريا.

ويقول معارض سوري كان مقرّباً من جلسات اسطنبول بين الثلاثي الغربي وأعضاء الإئتلاف السوري، إن جماعة الإخوان المسلمين والعناصر السلفية في الإئتلاف السوري المعارض ترفض رفضاً قاطعا الذهاب إلى مؤتمر جنيف ـ 2، بتحريض سعودي تركي وقطري، وفضلاً عن هذه المجموعات الرافضة ـ حسب المعارض السوري ـ فإن حزب الشعب الديمقراطي بزعامة رياض الترك يعتبر أن أية تسوية سوف تعيده إلى حجمه الطبيعي بعد أن حصل على الحصة الذهبية في المجلس ومن ثم في الإئتلاف المعارضين.

هذه الضغوط الغربية انعكست على ارض الميدان وأعادت نوعاً من التوافق الميداني بين القوى الإقليمية الثلاث عبر تحريك الثلاثي الإقليمي جماعاته المسلحة التي رباها منذ سنتين للسيطرة على مناطق تقع على الحدود التركية السورية، حيث سيطرت جماعات من داعش على مدينة إعزاز السورية القريبة من تركيا والتي تعتبر مركزاً مهماً للمخابرات التركية وللعمليات التي تقودها الأجهزة التركية في سوريا، وكانت مجموعات من جبهة النصرة قد سيطرت في وقت سابق على مدينة الباب الاستراتيجية القريبة من حلب، وهذه المدينة تعتبر ممراً استراتيجياً لإمداد المعارضين الموجودين فيها.

ومن الواضح أن ظهور داعش وهجومها العسكري ليس سوى لعبة اقليمية لتعطيل مفاعيل أي توافق روسي - أميركي في سوريا.

كان الضغط الأميركي الذي أدى إلى تعيين رئيس حكومة جديد هو أحمد الطعمة، إضافة إلى الإتفاق الروسي - الأميركي حول الكيماوي السوري الذي أبعد شبح الحرب عن النظام في دمشق وأصاب المعارضة بأزمة كبرى ظهرت بوادرها بتخوف جماعة الإخوان والسلفيين معاً من صفقة تتم على رأسهم، فقرر الجمع أن «يتغدوا» بالإئتلاف المعارض والكتائب التابعة للجيش الحر التابعة له قبل أن «يتعشى» بهم. ويقول معارض سوري أن الذي حرّك جماعة الإخوان المسلمين والتكفيريين معاً ضد الجيش الحر، هو تخوف الجماعة من خطة نقل مقر حكومة الطعمة من اسطنبول إلى داخل سوريا، وتحديداً في مدينة إعزاز، وهذا ما جعلهم يقررون مهاجمة المدينة. ويروي مصدر من كبار اهالي المنطقة أن غالبيةَ مَنْ هاجموا مدينة إعزاز هم من قرى عَنَدان وحريتان ومارعْ، وهي قرى في الريف الشمالي لحلب تعتبر معقلاً تاريخياً لجماعة الإخوان المسلمين وبعض المهاجمين من مدينة إعزاز.

من صاغ البيان رقم 1

جماعة الإخوان المسلمين هي التي تقف وراء البيان رقم 1 الذي رفض الاعتراف بسلطة الإئتلاف ورفض أي تفاوض مع الحكومة السورية، أما الذي صاغ البيان فهو عبد العزيز سلامة، أقوى رجل في جماعة الإخوان المسلمين في حلب وريفها حالياً

وهو يرأس 20 كتيبة وجماعة مسلحة، وكان هو الذي سبق أن وحّدهم تحت إسم «لواء التوحيد» قبل ان ينشئ جبهة النصرة ويغذيها من عناصر التوحيد. وعيّن سلامة على رأس لواء التوحيد عبد القادر صالح الذي توسط لوقف القتال في مدنية إعزاز. وعبد العزيز سلامة إخواني قديم من مدينة عَنَدان، وكان متعهد بناء، ولعلّ هذا ما يسّر أو أوحى له بناء أرضية تحتية كأساسٍ لذلك، فتسلّم جميع الأموال التي كانت تأتي من قطر ويقوم بتوزيعها على الكتائب المقاتلة من إخوان وسلفيين.

ويمكن تعداد الأسباب التي جعلت داعش، ومِنْ ورائها جماعةُ الإخوان المسلمين تشن الحرب على جماعة الجيش الحر:

1 ـ الضغوط الأميركية للذهاب إلى جنيف ـ 2.

2 ـ التخوف من انتقال حكومة الطعمة إلى الداخل السوري.

3 ـ التخوف الإقليمي من نجاح الاتفاق الأميركي ـ الروسي حول الكيماوي السوري والذي سوف يكون ورقة المقايضة مع أميركا لتوقف هجومها على النظام في سوريا.

حرب ضروس، أم محاولة لتوحيد الكتائب المسلحة تحت راية واحدة؟

في تقرير لها روت أسبوعية (لو نوفيل اوبزرفاتور)[1] الفرنسية

(1) نوفيل اوبزرفاتور أيلول 2013.

ما وصفتها أنها استعدادات الرئيس هولند لضرب سوريا، وقالت المجلة إن هولند كان يتوقع ان تكون ساعة الصفر ليل 31 آب الماضي، وعقد لأجل هذا اجتماعاً عسكرياً طارئاً بعد ظهر ذلك اليوم وقال أنه لمس من كلام الأميركيين أن الضربة هذه الليلة، معتمداً على اتصال تم بين وزير الخارجة الفرنسي لوران فابيوس، وجون كيري وزير الخارجية الأميركي قال فيه كيري لنظيره الفرنسي أن أوباما طلب منه تهيئة الرأي العام الأميركي لضربة ضد سوريا. وتضيف المجلة أن قصر الإليزيه تلقى برقية من مدير مكتب أوباما تقول إن الرئيس الأميركي سوف يتصل بالفرنسي مساء يوم 31 آب، وفعلاً حصل الاتصال، وكان الأميركي يخبر الفرنسي أنه تراجع عن الضربة. حاول هولند إقناع أوباما بتغيير موقفه، لكنه سرعان ما اكتشف أن الأميركي اتخذ قراره.

صحيفة «لو كانار انشينيه» كانت اكثر صراحة عندما قالت إن فرنسا لم تعلم ماذا يدور بين الأميركيين والروس، وكان سبب التصريحات الفرنسية عالية النبرة حول سوريا هو غضب هولند وفابيوس من التجاهل الأميركي لفرنسا؛ هم لم يكونوا على اطلاع أبداً رغم أن المخابرات الفرنسية كانت ترسل التقارير منذ أشهر طويلة عن مباحثات روسية ـ أمريكية حول الملف الكيماوي السوري، تقول الصحيفة المقربة من اجهزة الأمن الفرنسية.

هذا هو حال فرنسا الحليف الغربي لأميركا، فكيف يمكن تصور حال السعودية والعرب والمعارضة السورية وهم يفاجأون

بالتطورات الحاصلة، وبدأت السعودية بالتحديد تبني على أساسها سياسة رد فعل في سوريا وسياسة تغيرات جديدة في تحالفات العائلة المالكة وفي الداخل السعودي، حسب معلومات ومعطيات سوف نلقي الضوء عليها لاحقاً.

السعودية التي فوجئت بعدم تنفيذ الضربة الأميركية الموعودة ضد دمشق وبالتقارب الإيراني الأميركي، تعمل منذئذ على أساس أن هذا التقارب هو نتاج تفاهم روسي ـ أميركي ـ إيراني حول سوريا، وتالياً فإنه تقارب ليس بقصير المدى. وعلى أساس هذا التفكير بدأت إعادة ترتيب أوراقها السورية عبر عملية تغيير في الواقع الميداني في الشمال السوري، اعتقاداً منها أن هذا الأسلوب سوف يعرقل استمرار التفاهم الروسي ـ الأميركي. وتقوم خطة إعادة لملمة الأوراق وترتيبها على عملية توحيد لجميع الفصائل المسلحة المتشددة والرافضة لجنيف ـ 2 ولأي حوار مع النظام، من أجل بناء أمر واقع جديد في الشمال السوري. ومن هذا المنطلق تم الإعلان عن تشكيل جيش الإسلام الذي وحَّد خمسين لواءً وكتيبة مسلحة تحت قيادة زهران علوش، الملقب بالشيخ، وهو من مواليد دوما في ريف دمشق، ودرس الدين في جامعة المدينة المنورة في السعودية وأنشأ في دوما لواء الإسلام الممول سعودياً، وتقول بعض أطياف المعارضة السورية انه هو المسؤول عن إطلاق الصاروخ الكيماوي في المعضمية يوم 21 آب الماضي.

وتسعى السعودية من أجل أن لا تكون الاشتباكات التي تدور

بين داعش وجماعات الجيش الحر مفيدة للجيش السوري من الناحية الاستراتيجية، وذلك لأن داعش تقضي على جماعات مسلحة هامشية وتزيد قوتها بذلك عبر انضمام العشرات المسلحين إلى صفوفها، كما ان الاشتباكات تدور في مناطق ليست ذات أهمية استراتيجية للجيش السوري، ولو انتقلت المعارك مثلاً إلى عندان لكان يمكن القول إن الجيش سوف يستفيد كون مثل هذا الحدث سوف يضعف جبهة المسلحين باتجاه نُبُّل بينما ما يجري حاليا من الناحية العسكرية هو عملية توحيد للجماعات المسلحة عبر استخدام القوة العسكرية وهذا سوف يجعل مهمة الجيش السوري في حلب وريفها أصعب في المستقبل في حال أصبحت الجبهة تحت امرة غرفة عمليات واحدة وبقيادة واحدة بينما الحال مختلف منذ سنتين.

بندر بن سلطان طلب الاسراع في عملية توحيد الفصائل والجماعات المسلحة السورية لمواجهة أي اتفاق روسي أمريكي لا يُفضي إلى إسقاط النظام السوري، **وهناك قناعة سعودية أن ثمن الكيماوي هو موافقة أميركا على بقاء الأسد في السلطة، وأن قضية الكيماوي سوف تأخذ وقتاً طويلاً ولا يمكن إن تتم إلا ببقاء النظام الحالي**. ويقول معارضون سوريون إن الأمير عبد الرحمن بن سلطان شقيق بندر الموجود في الأردن، اجتمع خلال الفترة الماضية بأبي محمد الجولاني الذي أتى برفقة ضباط منشقين محسوبين على الجيش الحر، وحضر الاجتماع أحمد النعمة رئيس المجلس العسكري في محافظة درعا، والأخير كان دخل في صراع

مع جبهة النصرة ومع التنسيقيات المحلية، وكان هدف الاجتماع توحيد الصف المعارض تحت قيادة واحدة وغرفة عملية موحّدة واسم واحد لمواجهة تداعيات الاتفاق الأميركي ـ الروسي على المعارضة المسلحة في سوريا.

ويبدو أن السعودية تعتمد في معارضتها للتوجه الأميركي على دعم إسرائيلي جدي، وهذا ما كشفت عنه صحيفة هارتس[1] حيث قالت إنه بينما كان كيري يلتقي نظيره الإيراني على هامش اجتماعات الأمم المتحدة، كان هناك لقاء إسرائيلي ـ سعودي يعقد بالتزامن مع اللقاء الأول، وتحدثت هآرتس عن حفل عشاء مغلق أقامه المعهد الدولي للسلام في نيويورك وجلس حول الطاولة حوالى 40 مسؤولاً كبيراً من مختلف انحاء العالم، من بينهم تسيبي ليفني إلى جانب وزراء خارجية تركيا، قطر، المغرب، الكويت، الأردن، مصر، العراق وأمين عام الجامعة العربية الدكتور نبيل العربي، وبعد المحاضرتين اللتين القاهما بيل وميلندا غيتس، جاء دور استعراض المفاوضات الفلسطينية الاسرائيلية من قبل السيد ياسر عبد ربه وتسيبي ليفني ومارتن أنديك، وبعدها جرت مناقشة الموضوع الإيراني ولم ينسحب أحد، ولم يهاجم أيٌّ من المسؤولين العرب إسرائيل.

يبقى أن ما يتم إنجازه اليوم من توحيد للجماعات المسلحة

(1) هآرتس 27 أيلول 2013.

بالقوة العسكرية وبالمال سوف يزيد من حدّة المعركة على الأرض ولن تكون مفاعيل أي اتفاق في جنيف ـ 2 في حال حصوله، مؤثرة بشكل فوري على الحالة الأمنية والعسكرية في سوريا، خصوصاً أن السعودية التي تعتبر ان استمرار النار السورية هو الحل الوحيد الذي يبعد النار عن أبوابها، سوف تعتمد كثيراً على إسرائيل في عرقلة أي حل سياسي يعيد الاستقرار والأمن إلى سوريا.

الكيماوي والتهديد بالحرب

الخوف من الحرب أكثر سوءاً من الحرب نفسها.

فيلسوف لاتيني

أزمة الكيماوي السوري طريق للحل

استنفرت دوائر القرار الغربية بعد الإعلان عن وقوع مجزرة بالأسلحة الكيماوية في ريف دمشق، وأصدر مكتب وزير الخارجية الفرنسي بياناً حرص فيه على ذكر اتصال هاتفي أجراه وزير الخارحية الفرنسي لوران فابيوس مع رئيس الإئتلاف السوري المعارض أحمد الجربا من دون تبني أي اتهام واضح بالمسؤولية عن المجزرة، وحرص الوزير الفرنسي في بيانه على ذكر اتصال فرنسا بمجلس الأمن الدولي. وقالت الخارجية الفرنسية إنها تتواصل مع كل من أميركا وبريطانيا لدراسة وتقديم مشروع قرار إلى مجلس الأمن الدولي يدين سوريا ويطالب بأن تشمل مهمةُ البعثة الدولية لتقصي الحقائق حول استخدام الكيماوي في خان العسل التحقيقَ في استخدام الكيماوي في الغوطة. واشنطن أظهرت تحفظاً على الموضوع كون لجنة (آك سيلتروم) مرسلة إلى خان العسل بموجب قرار دولي واتفاق مع الحكومة السورية عقده الأمين العام للأمم

المتحدة بان كي مون، وأي طلب لتوسيع مهمتها سوف يصطدم بالفيتو الروسي، وهذا ما يمكن ان يعرقل مهمتها الأساس في خان العسل.

وأشارت المصادر إياها، إلى أن باريس منزعجة من التردد الأميركي في الموضوع السوري، وهي تلقت شكاوى كثيرة من قيادة المجلس الوطني السوري والإئتلاف المعارضين حول عدم جديّة الغرب في دعم المعارضة والضغط على النظام السوري!.

ويبدو أن واشنطن غير مقتنعة بمسؤولية الجيش السوري باستخدام السلاح الكيماوي في ريف دمشق، خصوصاً في وقت توجد فيه البعثة الدولية للتحقيق في مجزرة الكيماوي في خان العسل شمال سوريا، وهذا الموقف الأميركي ظهر في تصريح الناطقة باسم البيت الأبيض التي كانت حذرة من اتهام النظام السوري، وقالت إن أميركا لم تحدد خطوطاً حمراء، ولا أحد يتحدث هنا عن تخطي خطوط حمراء، وتتفاوت الروايات حول الموضوع، ذلك أنّ جهات في المعارضة السوريّة أرادت استغلال الزيارة التي تقوم بها إلى دمشق بعثة بالتحقيق الدولية الموكلة بالتحقيق في مزاعم استخدام الكيماوي في خان العسل، ويبدو أن المعارضة السورية سعت إلى جرّ الغرب، عبر هذا العمل، لإقناعه بالتدخل في منطقة الغوطة الدمشقية حيث تتعرض جماعات المعارضة لهزائم متلاحقة منذ بداية صيف 2013، وبحيث يبدو أن الوضع الميداني للمعارضة أصبح على وشك الإنهيار في الريف الدمشقي على غرار الإنهيارات الكبيرة والسريعة في كل من

القصير وحمص، وهذا ما أعاد العمل بـ«سياسة المجازر» علّها تجلب تدخلاً دولياً يوقف هجوم الجيش السوري، أو تدخلاً عسكرياً رغم قناعة الجميع باستحالة هكذا تدخل بسبب الموقف الروسي، وبسبب تعقيدات الوضعين العسكري والميداني على الأرض السورية.

غير أن هذا الحذر لم يطل، حيث صعّدت الولايات المتحدة الأميركية بشكل مدروس وتيرة تعاطيها مع سوريا، وبدأت التصريحات الصادرة عن المسؤولين الأميركيين تنذر دمشق بالحرب والقصف الجوي والبحري، ترافقاً مع وصول تعزيزات بحرية اميركية إلى عرض السواحل السورية في بداية شهر أيلول 2013.

واستغلت أميركا، ومن ورائها كلٌّ من فرنسا وبريطانيا عملية القصف بصاروخ كيماوي، التي نفذتها المجموعات المسلحة المعارضة للنظام في سوريا والتي اسفرت عن مجزرة كبيرة بين المدنيين، لتصعيد الموقف ضد دمشق، بَدْءاً من تصريحات الناطقة باسم البيت الأبيض التي هددت سوريا بعمل عسكري قريب، وصولاً إلى تصريحات وزير الدفاع الأميركي الذي ذهب في الاتجاه نفسه، تزامناً مع تسريبات إعلامية، بريطانية على وجه الخصوص، تحدثت عن اتصال هاتفي جرى حينها بين الرئيس الأميركي باراك اوباما ورئيس وزراء بريطانيا دافيد كاميرون، بحثا خلاله سبل التعامل مع سوريا التي حملاها مسؤولية ما حصل في الغوطة من دون تقديم أي دليل.

وكانت فرنسا أول من بدأ الحملة القوية ضد دمشق، ودعا

وزير الخارجية الفرنسي، لوران فابيوس، إلى استعمال القوة ض
دمشق على خلفية حادث الغوطة، ما يعيدنا بالذاكرة إلى الدو
الفرنسي الأساس في شن الحرب ضد ليبيا في عام 2012.

إسرائيل بدورها دخلت على خط الأزمة، كاشفة النقاب عر حقيقة ما يجري من ضغوط ضد سورية، حيث قال رئيس إسرائيل شمعون بيريس أنه حان الوقت لنزع السلاح الكيماوي الذي تملك دمشق، وذهب رئيس وزراء إسرائيل، بنيامين نتنياهو، في الاتجا نفسه عندما قال لا يمكن بعد اليوم القبول أن تمتلك دول (إرهابية)، حسب زعمه، أسلحة كيماوية.

وتُظِهر التصريحات الإسرائيلية حقيقة ما كانُ يحاك ضد سوريا، حيث سعت الولايات المتحدة عبر التذرع بحجج استخدام أسلحة كيماوية في سورية لإعادة إحياء السيناريو العراقي عبر لجان التفتيش الدولية، والذي أدى إلى نزع أسلحة العراق الكيماوية، ومن ثمّ الصاروخية، وانتهت عمليات المفتشين بغزو العراق واحتلاله بعدما تأكدت أميركا من خلو الترسانة العراقية من أية أسلحة فتاكة، دفاعيةً كانت أو هجومية.

وحاولت واشنطن، عبر لجنة (آك ـ سيلتروم)، الموكلة من قبل مجلس الأمن الدولي، الدخول على خط البحث عن السلاح السوري عبر عمليات التحقيق التي تقوم بها اللجنة للكشف عن حقيقة استخدام الأسلحة الكيماوية في مدينة خان العسل شمال حلب، وقد ادت مجزرة الغوطة الشرقية والضغوط الغربية

والأميركية تحديداً التي تلتها، إلى توسيع عمل هذه اللجنة لتشمل الغوطة الشرقية إضافةً إلى خان العسل.

وسعت الولايات المتحدة عبر الضغوط القائمة للوصول إلى وضع يصبح فيه السلاح الصاروخي والكيماوي السوري كلاهما تحت وصاية مجلس الأمن الدولي للبدء بعملية نزع للقوة الصاروخية السورية، تمهيداً لغزو سوريا كما سبق وحصل مع العراق.

كما أوردت مصادر فرنسية في هذا الشأن، أن الغرب أعدّ كل الخطط اللازمة لنزع السلاح الصاروخي السوري بذريعة الخوف من وقوعه في أيدي الجماعات المتطرفة، وقد حصلت المخابرات الأميركية والفرنسية من المعارضة السورية، على خرائط تفصيلية لمواقع الصواريخ السورية وأماكن تخزينها، فضلاً عن عددها ومراكز تصنيع الصواريخ وتجميعها، وكذلك معلومات مفصلة عن الجيش العربي السوري. وتزعم هذه المعارضة أن الجيش السوري يمتلك مصانع سرية للصواريخ الباليستية، كما أنه يمتلك مختبرات سرية يتم فيها تصنيع رؤوس بيولوجية وكيماوية تركّب على الصواريخ التي يصل مداها لمئات الكيلو مترات.

..وفابيوس ذهب لمجلس الامن من دون علم كيري

الفرنسيون يعلمون بالمفاوضات الروسية الأميركية حول الكيماوي السوري منذ شهر طويلة. هذا ما ذكرته صحيفة (لو كانار انشينيه) الأسبوعية المقربة من الأجهزة الفرنسية. وقالت الصحيفة

إن أجهزة الأمن الفرنسية كانت قد أبلغت السلطات في باريس منذ أشهر طويلة عن جولات من التفاوض تدور بين الروس والأميركيين حول السلاح الكيماوي السوري.

نائب فرنسي من الحزب الاشتراكي الحاكم قال في حديث لموقع «العهد» الإخباري، أن الفرنسيين على علم بمفاوضات روسية أميركية حول السلاح الكيماوي السوري منذ فترة طويلة، شعرت خلالها باريس انها مهمشة، وهذا ما دفع على الأغلب، باريس إلى التصعيد والتشدد في الموضوع السوري حتى يحسب حسابها في أي حل أو تفاوض بين الطرفين الأميركي والروسي.

في الخارجية الفرنسية يتهامسون عن مرارة يشعر بها كل من الرئيس الفرنسي فرانسوا هولند ووزير خارجيته، رولان فابيوس، من العرض الروسي الأميركي الذي لم يكن لهم دور فيه، والذي يمكن اعتباره إهانة كبيرة.

وزير الخارجية الفرنسي لم ينتظر طويلاً ليظهر غضبه من التجاهل الأميركي ـ الروسي وذلك في رد على تصريحات كيري في 9 أيلول 2013 والتي قال فيها كيري «إن الرئيس السوري يمكن له أن يتجنب الضربات الأميركية في حال سلم كامل ترسانته الكيماوية»، وأتى رد فابيوس سريعاً عبر الإيحاء لوزارة الخارجية الفرنسية بوصف الكلام الأميركي بـ«بالثقيل»، بينما اعتبرت الاوساط الحاكمة في فرنسا ان الحليف الأميركي غير جدي.

مصادر دبلوماسية مطلعة في العاصمة الفرنسية باريس قالت إن

فابيوس قدم مشروع القرار الفرنسي لمجلس الأمن الدولي والذي يخول استعمال القوة ضد سوريا في حال لم تلتزم بتعهداتها من دون إخبار كيري ولا استشارة احد من الحلفاء الغربيين بالموضوع، بينما كانت أوساط الإليزيه تتحدث عن ضربات عسكرية، حتى أن الرئيس الفرنسي عقد اجتماعاً للمجلس العسكري في القصر الجمهوري.

النائب عن حزب الاتحاد من أجل الجمهورية، اليميني المعارض وعضو لجنة الدفاع والعلاقات الخارجية في البرلمان الفرنسي جاك ميارد، قال في حديث «أن هناك سراً غير مفهوم في تصلب هولند وفابيوس في الموضوع السوري قد يكون أحد أسبابه شعور فرنسا بالتهميش من قبل روسيا وأميركا».

في الأروقة الفرنسية، حديث عن مصلحة روسية في إثارة الموضوع الكيماوي السوري، وذلك لسببين: .

1 ـ وقف الاندفاعة الأميركية نحو الحرب عبر إعطاء أوباما مخرجاً يشعر فيه بعدم الإهانة.

2 ـ زيادة النفوذ الروسي على الرئيس السوري بشار الأسد عبر تولي روسيا الملف الكيماوي السوري.

يبقى في نهاية الأمر كيفية تطبيق عملية نزع السلاح الكيماوي السوري وطرق التخلص منه وتدميره، خصوصاً في بلد يعيش حالة حرب أهلية دامية، حتى لو تمكن المفتشون الدوليون من الوصول إلى كل أماكن تخزين السلاح الكيماوي السوري، لأن تقنية

التخلص من هذا السلاح تحتاج معملاً خاصاً يكلف مئات ملايين الدولارات، حيث بنى النظام العراقي السابق معملاً لهذا الأمر في حالة من الاستقرار الداخلي كان يعيشها العراق، واستغرقت عملية التخلص من السلاح الكيماوي لصدام حسين حوالى خمس سنوات، مع أنه كان يمتلك عُشر ما تمتلكه سوريا حالياً من هذا السلاح، وتشير مصادر نيابية فرنسية أن الولايات المتحدة التي بدأت منذ عام 1990 عملية التخلص من أسلحتها الكيماوية لم تنته من العملية لحدّ الآن، وهي تضع هدف الانتهاء سنة 2024، وتضيف المصادر أن فاتورة التخلص من السلاح الكيماوي الأميركي كلفت إلى حد الآن الخزينة الأميركية حوالى 35 مليون دولار، فمن هي الجهة التي سوف تتحمل الأعباء المالية لعملية تدمير السلاح الكيماوي السوري؟

إيطاليا والمانيا تعرقلان الجهود الفرنسية والبريطانية في الاتحاد الأوروبي للحرب على سوريا.

أتى الكيماوي السوري على المسرح الدولي معيداً الخلافات الأوروبية الداخلية لتطفو على السطح بعد الاستنفار الفرنسي البريطاني للحشد للحرب على سوريا، وقد تصدرت كل من إيطاليا وألمانيا جبهة المعارضة الأوروبية للحرب على سوريا، ما يذكّر بالخلافات الأوروبية الداخلية إبان الحرب على ليبيا، حيث تصدرت الدولتان المعارضة الأوروبية للحرب التي قادتها يومها أيضاً فرنسا وبريطانيا، الدولتان الأكثر تضرراً من الحرب على ليبيا

حيث كانت إيطاليا، المُستعمِرُ السابق في ليبيا المستثمرَ الأوروبيَّ الأكبر في المشاريع الليبية. وقد دخلت كل من فرنسا وبريطانيا على خط الاستثمارات الليبية مكان إيطاليا، خصوصاً في المجال النفطي، بينما اعتبرت ألمانيا ان كلاً من فرنسا وبريطانيا تريدان العودة إلى الحقبة العسكرية بعد الغلبة الألمانية في اوروبا والعالم في المجال الاقتصادي، الذي جعل كلاً من الفرنسي والبريطاني يحتاج ألمانيا لإنقاذ اقتصاد اوروبا من الكساد والبطالة، وهذا ما جعل لبرلين نفوذاً كبيراً في أوروبا والعالم أثار حفيظة باريس ولندن اللتان قررتا أن العودة لزمن العسكرة قد يكون الطريق الوحيد للحدّ من نفوذ الألمان المتصاعد.

وأما إيطاليا فقد أبدت اعتراضات علنية واضحة على الهجوم العسكري ضد سوريا، عندما قالت وزيرة الخارجية الإيطالية، إيمّا بونينو: «يتعين التفكير ألف مرة قبل الإقبال على مبادرة من هذا النوع، لأن العواقب قد تكون وخيمة»، مطالبةً الحلفاء «بإعادة دراسة الأمر لخطورة التداعيات ولتجنب تكرار مواقف سابقة أو على أقل تقدير مشكوك فيها».

أضافت بونينو أن «القيام بتدخل عسكري في سوريا من دون غطاء من مجلس الأمن الدولي غير قابل للتنفيذ»، داعية للأخذ في الاعتبار رد فعل روسيا وإيران وعدم تحويل «مأساة اقليمية إلى مأساة عالمية» مرجحة أن يتحول «خيار التدخل المحدود» إلى خيار أوسع.

ولفتت إلى أن الدول التي تضغط لحل الازمة عسكرياً تدرك صعوبة هذا الخيار، تماماً مثل نظيرها الفرنسي لوران فابيوس الذي تحدث عن «معوقات في حال التدخل من دون تفويض من الأمم المتحدة»، وبريطانيا التي يجب أن «تأخذ في اعتبارها الرأي العام والبرلمان اللذين قد يعوقان التدخل العسكري».

هذا الموقف الإيطالي وجد له حليفاً في برلين التي أبدت تحفظها على الإندفاعة الفرنسية البريطانية، ودخلت سويسرا وبولونيا على خط المعترضين على شن الضربة ضد سوريا، ما زاد العزلة الفرنسية البريطانية داخل الاتحاد الأوروبي، ووجدت الدولتان أن التصريحات عالية النبرة التي أعلنها أوباما وهولند وكاميرون يلزمها صيغة تحفظ ماء الوجه. ولجأت بريطانيا بمشروع قرار إلى مجلس الأمن الدولي يدين سوريا تحت الفصل السابع مع علم الدول الثلاث (أميركا، بريطانيا، فرنسا) بعدم الرضا الروسي الصيني الذي سوف يعرقل هذا المشروع، وهذا ما حصل فعلاً في جلسة النقاش الأولية للمشروع، حيث أبدت كل من روسيا والصين اعتراضاً حاسماً على أي قرار، وقد اتخذت الدول الغربية من قضية اللجوء إلى مجلس الأمن الدولي مخرجاً مناسباً يحفظ ماء وجهها بعد عرض العضلات الذي أبدته الدول الثلاث خلال شهر آب 2013.

وأظهرت استطلاعات رأي في فرنسا رفض غالبية الفرنسيين للتدخل العسكري الفرنسي في سوريا، حيث اعرب حوالى 60

بالمائة من الفرنسيين عن اعتراضهم على تدخل عسكري لبلادهم في دمشق.

استطلاع الرأي هذا الذي اجري بين 26 و28 آب 2013 أتى رغم تصريحات هولند أمام السلك الدبلوماسي الفرنسي في العالم ورغم الصور التي تعمّد الإعلام الفرنسي إظهارها عن استخدام السلاح الكيماوي والتي أريد منها إحداث صدمة في الرأي العام الفرنسي، تـأخذ الرأي العام الفرنسي باتجاه تأييد ضربة عسكرية في سوريا، وهذا ما لم يحصل.

لم يكن الحال في أميركا بأفضل بالنسبة لأوباما الذي ظهر انه ذهب بعيداً في تهديداته ولا يمكن له التراجع عنها بسهولة، فيما الرأي العام الأميركي يرفض بغالبيته تدخلاً عسكرياً في سوريا.

وجد الرئيس الأميركي مخرجا موقتاً لمأزقه عبر قراره باللجوء إلى الكونغرس للحصول على موافقته، مع أن القانون الأميركي لا يلزمه بهذا.

أوريكا، أوريكا: وجدتها!

كان الحوار الأميركي حول السلاح الكيماوي السوري قد بدأ منذ عام 2012 عندما أعلن جهاد المقدسي الذي كان يومها ناطقاً باسم الخارجية السورية أن السلاح الكيماوي السوري سوف يستخدم في حال حصول غزو عسكري خارجي لسوريا.

كان الحوار روتينياً من دون تحقق أي تقدم يذكر حتى حصول

مجزرة الغوطة التي أتبعت بتهديدات أميركية بشن حرب ضد سوريا، وهنا قدم الروس المخرج المشرّف للرئيس الأميركي عبر اقتراح نزع سلاح سوريا الكيماوي مقابل التراجع عن قرار الحرب وفتح الباب أمام حلول سياسية للملفات العالقة كافة فيما يشبه الصفقة الكاملة. التقط أوباما العرض الروسي كما يلتقط الغريق طوق نجاة، ومن هنا بدأ مسار آخر مغاير أصاب السعودية بالرعب من تقارب إيراني أميركي وأصاب فرنسا بالغضب بسبب تجاهلها، لكنه فتح الباب واسعاً أمام تسوية لم تتضح معالمها ولكن خطوطها العريضة بانت في زيارة الرئيس الإيراني الجديد حسن روحاني لنيويورك اثناء انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة في أيلول 2013.

تفاصيل الخطة الروسية لتدمير السلاح الكيماوي السوري

أعادت روسيا الحياة إلى خطة سابقة طبقت عند انهيار الاتحاد السوفياتي لتدمير أسلحة الدمار الشامل للدول الخارجة من الحقبة السوفياتية، وكان تطبيق هذه الخطة بناء على اتفاق بين جهاز المخابرات الروسية (ك ج ب) وجهاز المخابرات الأميركية (سي أي إيه).

وتتألف الخطة الروسية في هذا الصدد من ستة بنود: .

1 - تنضم الجمهورية العربية السورية إلى منظمة حظر السلاح الكيماوي وتوقع على المعاهدة الدولية المعروفة بهذا الشأن.

2 ـ تعلن دمشق عن أماكن تخزين السلاح الكيماوي لديها.

3 ـ تسمح دمشق بزيارة مفتشين دوليين لهذه المواقع. وفي هذا الموضوع كانت هناك محاولة روسية أن يكون رئيس اللجنة خبير روسي أو صيني أو من دولة من دول البريكس.

4 ـ تعمل موسكو مع دمشق على بروتوكول اتفاق لتنظيم عملية تدمير المخزون السوري من المواد الكيماوية.

5 ـ يتم الاتفاق بين دمشق ولجنة المفتشين على الجهة التي سوف تقوم بعملية تدمير المخزون الكيماوي.

6 ـ تعلن لجنة التفتيش الدولية عن عدم حيازة الدولة لسورية لأي سلاح كيماوي بناء على ضمانة.

اتصال أوباما روحاني

على هامش اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي عقد في نيويورك آخر أسبوع من شهر أيلول 2013 كان الرئيس الإيراني الجديد قد توجّه إلى المسؤولين الغربيين في تغير جذري بالتعامل بين إيران والغرب، وقد كشف الرئيس الأميركي، باراك أوباما، عن إجراء أول محادثة هاتفية بين رئيس أميركي وآخر إيراني منذ أكثر من ثلاثة عقود، وذلك في إطار سياسة الانفتاح التي تنتهجها طهران إثر انتخاب حسن روحاني رئيساً للبلاد.

وأكدت الرئاسة الايرانية حصول المحادثة الهاتفية بين روحاني ونظيره الأميركي مشيرة على موقعها على الإنترنت إلى أن الرئيسين

«شدّدا على الإرادة السياسية لحل المسألة النووية سريعاً واعداد الطريق لحل مسائل أخرى».

أوباما قال في مؤتمر صحافي إن هناك فرصة فريدة لإحراز تقدم مع الحكومة الجديدة في حل «شامل» مع طهران التي بدأت اتصالات مع القوى الكبرى لبحث ملفها النووي المثير للجدل.

وأضاف الرئيس الأميركي أنه وروحاني وجها أمراً إلى فريقيهما بالعمل على عجل للتوصل إلى اتفاق، مؤكداً أن الولايات المتحدة ستنسق على نحو وثيق مع حلفائها، وبخاصة إسرائيل التي تعتبر أن سلاحاً نووياً إيرانيًا يشكل تهديداً لوجودها.

بدوره، قال مصدر قريب من روحاني إن اتصال أوباما كان «غير متوقع تماما»، مشيراً إلى أن الولايات المتحدة بادرت بالاتصال بعد الاجتماع الإيجابي بين وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف ونظيره الأميركي جون كيري.

يأتي هذا غداة إجراء إيران والولايات المتحدة أرفع مستوى من المحادثات بينهما منذ قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين عام 1979، وقالتا إن اللقاء كان إيجابياً لكنهما التزمتا الحذر بشأن إمكان حل الخلاف الطويل على برنامج إيران النووي.

والتقى كيري مع نظيره الإيراني بعد أن أجرى الأخير محادثات أوسع نطاقاً مع الولايات المتحدة وقوى كبرى أخرى لتهدئة شكوك الغرب في أن تكون إيران تسعى لامتلاك سلاح نووي.

ووصف دبلوماسيون من الدول الكبرى المناخ العام

للمحادثات الموسعة بعبارات إيجابية، لكنهم، وكذلك وزيري خارجية الولايات المتحدة وإيران، أكدوا على صعوبة إنهاء الخلاف الذي استعصى على الحل طوال زهاء عشر سنوات تقريباً.

لقاء روحاني هولند

روحاني لهولاند: الأسد سوف يترشح في عام 2014

وبعد أسابيع من وقف لهجة الحرب الأميركية عاشت اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي عقدت نهاية شهر أيلول 2013 مناخات إيجابية على كل الصعد، خصوصاً في ما يتعلق بإيران والبرنامج النووي الإيراني، وحصول التفاهم الروسي الأميركي على استصدار قرار في مجلس الأمن الدولي يطالب سوريا بنزع سلاحها الكيماوي، ولكن من دون الإشارة إلى أية تهديدات بالحرب أو بالعقوبات ضد سوريا.

فرنسا، التي كانت رأس الحربة في التصعيد وفي لغة الحرب والقتال، بدأ رئيسها عملية التراجع في الطائرة التي أقلته من باريس إلى مالي للمشاركة في عملية تنصيب رئيس جديد لمالي، أبو بكر كيتا، حسب بعض الصحافيين الفرنسين الذين رافقوه بالطائرة، تراجع الرئيس الفرنسي عن كلامه الذي وعد فيه بتسليح المعارضة السورية وذلك في جواب على سؤال أحد الصحافيين قال فيه أنه يجب تسليح الجماعات المعتدلة وهذه عملية صعب التأكد منها.

وفي اللقاء الذي جمع الرئيس الإيراني حسن روحاني بنظيره

الفرنسي فرانسوا هولند، قال الرئيس الفرنسي لنظيره الإيراني «نريد منكم ضمانات حول السلاح النووي والسلاح الكيماوي، ونريد أن تساعدوا في حصول عملية انتقال سياسية في سورية». أجاب روحاني: «نحن ليس لدينا مشكلة في أن تسلم سوريا سلاحها الكيماوي وليس لدينا أي اعتراض». غير أن روحاني أفهم الرئيس الفرنسي أن إيران وروسيا مستعدتان ان تنقلا الكيماوي السوري إلى الدول التي تطالب بضمانات إذا أرادت ذلك. وكان جواب روحاني للرئيس الفرنسي بخصوص سوريا «الرئيس بشار الأسد سوف يترشح لانتخابات عام 2014 في سوريا». هنا كان كلام روحاني يحمل في طياته الشرط الذي يمكن من خلال تنفيذه القيام بعملية تسليم الكيماوي من دون اية عراقيل.

الدور الفرنسي الجديد المرتقب هو الواجهة للدور الأميركي الذي يريد تجنب الإحراج والضغوط، وفضّل التفاوض مع إيران عبر القناة الفرنسية، كما سبق وفتح خط تواصل مع سوريا عام 2007 عبر فرنسا ساركوزي، حينها.

خاتمة

لا أدري كيف سوف تكون الحرب العالمية الثالثة، لكن
ما أعلمه أنه لن يبقى الكثير من البشر ليروا الرابعة.
ألبرت آينشتاين

في 26 شباط عام 2003 أعلن الرئيس الأميركي السابق جورج بوش في خطاب أمام الـ «أميركان انتربرايز» شارحاً نظرته للشرق الأوسط الجديد قائلاً: إن العراق المُحرَّر سوف يثبت ان الحرية تملك القوة في تحويل هذه المنطقة الحيوية وسوف يعطي مثالاً كبيراً لبلدان أخرى في المنطقة.

بعد أقل من شهر غزت امريكا العراق. لم تكن الحرية هي الدافع للحرب، بل كان النفط وإعادة تقسيم المنطقة عبر إسقاط النظام العراقي، هو الهدف.

بول وولفوفيتز قال في هذه الاستراتيجية قبل الغزو بأشهر: إن شعلة إسقاط النظام العراقي سوف يكون لها مفاعيل كبيرة وواسعة، بدايةً من سوريا وإيران وأيضاً كل العالم العربي».

بعد عقد من الزمن اتضح أن الغزو الأميركي للعراق كان له تأثيرات كبيرة ولكنها كارثية على المنطقة وأهلها.

تغيير في خريطة المنطقة

قبل الحرب العالمية الأولى، لم تكن هناك كلّ البلدان التي توجد حالياً في المنطقة، فقد حكمت السلطنة العثمانية أربعة قرون ونيّف وعندما أذنت الحرب العالمية الأولى بتفكيكها تقاسم البريطانيون والفرنسيون الإرث العثماني، فاخترعوا أسماء لبلدان ورسموا حدوداً مصطنعة وقاموا بشراء زعماء القبائل عبر المال أو عبر وعود كبيرة، غير أن اندلاع الحرب العالمية الثانية أنهك الامكانات الاقتصادية والبشرية لكل من بريطانيا وفرنسا اللتين رأتا إمبراطوريتيهما تنهاران في هذه الحرب، بينما بقيت الحدود التي رسمتها الدولتان المستعمرتان والتي لم يكن لها أية علاقة بالحدود التاريخية والطبيعية بين القبائل وبين مكونات المجتمع في الشرق العربي بحيث أسهمت الحدود المستحدثة والقائمة إلى الآن، في تقسيم المُقسَّم وفي نشوب صراعات جديدة حدودية، كما حصل بين العراق والكويت من خلاف حدودي تحول إلى صراع عسكري، فضلاً عن أزمات أخرى بينها الخلاف الحدودي بين اليمن والسعودية، وبين السعودية وقطر، وبين العراق وإيران، زِدْ على ذلك المأساة الفلسطينية التي تربك الاستقرار لشعوب المنطقة وتمنع أية مسيرة نموٍّ جدية.

ومع بقاء الحدود أيضاً بقيت العائلات التي أُنشئت الدول من أجلها، وهذا ينطبق على ممالك وإمارات الخليج النفطية كافة.

وجاءت الأحداث العربية الأخيرة لتجعلنا نشاهد انهيار هذه

المنظومة، وقد ترك الغزو الأميركي للعراق تأثيره بتسريع هذا التحول الذي لم نكن نتَبيّنه بوضوح. كما لم يكن معظمنا يستشرف تبعاته.

لكن، سرعان ما أن تبيّن الغازي الأميركي ليست لديه أية خطة أو مشروع للعراق ما بعد الغزو والحرب، وأتت خطوة حل الجيش العراقي لتفتح الباب واسعاً أمام الفوضى الكاملة، وخلقت فراغاً أمنياً وعسكرياً هائلين على الأرض، ما لبث أن ملأه تنظيم القاعدة والتنظيمات السلفية وغيرها والتي حولت الحرب إلى صراع سني شيعي في العراق مدعوم من دول الجوار، وتبين أيضاً ان الجيش الأميركي فقد السيطرة على الوضع ولم يكن يعرف ماذا عليه ان يفعل خصوصاً في السنوات الثلاث الأولى من الاحتلال. ومع مرور الوقت واشتداد الصراع كانت هذه الدول المصطنعة بغالبيتها تظهر ضعفاً بنيوياً ساهم في انتقال الداء العراقي اليها.

إلى أين؟

السؤال الذي يطرحه أي مواطن عربي هو: إلى أين نحن ذاهبون؟ هل سوف تندلع حروب أهلية وتتنقل من بلد مصطنع إلى بلد آخر مصطنع، هذا يعني كلاً من لبنان، الأردن، السعودية وغيرها، هل سوف يمشون على خطى سوريا في هذا المجال؟.

كل هذه الفوضى كانت هدفاً أميركياً حققه العرب شعوباً وأنظمة بسرعة أربكت حتى الأميركي صاحب المخطط الذي أصبح بدوره يخشى على نفسه من السرعة الكبيرة للأحداث، ما حتم عليه تعاوناً مع روسيا طالما رفضته أميريكا طيلة ربع القرن الماضي.

مركز المجتمع المدني
والديمقراطية في سوريا

استبيان حول النشاطات المدنية

1 مكان الإقامة:

2 مكان النشاط :

3 المنظمة الأساسية التي تنتمي لها أو تعمل لصالحها: إذا كنت تعمل بشكل مستقل يرجى ذكر ذلك .

4 العمر:

5 المهنة :

6 : الجنس ☐ ذكر ☐ أنثى

7 وصف النظام الحاكم في منطقتك:

يرجى وضع إشارة صح لوصف ما يحدث في المنطقة التي تنشط بها خلال الشهر الماضي:

[ ] تواجد قوات النظام على الأرض باستمرار
[ ]قدرة قوات النظام في الأرض على التحرك بحرية
[ ] تواجد حواجز النظام داخل المدن
[ ] حواجز النظام بين المدن
[ ] قصف
[ ] قصف جوي.
[ ] قوى الأمن (المخابرات)
[ ] نشاط الشبيحة
[ ] تواجد قوات الجيش الحر على الأرض باستمرار
[ ] قدرة قوات الجيش الحر على الأرض من التحرك بحرية
[ ] حواجز الجيش الحر في المدن
[ ] حواجز الجيش الحر بين المدن
[ ] غير ذلك....أشرح فيما لو كان هناك سيطرة لجماعات أخرى غير الجيش الحر أو قوات النظام .

8 ما عدد المجموعات المدنية المختلفة التي تعمل حالياً في منطقتك؟(تقديرياً)

وماهي هذه المجموعات (خص بالذكر المجموعات الإغاثية)

<u>تحدث عن النشاطات التي تقوم بها تلك المجموعات بشكل أكثر تفصيلاً</u>

9 هل تنسق مجموعتك التي تعمل معها مع غيرها من المجموعات المدنية المختلفة داخل سوريا ؟وداخل منطقتك
[ ] نعم [ ] لا

أ. كيف تقوم بالتنسيق أو لماذا لا يتم التنسيق ؟

ب. مع أي مجموعات تقوم بالتنسيق ؟

10 هل تعمل مع مجموعات خارج سوريا في التنسيق و تقديم المساعدة ؟ قدم أمثلة

11 هل تلقيت أو مجموعتك مساعدات عينية لتوزيعها على المدنيين خلال الشهر الماضي؟
[ ] نعم [ ] لا
أ. إذا كانت الإجابة نعم، يرجى وضع إشارة صح أمام المساعدة التي حصلت عليها:

[ ] غذاء

[ ] مياه

[ ] مأوى

[ ] طبية

[ ] اتصالات

[ ] ملابس

[ ] غيرها...

ب. إذا كان الجواب نعم، كم كان عدد الأشخاص تقريباً الذين كنت قادراً على توزيع المساعدات لهم؟ (تقديرا

12 كيف تصف شفافية المساعدات العينية في المنظمات التي تعرفها ؟

[ ] تعلم عن كمية المساعدات الواردة بالتفصيل

[ ] تعلم عن كمية المساعدات المقدمة للعائلات بالتفصيل

[ ] تعلم قليلاً عن عدد المساعدات الواردة

[ ] تعلم قليلاً عن المساعدات المقدمة للعائلات

[ ] لا تعلم أبداً عن المساعدات الواردة

[ ] لا تعلم أبداً عن المساعدات المقدمة

[ ] تعلم عن الجهة التي قدمت المساعدات بالتفصيل

---

13 يرجى وصف كيف تغيرت قدرة الإدارة المدنية (من قبل المجالس المحلية أو المنظمات المدنية) منطقتك خلال الشهر الماضي .

[ ] انخفضت بشكل ملحوظ

[ ] انخفضت إلى حد ما

[ ] تحسنت بشكل معتدل

[ ] تحسنت بشكل ملحوظ

[ ] غير ذلك أو شرح إضافي ....

14 حالياً ما هي المخاوف الأكبر التي تواجهها منطقتك ؟

15 ماهي أكبر التحديات التي تعترض النشاط الإغاثي في منطقتك؟

16 هل المجلس أو المنظمة التي تعمل معها لديها خطة للتصدي لهذه التحديات ؟

[ ] نعم [ ] لا

يرجى الوصف :

17 هل (الجيش الحر أو المجلس العسكري) يساعد في الأعمال الإغاثية في منطقتك ؟

[ ] نعم [ ] لا

18 هل انخفض عدد الناس الذين يعيشون في منطقتك بسبب النزوح أو الهجرة ؟

[ ] نعم [ ] لا

فصل أكثر

19 هل ازداد عدد الناس الذين يعيشون في منطقتك بسبب النزوح أو الهجرة؟

[ ]نعم [ ]لا

فصل أكثر

20 كيف تصف نشاط المنظمات الإغاثية في منطقتك

حدد أسم المنظمة وصف نشاطها

1 فعال
2 قليل النشاط
3 النشاط جيد ولكنه يحتاج دعم مادي أكبر
4 كوادر قليلة

21 المساحة الجغرافية التقديرية التي تعمل بها

- حتى 5 كم2
- من 6 إلى 15 كم2
- أكثر من 15 كم2

22 عدد النازحين التقديري في منطقتك(شخص)

- حتى 500
- من 500 حتى 1000
- أكثر من ذلك

23 نوع الإنتهاكات التي تعرض لها النازحين

- اعتقال
- ضرب
- إهانة
- إغتصاب
- غير ذلك

24 مدى قدرتي على الحصول على المعلومات اللازمة

- ضعيفة
- معقولة
- جيدة
- مفتوحة
- غير ذلك

25 وجود سرقات من المعونات المقدمة للعائلات

- نعم
- لا
- لا أعرف
- غير متأكد
- غير ذلك
- أشرح إجابتك

26 توزيع المساعدات يتم بناءً على التوجهات الإيديولوجية " حدد"

- سياسية
- دينية
- قومية
- طائفية
- غير ذلك

27 هل يوجد فاعلين أو مؤثرين أساسيين ضمن منطقتك تؤثر على حل الخلافات والنزاعات

- نعم
- لا

28 التوزع الطائفي لسكان المنطقة الأساسيين المضيفة للنازحين

- سنة
- دروز
- مسيحيين
- علويين
- شيعة
- غير ذلك

اللائحة التنظيمية لانتخاب المندوبين
إلى المؤتمر التأتسيسي
لاتحاد الديمقراطيين السوريين
(مسودة للنقاش)

اللائحة التنظيمية:

هي لائحة مؤقتة لتنظيم إجراءات انعقاد مؤتمر تأسيس اتحاد الديمقراطيين السوريين، وينتهي مفعولها بانعقاد المؤتمر التأسيسي للاتحاد، الذي سيقرّ اللائحة التنظيمية الدائمة، من ضمن وثيقة نظامه الأساسي.

اللقاء التشاوري التحضيري:

بعد مناقشات ولقاءات صغيرة بين مجموعات من القوى والشخصيات السورية الديمقراطية على مدى عدة شهور، لتأسيس اتحاد للسوريين الديمقراطيين ككيان سياسي عريض يضم شخصيات مستقلة وقوى وتيارات وكيانات ثورية وسياسية ومدنية سورية، ويسعى إلى تشكيل قطب من الديمقراطيين له ثقل حقيقي على الأرض، من أجل دعم الثورة السورية، والمساهمة الفاعلة في صنع مستقبل سوريا. وهو منظمة لتفعيل العمل الوطني الديمقراطي، ومكان لتجميع كافة الطاقات السورية التي تؤمن بسوريا ديمقراطية مدنية تعددية، ووطن لجميع أبنائها. وعقد في القاهرة بتاريخ 12 ـ 13 أيار 2013 لقاء تشاوري للتحضير لمؤتمر تأسيس اتحاد السوريين الديمقراطيين. وقد حضر اللقاء أكثر من

220 شخصية سورية سياسية واجتماعية وثقافية ونسائية وشبابية. وتبذل الجهود الآن للتحضير للمؤتمر التأسيسي للاتحاد. وقد أقر الاجتماع التشاوري أن يكون أعضاء المؤتمر التأسيسي منتخبين من القواعد، وتحدد هذه اللائحة نسب التمثيل على كل مستوى، إضافة لعدد محدد من المدعوين من أعضاء الاتحاد الذين يشاركون في أعمال المؤتمر دون حق التصويت، وأقرت آلية خطة أولية لتنظيم أعمالها على الشكل التالي:

1 - تم تحديد فريق للتواصل مع الداخل في سوريا يتولى مهمة التنسيق مع القوى الثورية والتجمعات المدنية والكيانات الديموقراطية التي تؤمن بأهداف ومبادئ هذا الاتحاد وفق ما أقرها في بيانه الختامي. ويتولى فريق التواصل مهمة تنظيم الانتخابات للمؤتمر في منطقة نشاطه.

2 - تم تحديد فريق للتواصل مع دول الجوار ودول المهجر لدعوة القوى والشخصيات التي تؤيد وترغب في الانضمام إلى الاتحاد. ويتولى فريق التواصل مهمة تنظيم الانتخابات للمؤتمر في منطقة نشاطه.

3 - تم تحديد فريق للتواصل الإعلامي يرسم خطة إعلامية للترويج للاتحاد ونشر أفكاره لعموم السوريين خلال فترة التحضير للمؤتمر وخلال انعقاده.

4 - تم تحديد فريق للقضايا المالية واللوجستية التي يتطلبها عقد المؤتمر.

● **عضوية الاتحاد:**

1 ـ اتحاد السوريين الديمقراطيين تنظيم مفتوح لجميع السوريين الراغبين في العمل من أجل سورية حرة ديمقراطية تعددية، تسودها الكرامة والحرية والمساواة والمواطنة وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية.

2 ـ يجوز للعضو المنتمي لتنظيم سياسي آخر أن يكون عضواً في الاتحاد وأن ينضم إلى إحدى منظماته.

3 ـ الاتحاد ليس حزباً سياسياً بإيديولوجية ضيقة، بل هو تجمع يحتمل تيارات بداخله، ضمن حدود مبادئ الدولة المدنية التعددية الديمقراطية.

4 ـ يمكن لأعضاء الأحزاب أن تنضوي ضمن هذا الاتحاد وفق الأسس المبينة في هذه الورقة، ولها أن تحافظ على تنظيمها المستقل إن رغبت بذلك.

5 ـ يحق للناشطين في التنسيقيات والتجمعات الشبابية من نساء ورجال أن ينضموا لهذا الاتحاد بنفس أسس انضمام الأحزاب.

6 ـ يحق لكل فرد سوري يؤمن بسوريا الديمقراطية أن ينضم لهذا الاتحاد، ويشارك في تأسيسه وعمله المستقبلي وفق الأسس المبينة أدناه.

● **شروط العضوية:**

1 ـ أن يكون قد أتم الثامنة عشرة من العمر.

2 ـ أن يؤمن بسوريا دولة مدنية تعددية ديموقراطية موحدة لكل مواطنيها.

3 ـ أن يؤمن بأهداف ومبادئ الاتحاد ووثائقه التأسيسية.

4 ـ أن يتمتع بسمعة حسنة وخاصة فيما يتعلق بالنزاهة والفساد.

● **الهيكل التنظيمي:**

1 ـ ينظم الاتحاد داخل سوريا على أساس المحافظات، فالمحافظة هي الوحدة الكبرى للتنظيم.

2 ـ في مرحلة التحضير للمؤتمر يقسم تنظيم المحافظة إلى تنظيمات أصغر، بحسب المناطق والمدن والبلدات، وبحسب عدد الأعضاء المنتسبين إلى الاتحاد، وبحسب ظروفها السائدة الآن. وتقوم بهذا التقسيم لجنة التواصل المنصوص عليها في هذه اللائحة.

3 ـ ينظم الاتحاد خارج سورية على أساس الدول، وتكون منظمة الدولة، هي الوحدة الأساسية الخارجية، وتنظم منظمة الاتحاد في الدولة على أساس المدن والمناطق، بحسب ما تراه لجنة التواصل في كل دولة.

4 ـ ترسل كل لجنة تواصل في كل محافظة وكل دولة خارجية خارطة بتقسيمات التنظيمات بحسب ما رأته.

5 ـ تتكون المنظمة التحتية من 10 ـ 25 عضواً (المعيار هو قدرة استيعاب الاجتماع في مكان واحد).

6 ـ في المنطقة أو البلدة أو الحي (في المحافظات أو الدول الخارجية) الذي يوجد فيه أكثر من 25 عضواً تقسم المنظمة إلى وحدتين أساسيتين أو أكثر بحسب العدد.

الفهرس